

## تقديم

ظهور مجلّتنا هذه نتيجة لتضافر عدّة جهود تلاحمت فتخطّت الحواجز وأنت بعمل يعرف حدوده وأبعاده ككلّ عمل جامعي يحترم نفسه . فقد قام بتحرير سائر مواد هذا العدد الأول أساتذة باحثون من هيئة البحث والتعليم عندنا وأشرف على اخراج كلّ ركن من أركانه زملاء من مختلف الشعب والتخصصات . أمّا الذين اضطلعوا بمهمة التنسيق والطبع والاشراف . فهم زمرة أخرى من الزملاء تعاهدوا على حمل الأمانة فحملوها بكثيرٍ من الصبر وأدوها بكامل الاخلاص والتجرد .

فالفضل يرجع اذن في صدور هذه المجلة إلى روح العمل الجماعي بالدرجة الأولى . وهو يرجع ولا شكّ أيضاً إلى تقدير أطرنا لظرفية عامة أخذت تدعوهم إلى ارساء قواعد البحث الأصيل لتقوم المعرفة على أسس علمية سليمة ويقوم التكوين بدوره على أركان من المعرفة سليمة كذلك .

والحق أن لكليتنا في مجال البحث العلمي تقاليد أصيلة نبعت  
على التفاضل وتحث على السير بهذه المجلة إلى المكانة الدولية التي  
تحتلها أحت لها تصدر دورياً ببعض اللغات الأجنبية منذ عدة  
سنوات . وبما أن العمل العلمي - على اختلاف لغاته - ينطلق من  
نفس المقاييس . فإننا نأمل أن يصبح هذا المنبر الجديد المتجدد أداة  
من أدوات التعريف والتثقيف ووسيلة من وسائل التقدم والتنمية  
والاشعاع .

وأخيراً . فالشكر لكل من ساهم من قريب أو بعيد في انجاز  
الخطوة الأولى من مشروعتنا الجامعي هذا . والشكر أيضاً لكل من  
سوف يعمل على أن تتبع هذه الخطوة خطوات أخرى تدفع بالفكرة  
وترقي بها لتجعل منها صلة وصل دائم بين الباحث والطالب وبين  
المجتمع والجامعة .

والله ولي التوفيق .

محمد القبلي  
عميد كلية الآداب والعلوم الانسانية

# الأبحاث الأساسية

## من منافرات العدوتين

«نص جديد»

تقديم وتحقيق الأستاذ محمد ابن شريفة

### ١ - المقدمة

كان بين الاندلس والمغرب ما يكون احيانا بين بلدين متجاورين من صراع متعدد الاشكال متنوع المظاهر ، وهو صراع طبع تاريخ البلدين بطوابع يلمسها دارس هذا التاريخ في مختلف الميادين السياسية والثقافية والاجتماعية ، وقد كان هذا الصراع سجلا بين العدوتين أشبه ما يكون بناموس المد والجزر على الشطآن .

وليس في نيتي هنا ان اعرض لشيء من تاريخ هذا الصراع في هذه المقدمة التي لا أريد بها سوى الالهام ببعض ما كان لذلك الصراع من آثار في الصلات بين الاندلسيين والمغاربة وما كان يثور بينهم من مفاخرات دون بعضها ، واهمل بعضها الآخر ، ولم يضل الينا مما دون منها الا القليل .

لقد كان من نتائج الصراع بين العدوتين أن أصبحت العلاقة بين الاندلسيين والمغاربة تنعت في بعض المناسبات بنعوت شتى ، فالحجاري مؤلف المسهب يصفها بالكراهية ويقرر ذلك قائلا : « واهل العدو بالطبع يكرهون اهل الاندلس » (1) ومثله في هذا الامير عبد الله الزيري (2) ، وابن الخطيب يستخدم في هذا المقام كلمة « النفرة » وتكرر عنده استعمال عبارة « النفرة الطبيعية بين الاندلسيين والمغاربة » وما يشبهها (3) ، واطلق عليها مؤرخ آخر الفاظ «العداوة» «والبغضاء» «و الحسد» ،

وذلك في نص طويل نقتبس منه ما يلي : « فلما علم البربر عداوة اهل  
الاندلس وبغضهم لهم ابغضوهم وحسدوهم ، فلم تجد اندلسيا الا مبغضا  
بربريا وبالعكس » (4) وذهب المؤرخ المذكور الى ان سبب ذلك ما بين  
الشعبيين من فوارق عرقية واجتماعية وحضارية (5) .

ويمكن ان نقرر منذ البداية ان الاندلسيين كانوا على العموم هم  
البادئين بالتجنس على اهل العدو الذين كان لهم الحظ الاوفر في فتح  
الاندلس والاسهام في بناء حضارتها اولا ثم الذود عن حماها والمحافظة  
على بقاء الاسلام فيها ثانيا .

لقد كان ما وصل اليه الاندلسيون من حضارة وعمران في عهد  
الامويين من بواعث تبجحهم على اهل العدو ثم زاد شعورهم بالاستعلاء  
حينما اتيح لهم بسط نفوذهم على المغرب في عهد عبد الرحمان الناصر  
ومن جاء بعده .

اما تحاملهم على المغاربة او ذوى الاصول المغربية في الاندلس  
فنجدهم بواكيره في بعض ما قاله الشاعر يحيى الفزال (6) ، كما تلمس  
اماراته في قصة الزجالي والاسكندراني (7) ، وقصة ابن وانسوس مع  
الامير عبد الله الاموي (8) ، ومعاملة «الطنجيين» الذين كانوا في جيش  
الناصر (9) ، ولعلنا نراه بشكل اكثر وضوحا في تلك القصائد التي  
انشدها شعراء الحكم المستنصر بمناسبة تغلبه على بقية الادارسة  
بالمغرب (10) ، ومما قاله احد هؤلاء الشعراء وهو ابن شخيص - وقد  
اسرف وانحش في نصيدته بشهادة المؤرخ الاندلسي ابن حيان - :

وزادها في عماها ان اولها

القي العصا حيث لا علم ولا ادب

نشئت مع الوحش في دهماء ليس لها

في غير حسو الحس رأى ولا ارب (11)

هكذا ذهب هذا الشاعر المتعصب الى ان المغرب بلد قفر خلو من  
العلم والادب ليس فيه الا الفوضى والدهماء والعمالة العمياء .

وبلغ من ازوارر الاندلسيين يومئذ عن كل ما هو من العدو ان  
الحكم المستنصر وقعت عينه « على غلام له راكب على فرس بسرج

عدوى الصنعة » فانكر ذلك انكارا شديدا وأمر بمعاقبة الغلام واحراق السرج بدار الجند قدامهم (12). فهل يرمز هذا الي شعور الاندلسيين بالتفوق حتى في ميدان الفروسية وما يتعلق بها ؟ نحسب أن ذلك التصرف كان من قبيل الاحتراس من تسرب عدوى عوائد الفروسية المغربية الي الاندلس والحفاظ علي تقليد كان عبد الرحمان الناصر يعرض عليه بالنواجذ اذا كان « مقتنعا برجال اندلسه ، وصنائع سلفه ، غانيا بهم عن سواهم » وتهسك بهذا التقليد خلفه الحكم في أول عهده حيث انه « شد يدا باستعماله ، وربط قلبا على ابرامه ، وأصبح ايبين اعتقادا فيه ، واشد دياذا لغلمانه واحشامه واجناده عن التشبه بالبرابرة والتشكك بشكلهم والاستعمال لشيء من زيهم في ملابسهم ومراكبهم » (13) و لكن الاندلس كانت مضطرة - لاسباب يطول شرحها هنا - الي الاعتماد على المغاربة في جيشها ، وقد بدأ ذلك بقلة في عهد الناصر وتكاثر في آخر عهد الحكم ثم بلغ الاوج زمن الحجابة العامرية ، وبذلك حل فرسان العدو « محل الملح في الطعام بلباسهم الشديد ، وقاموا مقام الفولاذ في الحديد ، لا يقاتل الاعداء الا بهم ولا تعمم الارض الا في جوارهم » (14) وتجلى هذا الانقلاب في قرار آخر العامريين باستبدال القلائس رمز « الاندلسية » بالعمائم شعار « المغربية » ، وطال استغراب الاندلسيين لهذا الانقلاب ، وكثر استنكارهم له (15)، وادى ذلك وغيره الي نشوب تلك الفتنة التي يختلف المؤرخون في تسميتها حسب اتجاهاتهم فذوو الميول الاندلسية اطلقوا عليها « الفتنة البربرية » واصحاب النزعة المغربية رأوا الاولى بها أن تسمى « فتنة ابن عبد الجبار » (16) « والحق ان اهل قرطبة هم الذين اوقدوا نارها فاحترقوا بلهيبها . ويعنينا من امرها هنا انها أججت حنق الاندلسيين على اهل العدو (16م) ، وبدا ذلك مرة اخرى فيما وصل اليها من نبذ شعريه ومن اغريها ما ينسب الي المستعين بالله الذي قام امره بسيوف كماء العدو (17). كما يبدو في غمزات عديدة لابن حيان المؤرخ ، ثم يبدو فيما قاله بعض شعراء عصر الطوائف ومنهم السميسر (18) وابن دراج (19) والمعتد ابن عباد (20) وابن عمار (21) وابن حصن الاشبيلي (22) فاذا وصلنا الي عصر المرابطين حين أصبحت الاندلس تابعة للعدوة وجدنا رد الفعل ضد العدو واهلها يتخذ لدى بعض الشعراء والكتاب صورا

مختلفة نحسب أن منها شعر اليكى فى فاس واهلها (23)، واهاجى  
الابيض فى الزبير ، رمز السلطة المرابطية فى الاندلس (24)، ورسالة  
ابن أبى الخصال فى توبيخ جند المرابطين (25) وشكوى ضياع الآداب  
للأعمى التطيلي (26) وابن بقى (27) .

ويبدو أن المفاخرات — بمعناها الدقيق — بين الاندلسيين والمغاربة  
لم تبدأ إلا فى عصر الموحدين ، وأول المفاخرات أو المفاضلات المدونة التى  
وصلت إلينا تلك التى جرت بين أبى الوليد الشقندى وبين أبى يحيى بن  
المعلم الطنجى .

ومما يلفت النظر فى هذه المفاخرة أنها كانت بانتداب من أحد أمراء  
الموحدين المستنيرين وأن الطرف المفاخر بالاندلس فيها كان قاضيا فى  
خدمة الموحدين . مما يشعر بانصاف هؤلاء فى رعايتهم للعدوتين . كما  
أن القاضى الاندلسى كان ذكيا فى استغلال المس بيوسف بن تاشفين  
انتصارا لبلده وانتصافا لها من جهة ، وتزلفا للموحدين الذين كان  
يرضيهام ذلك من جهة ثانية ، ولكي يضمن الاغضاء عن عصبية الاندلسية  
من قبل أهل الدولة التى كان يعيش فى ظلها لم يجد بدا من تضمين  
مفاخراته بعض كلمات المجاملة أو المداواة فى جانب الدولة الحاكمة :  
« فلولاً هذه الدولة لما كان لكم على الناس صولة (28) » .

وحسب رسالة الشقندى فإن المفاخرة كانت بالملوك والعلماء  
والأدباء والشعراء والشجعان والشمال ومجاسن المدن ، ويبدو أن  
الشقندى كان البادى بتدوين رسالته ولا شك فى أن أديبنا الطنجى  
الذى لا نعرف شيئا عنه وعن رسالته اجتهد فى استنباط مفاخر العدو  
فى الموضوعات المذكورة ، وأنه وجد لأمحالة ما يدافع به فى كل ذلك ولم  
يصدق عليه هذا المثل الذى ضربه الشقندى : « ما تصنع الكيسة فى  
البيت الفارغ (29) » . ولسنا ندرى لماذا حفظت رسالة الشقندى وضاعت  
رسالة الطنجى ، وقد نقدر أن هذه الأخيرة كانت مما استمد منه صاحب  
« مفاخر البربر » الذى عاش فى العصر المرينى على ما يبدو وسمى  
هذه الرسالة يفتخر مؤلفها المجهول بطائفة من أعلام الاندلس ذوى  
الأصول المغربية كـ يحيى بن يحيى ومنذر بن سعيد وابن دراج وغيرهم (30)  
والواقع أن الفخر بالإعلام فى نطاق المفاضلة بين العدوتين أصبح منذ

امتزاجها في عهد المرابطين ومن بعدهم مثار تنازع في معاجم الاعلام :  
 فالشقندي مثلا يعد القاضي ابا حفص الاغماتي من حسنات الاندلس (31)  
 وابن ابار وابن الزبير يدعوهما التعصب الى نظم عدد من اعلام العدو  
 المغربي في سلك الاندلسيين « ضئالة يعلمهم على العدو » ، وقد  
 انتقد ابن عبد الملك المراكشي هذا التعصب بشدة في مناسبات عديدة ودعا  
 ذلك التعصب الاندلسي الى ان يقابله بحمية مغربية واضحة تبديت في  
 دفاعه عن ادب معاصريه من اهل المغرب وانه لا يقل شأنا عن ادب  
 الاندلسيين (32)، كما تجلت في نشدانه التفوق على الاندلسيين : ابن  
 ابار وابن الزبير ، ومن مظاهر اعتزازه بمغربيته انه اكتفى من زيارته  
 للاندلس بوضع قدمه في الجزيرة الخضراء قائلا : حصل لنا الغرض من  
 مشاهدة بعض البلاد الاندلسية والكون بها والحمد لله على ذلك (33).  
 ومن رأى الاستاذ غربية غومس أن رسالة الشقندي كانت من  
 نتائج فقدان الاندلس لاستقلالها ونظر المغاربة اليها بعين الازدراء  
 ومحاولتهم التقليل من شأنها (34) . ولكننا اذا نظرنا الى المسألة بعين  
 الانصاف نجد أن الشعور الاقليمي كان عند الاندلسيين أقوى منه لدى  
 المغاربة فهم كانوا يتجنون غالبا على اهل العدو ، ويتيهون عليهم  
 بحضارتهم وعلمهم وأدبهم ، ويكشفون عن كرههم للمغاربة. المقيمين بين  
 ظهرانيهم ، حتى بعد توحيد البلدين في عهد المرابطين والموحدين ، ونجد  
 مظاهر من ضيقهم وتبرمهم بالجماعات المغربية الرابطة في الاندلس في  
 رسائل البلوى (35)، أما في الاوقات العصيبة فقد كان سوء المعاملة  
 ينسحب حتى على الاندلسيين ذوى الاصل المغربي ، ومن أمثلة ذلك قول  
 ابن سعيد في ترجمة ابي عمران بن سالم القلعي : « أخرج أهل القلعة  
 — قلعة خولان — بيته بأسره لما ثاروا على المصائدة لان نسبهم فسي  
 مسكورة » (36) ويذكر في القدح انه « لما كانت فتنة ابن هود المشهورة أخرج  
 عن بلده ، وفرق بينه وبين ماله وولده (37) » وقد كان شيء من هذا  
 يحدث أحيانا في العدو للمغاربة ذوى الاصل الاندلسي كما نستشف ذلك  
 من قول ابن حبوس الفاسي متشفيا في ابن عطية بعد نكته :

اندلسي ليس من البربر

يختلس الملك من البربر (38)

بيد أن المغرب كان على العموم ارحب صدرا من الاندلس ، فقد  
 كان يستقبل جاليات الاندلس بسماحة وحفاوة — من جالية الرياض حتى



جالية المورييسكيين — وقد نجد ما يشي بشيء من الازورار عن الاندلسيين المهاجرين احيانا ومرده في الغالب الى تعاليمهم على اهل البلد ، وعدم حفظهم لتقاليده ، وقلة رعايتهم لمآثره . ونكتفى من الامثلة في هذا الباب على ما يقول ابن عميرة على لسان اهل سلا في مخاطبة جالية شرق الاندلس التي اقطعها الرشيد الموحدى مدينة الرباط : « وانتم معشر الاندلسيين دافة دفت ، ومادة جفت ، وفقع عن اهله بان ، ونبت في غير ارضه هان ، وما نحسبكم الا خشاشا لا يجد مغارا ، وخفاشا ، اطر نهارا ، فالمهاجر الينا يجد الاوس والخزرج ، ويركب الملجم المسرج ، هذا ان رضى الحسب واهله وستر بعملنا جهله ، نأما ان عدا طوره ، وجفا زوره ، وتهاون بخلافنا ، ولم يحفظ مآثر اسلافنا ففرخه قبل النهوض مصيد ، وزرعه من قبل ان يهييج حصيد (39) » .

ومن مظاهر ساحة المغرب انه كان دوما يفص بالكتاب والقضاة والوزراء وغيرهم من الاطر «الاندلسية» ، حتى لكأن القاعدة كانت تقديم الاندلسيين على المغاربة في الخطط والوظائف (39م) بينما قامت حملة قلمية اشترك فيها ثلاثة من اعلام كتاب الاندلس في القرن السابع ضد اديب مغربي فاسي اتخذه أحد امراء الاندلس كاتباً له (40) ، ويستغرب ابن سعيد استخدام ابن الاحمر الاول لاحد « حفاظ الموحدين » وهو محمد ابن خطاب الهنتاتي فيقول : « وكان من النادر أن اصطفاه رئيس الاندلس في عصرنا أبو عبد الله بن الاحمر فصيره كالعلم ، وقلده مهماته ما بين خطتي السيف والقلم (41) » .

نجد في العصر المريني ثلاثة نصوص في موضوع المراسقات القلمية بين الاندلسيين والمغاربة اولها : طرفة الطريف في اهل الجزيرة وطريف ، وهو هذا الذي ننشره اليوم لأول مرة . وثانيها « مفاخر البربر » مسرد تاريخي محض .

أما النص الثالث فهو رسالة « المفاخرة بين مالقة وسلا » لابن الخطيب (42)، وقد أقام ابن الخطيب مفاخرته بين البلدين على ثمانية اشياء هي : المنعة والصنعة والبقعة والشنعة والمساكن والحضارة والعمارة والاثارة ( الفلاحة ) والنضارة . ويقول حسين مونس أننا لا ندرى شيئاً عن السبب الذي حفز ابن الخطيب على انشاء هذه المقابلة فهو يقول في مستهلها أن واحداً من أصحابه سأل أن يقوم بهذه المفاضلة

فاستجاب لها طلب اليه (43) ولكن الفقيه ابن علي السلوى الدكالى،  
الذى رد عليه بأرجوزة مطولة يوضح سبب انشاء هذه المفاضلة فيها  
يلى :

والباعث الاقوى لذلك القول  
ان جاء معزولا بحال هول  
فانفر الاعيان من خلطته  
وانتبهذ الوزير فى شلته  
فلم يزر احدهم مشواه  
و لا انتحى مفردهم مفناه  
فساء الحال ورام هضما  
لاهلها فبث قولا اعمى (44)

ولعل مما يؤيد هذا ان ابن الخطيب كان ينال باستمرار من سلا  
واهلها فى شعره ونثره (45). ونحسب ان مألقة وسلا فى مفاضلة ابن  
الخطيب ليستا سوى رمزين للاندلس والعدوة ، (46)، ويبدو أن هذه  
المفاخرة ظلت بدون رد الى أن جاء المؤرخ ابن علي السلوى الدكالى فنهض  
للرد عليها بأرجوزة سماها : اتحاف اشرف الملا ، ببعض أخبار الرباط  
وسلا وهو يقول فى اولها :

ان الوزير ابن الخطيب قد كتب  
بما يسوء أرضنا و ما أصاب  
أودع فى « ريحانة الكتاب »  
مقالة تخل بالآداب  
فاضل بينها و بين مألقة  
من الجزيرة فسأبدي حقه

وحكم ابن علي على مقالة ابن الخطيب بأنها مخلة بالآداب يصل  
اليه أى مؤرخ منصف فهذا الاستاذ حسين مؤنس الذى لم يقف على رد  
ابن علي يصفها بأنها « حملة تخلو من الذوق على سلا » وهى مدينية  
طالما آوت ابن الخطيب وأحسنّت اليه ولكن هكذا كان شأن الكثيرين  
من الاتنلسيين مع المغرب — وغير المغرب — من البلاد (49)»

لقد إبان الفقيه ابن غلى عن حب مكن لبلده وانتصار وثيق لها ،  
واستطاع ان يسفه أحلام ابن الخطيب وينقض مطاعنه بما أتيح له  
من علم غزير ونفس طويل ودفاع برىء لانتشوبه شائبة من التعصب ،  
لأنه اقتصر فيه على ما غاب عن علم ابن الخطيب من محاسن سلا  
فى الامور التى وقعت بها المفاضلة .

ويندرج نص « طرفة الظريف » فى هذا السياق الذى عرضناه  
بشئ من الاختصار وهو يترجع بين الرحلة والمقامة فى بعض أشكالها  
الاندلسية فهو من حيث العنوان أشبه ما يكون برحلة ، ومحتواه عبارة  
عن ارتسامات مغربى عن طريف والجزيرة الخضراء وأهلها كما أنه  
يقترّب من طبيعة المقامة بخصائصها المعروفة . ويمكن ربطه من وجه  
آخر بضرب من ضروب الانشاء عرف بين الخاصة والعامة فى الاندلس  
وهو ما يطلق عليه : ما اسمك يا أخا العرب (50) ، ونجد فى مقامة  
« حضرة الارتياح ، المغنية عن الراح (51) » لابن حاتم العالمى  
المالقى إشارة الى هذا الضرب يقول فيها :

« وأول ما سمعت بالاندلس أيام الشباب ، من بعض عوام  
الاصحاب ، ما هو السؤال عن اسم المسؤول وأبيه ، وصاحبه وبلدته  
الذى تؤويه ، وما تهل به وما يغنيه (52) »

وطرفة الظريف تقترب من هذا الضرب ولا سيما فى الفقرة التى  
تتضمن السؤال عن أسماء المسؤولين وأنسابهم وبلدانهم وحرفهم ، ومن  
المؤسف ان النسخة الوحيدة من هذا النص الموجودة فى مكتبة صديقنا  
الاستاذ المنسونى - الذى تكرم مشكورا بأعارتها لنا -  
مبتسورة الاول ( 52 م ) ، ويبدو أنه ضاعت منها  
ورقة على الأقل وهى التى تشتمل على اسم الكاتب و أول  
الرحلة أو المقامة ، أما أسماها فنجد فى آخرها حيث نقرأ ما يلى :  
« تمت طرفة الظريف فى اهل الجزيرة وطريف » ولا نجد فيها ما يشعر  
بتاريخ كتابتها أو نسخها أو ناسخها ، ويبدو من الخط أنها نسخة قديمة  
قد ترجع الى القرن الثامن الهجرى .

أما صاحب هذه الرحلة أو المقامة فلا نملك نصا قطعيا فيه لضياح  
أولها - كما ذكرنا - من جهة ولعدم ورود اسمها فى المظان المعروفة

من جهة ثانية — ولكن ثمة أدلة وردت في المتن قد تساعدنا على التعرف عليه ونسوقها فيما يلي :

1 — يسمى صاحب الرحلة أو المقامة عبد العزيز وقد ورد هذا الاسم مرتين وهو وأن ورد مفردا فإنه يمثل العلامة الاولى في الاهتداء الى صاحب الاثر الادبي .

2 — من حسن الحظ انه ورد في المتن اسم معروف الهوية معلوم الحيثية وهو « الفقيه الاسنى أبو فارس عبد العزيز العمراني كاتب الخلافة » الذي يذكر المؤلف انه كان « يختار دون الناس اثتلافه » وهو من رجالات العهد المريني الاول وتذكر مصادر التاريخ المريني انه كان قاضي حضرة مزاكش اى قاضي الجماعة في عهد يعقوب بن عبد الحق (53) وولده يوسف (54)، وتعرضنا هاهنا مشكلة حيث انه يحل في النص بكتاب الخلافة بينما تقتصر مصادر التاريخ المريني على ذكره في سلك قضاة الجماعة بهراكش ، ولكن هذه المصادر تذكر في سلك كتاب العلامة ليعقوب وولده يوسف عمرانيا آخر هو ابو عبد الله العمراني ، واذا كنا لم نقف على ترجمة للاول فإن الثاني مترجم به في مستودع العلامة ، وفيها انه « الشريف الفقيه الكاتب صاحب القلم الاعلى محمد بن الشريف الفقيه عمران العمراني الحسيني (56) » ، ولو وقفنا على اسم والد ابي فارس عبد العزيز لأمكن أن نعرف درجة القرابة بين الرجلين اللذين كانا في خدمة السلطانين المرينيين وربما كانا اخوين .

3 — ورد في المتن ايضا ذكر شخص آخر وهو قاضي الجزيرة الخضراء ابن عذرة الذي كان يتولى احكامها يومئذ ، ولكننا لم نجد في المظان ما يقفنا على تعيينه وقد كان بنو عذرة اعيان الجزيرة الخضراء ومنهم اعلام مذكورون في كتب الصلات (57) .

4 — واخيرا يذكر المؤلف انه كان موجودا في الجزيرة الخضراء ، في صحبة المقام العالي السلطان امير المسلمين دون تحديد اسمه .

تلك هي العلامات الواردة في النص والتي يمكن أن تهدينا الى معرفة صاحبه ولقد سبق لي أن زعمت أنه عبد العزيز المزورزي كبير شعراء بني مرين المعروف ولكن مع وضع علامة شك أمام الاسم (58)

اننا حين نرجع الى ترجمة عبد العزيز او عزوز الملوzy في مصادرها — وأقدمها وأوسعها هي الاحاطة — (59) لانجد ذكرها لطرفة الطريف ، فهل يكون ابن الخطيب أغفل ذكرها — اذا صحت نسبتها الى الملوzy — عن عمد وقصد لما تضمنته من هجاء لاهل الاندلس ؟ ام الامر لا يعدو أن يرجع الى عدم وقوفه عليها ؟

الاقرب الى طبيعة ابن الخطيب انه لو اطلع عليها لما تردد في ذكرها والنعي على صاحبها .

ومهما يكن من أمر اغفال هذا الاثر الانبي اللطيف — واغفال الآثار واصحابها شيء ابتلى به تاريخ المغرب مع الاسف — فانني أرجح نسبه الى عبد العزيز الملوzy . ذلك أن اسم عبد العزيز الوارد ذكره في النص بوصفه منشئاً له والذي يدلنا النص نفسه على انه ناثر شاعر من أقران قاضي الجماعة أبي فارس العمراني ومن جلساء أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق الذين يصحبونه في حله وترحاله لا يمكن — في تقديرنا — أن يكون الا عبد العزيز الملوzy وثمة دلائل أخرى يستأنس بها في تأييد هذه النسبة ومنها تشابه الاسلوب والنفس في هذا النص وفيها وصل اليها من شعر الشاعر المرنى الكبير سواء في الشكل او في المضمون ، فأما من حيث الشكل فيتمثل ذلك في سهولة النظم وسيولة القريحة وغلبة الطبع والارتجال ، على الصنعة والاحتفال ، وارتكاب بعض الضرائر الشعرية ، وجميعها من مظاهر نظم الملوzy ولا سيما في أرجوزته التاريخية .

وأما المضمون فمن مظاهر التشابه فيه بين هذا النص وغيره من شعر الملوzy انه حين تحدث عن الجزيرة الخضراء في «طرفة الطريف» ذهب الى انها هي قرية الجدار الوارد ذكرها في قصة موسى والخضر واستغل هذا العنصر في تعليل ما خبره من بخل أهلها وشنع عليهم في ذلك بها اقتضته طبيعة المقامة .

وفي باثية الملوzy الطويلة التي أنشدت بين يدي أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق بمناسبة عيد الفطر من سنة 684 في الجزيرة الخضراء ذكر هذه المدينة وعناية أمير المسلمين بتجديدها ، وما أنشئ له فيها من قصر ومشور ، وعرض الى قصة قرية الجدار فقال :

فقد حل الجزيرة ر الاماني  
تساعده و قصد الشرك خابا  
اقام بها والقي الرحل منها  
بيلدته الجديدة حين آبا  
مكان القرية المشهور منها  
على ما اودع الله الكتاب  
وقد ذكروا الجدار بها و فيها  
مكان الصخرة انتصب انتصابا  
نصدق قولهم عنها فلوس  
بها وجدت مصورة عجا  
لها الف من الاعوام زادت  
من المثمين اربعة حسابا  
وقد دثرت رسوم الربع منها  
فاحياها وقد كانت خرابا (60)

وليس بمستطاعنا الآن تحديد التاريخ الذي كتبت فيه « طرفه  
الظريف » ويدلنا منطوقها - ولا سيما آخرها - انها الفت بالاندلس  
خلال احد جوازات امير المسلمين ، واغلب الظن ان المقصود بأمير  
المسلمين الوارد ذكره في آخر هذه الرحلة المقامية ، هو ابو يوسف  
يعقوب بن عبد الحق ، ومن المعلوم انه جاز الى الاندلس اربع مرات  
كان للمزوزي يصحبه فيها . بوصفه شاعر الدولة ، ولسانها الناطق  
بمآثرها ومآتيها ، المسجل لمفاخرها وأمجادها وقد كان نشاطه الشعري  
يفر في أثناء تلك الجوازات ، وفي أحدها - وهو الجواز الرابع - نظم  
في شهر شوال سنة 684 بالجزيرة الخضراء أرجوزته التاريخية المسماة :  
نظم السلوك في الانبياء والخلفاء والملوك (61). وعلى فرض نسبة  
« طرفه الظريف » للمزوزي ففي أى من هذه الجوازات يكون ألفها ؟  
تشرنا الفقرة الأخيرة منها بهذا القنوط الذي اعترى حاشية السلطان  
وغيرهم من جند بني مرين من جراء طول المقام وتواليه بالاندلس وتشوقهم  
الى اهل والولد وذلك حين يقول : « ولما طال في الجزيرة المقام المتوالى  
في صحبة المقام العالي ، خشيت أن تفسد الطباع ، وتستمتع السباع ،  
والجمر يخذ أن وضع في الرماد ولؤم الجزيرة يؤثر حتى في الجماد ،

وما زلت ادعو الله أن يهون في جواز السلطان ، ويبلغنا الاوطان »  
وهذه الحال حصلت للناس خلال الجواز الاول الذى طال حتى كاد يقارب  
العام ( من أول يوم في شوال سنة 673 هـ الى آخر يوم من رجب سنة  
674 هـ ) ويشير ابن أبى زرع الى ذلك فيقول : « وقنط بنو مرين من  
المقام بالاندلس وتشوقوا الى لقاء اولادهم وديارهم فلها علم أمير  
المسلمين ذلك منهم جاز الى العودة (62) » ، ويبدو أن هذا الملل من طول  
المقام انتشر بين من كانوا « في صحبة المقام العالى » وأصبح السؤال  
الذى يدور بينهم هو : متى يرحل أمير المسلمين ؟ وهذا ما تنطق به الفقر  
التالية من « طرفة الظريف » : « وما زلت ادعو الله أن يهون في جواز  
السلطان ، ويبلغنا الاوطان ، فقعدت يوم ارتحالى منها ، ومسيرتى عنها  
مع الفقيه الاسنى ابي فارس عبد العزيز العمرانى كاتب الخلافة وكنت  
اختار دون الناس اثتلافه ، فما زلنا نجيل في الرحيل الافكار ، ونكثر منه  
الانكار » على أنى أثر أن يربط نصنا هذا — فى اطاره العام الموسوم  
بروح الانتقاد والمشوب بالنزوع الى الهجاء — بذلك الجو الاسبى  
المشحون بالمراجعات الشعرية بين شعراء البلاط النصرى ، وعلى  
راسهم أبو عمرو ابن المرباط ، وشعراء البلاط المرينى وفي مقدمتهم  
المزوزى ، وذلك فى اعقاب دخول المرينيين الى الاندلس ، واذا كان  
بنو مرين قد جازوا الى الجزيرة استجابة لاستصراخ اهلها المتعدد  
واستنجادهم المتكرر ، فإن ما كتب لهم فيها من نصر وتمكين ، أشار  
موجدة ابن الاحمر وبعث شكوكه « وظن بأمر المسلمين الظنون ،  
واعترض ذكره شأن يوسف بن تاشفين والمرباطين مع ابن عباد سلطان  
الاندلس » (63) ،

ولا يعنينا وصف الجو السياسى المتوتر والمتكرر الذى طبع العلاقات  
المغربية الاندلسية يومئذ ، ولكن الذى يعنينا هنا هو انعكاس ذلك على  
الحياة الادبية ، وما حفلت به من مراجعات شعرية ، تختلف لهجتها بين  
الاستعطاف والعتاب ، والرضى والاعتاب ، فمن ذلك قصيدة ابي عمرو  
ابن المرباط على لسان أميره ابن الاحمر ومطلعها :

هل من معين فى الهوى او منجد

من متهم فى الارض او من منجد (64)

وهى نداء حار وقع فيه هذا الشاعر على الوتر الحساس عند أهل  
العدوة الا وهو الجهاد ، وقد اجاب على هذه القصيدة كل من عبد  
العزیز المزلوزى بقصيدته مطلعها :

لبيك لا تخش اعتداء المعتدى (65) .

كما اجاب عنها ايضا مالك بن المرحل بقصيدته المعروفة :

شهد الاله وانت يا ارض اشهدى

انا اجينا صرخة المستجد (66)

واذا كنا لا نعرف لهجة المزلوزى فى قصيدته لانها لم تقع الينا فان  
قصيدة ابن المرحل حافلة بالعتاب الرقيق حينا والشديد حينا آخر وقد  
خرج فى آخرها الى التقريع والتوبيخ وذلك حين ينتقد اخلاق الاتدلسيين  
وجيشهم فيقول :

لولا رجال من مريـن رفعوا

منكم لكتنم بالحضيض الـاوهـد

لولا رجال من مريـن قاتلوا

عنكم لكتنم كالنساء الفـرد

عهدي بجندكم الذين اذا راوا

علجا تولوا كالنماج الشـرد

يتشبهون بكل اغلب كـافر

فى زيهم و كلامهم فى المشـهد

وطعامهم و خلالهم و شرابهم

و مناكر ياتونها وسط النـدى

واجاب عن القصيدتين كاتب ابن الاحمر ابو عمرو بن المـرابـط

بقصيدة يشي مطلعها بمضمونها :

قل للبغاة وللعداة الحسد (67)

ثم خفت هذه الحدة وجنحت المساجلات الاخرة الى التماس الصلح

وطالب الرضى كما نرى فى قصيدة ابن المـرابـط :

بشرى لحزب الله والايمان (68)



وجوابها للملوزى :

اليوم كن فى غبطة وامان (69)

ويبدوننا — اعتمادا على ما ذكرناه بايجاز — ان مقالة « طرفة  
الظريف » الفت خلال هذه المعارك الادبية الحامية الوطيس ، ولعل مما  
يدل على ذلك هذا التشابه فى المنحى والتوافق فى المرمى بين ما ورد فى  
قصائد الملوزى وابن المرحل المشار اليها آنفا وما جاء فى « طرفة الظريف »  
فهى تنمى على الاندلسيين تشبههم بالنصارى فى لباسهم وكلامهم وسائر  
عوائدهم ، وتشنع عليهم فى لباسهم « الفشكون » والزنا ، ولكلهم  
الخنزير وشريهم العقار ، وتنعتهم بالجبن والبخل ودناءة النفس وضعف  
الهمة ، وتتحسر على تخليهم عن خلال العربية والاسلامية ومهما يكن  
فى بعض هذه الانتقادات من مبالغة أحيانا فانها تلتقى مع ملحوظات  
المؤرخين المعاصرين من امثال ابن خلدون وابن الخطيب فحين عقد الاول  
فى مقدمته فصله المعروف فى ان المغلوب مولع أبدا بالانتداء بالغالب فى  
شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده ، انتزع دليله على هذا  
الحكم مما شاهده هو وغيره من معاصريه من تشبه الاندلسيين بجيرانهم  
الجلالقة وذكر انهم « يتشبهون بهم فى ملابسهم وشاراتهم والكثير من  
عوائدهم وأحوالهم (70) » .

وهذا التشبه الذى يمثل عقدة نقص لدى فئات من الجماعة  
الاندلسية هو ما انتقدته قصائد الملوزى وابن المرحل المشار اليها سابقا  
وهو أيضا ما الحت « طرفة الظريف » فى أكثر من موضع على التشهير  
به وتعرية ذلك التناقض بين تبجح بعض الاندلسيين بالانساب العربية  
وتخليهم عن سنن العرب حتى لم يبق لهم من العروبة الا الاسماء .

وقد اعتبر ابن خلدون ان هذه الحال داعية الى التشاؤم وذكر ان  
الناظر اليها بعين الحكمة يستشعر انها « من علامات الاستيلاء » (71) .  
ومن شواهد هذا المعنى فى مقامنا ما يلى :

رايتك للسرور ذا خلعة

وأنت على نهجهم تنهج

تزي بزي النصارى الكلاب

فأنت بزيهم تبهج

لقد بعث منهم نضار النضار  
بشيء يقال له البهـرج  
تركبت الجود وما اثلوا  
فسلا الدين باق و لا اللهج  
اذا كنت لا تتقى ريننا  
فما لك من شدة مخرج  
وانى لادري بطول المسدى

بأنك عن ديننا تخرج  
ونكر ابن الخطيب كذلك ان زى الجند الاندلسى فى مملكة غرناطة  
كان زى اضدادهم من جيرانهم الفرنج . وبعد أن وصفه عاد فقال :  
« ثم عدلوا الان عن هذا الذى ذكرنا (72) » ويفهم مما ذكره ان الزى الذى  
عدلوا اليه يشبه ان يكون زى جند العدو يومئذ ، فهل يكون ذلك من  
اثر الانتقادات التى ذكرنا طرفا منها ؟

نخلص فى آخر هذه المقدمة الى الاشارة الى بعض مضامين نصنا  
الجديد ، فأول ما يطالعنا منها هو نعت اهل الاندلس بالبخل ولكلهم  
وحدهم فرادى لاجتماع على مائدة واحدة كما يقتضى ذلك ادب المناسبات  
العامية ومع ان مؤلف النص يصف سلوك افراد ضمه واياهم مركب الا  
انه اتخذ منهم نموذجا او عينة وعمم فى حكمه فقال :

هذا دليل على ان ليس عندكم  
يا اهل اندلس فضل ولا حسب

وقد نستشف هنا لهجة استعلاء ، وهذا مما يقتضيه أسلوب  
رسائل المناظرات ومهما يكن من امر فان ابن سعيد الذى وصف المجتمع  
الاندلسى من خلال تاريخه وواقعه كما خبر ، قرر أن الاندلسيين  
« اهل احتياط وتدبير فى المعاش وحفظ لما فى أيديهم خوف ذل السؤال  
فلذلك قد ينسبون للبخل (73) » . كما ان الامثال الاندلسية تعكس شيئا  
من هذا (74) اما النقطة الثانية فهى ولع الاندلسيين بالتفاخر بالانساب  
العربية ويتضح ذلك فى هذه الفقرة التى يدير فيها المؤلف الحديث على  
لسان عشرة شيوخ يمثلون فئات مختلفة من المجتمع الاندلسى فيهم  
الحارب والتاجر والصانع والعامل . وتراهم جميعا يحرصون — فى  
زهو وفخر — على الانتماء الى القبائل العربية المشهورة بمآتيها ومناقبها

وهنا ايضا نجد النص متمشيا مع ما دأب عليه المفاسخرون بعروبة  
الاندلس كابن سعيد وابن غالب والشقندي ، ولاسيما في مقام المناظرة  
بين العدوتين ولكن صاحب النص يتزع الى ابراز ما في هذا الالتقاء  
من مفارقات بين اولئك القدماء « الذين جازوا مع طارق ، وافتتحوا  
الاندلس وقتلوا البطارق » وبين هؤلاء المتأخرين المتشبهين بالروم  
المختلين عها اثل الاجداد .

وينتقل المؤلف بعد هذا الى حديث اقرب ما يكون الى ادب الرحلات  
وذلك حين يصف جزيرة طريف والجزيرة الخضراء .

فأما طريف فلا تستحق منه الاسجمات معدودة ، كلها دعاء عليها  
وهجاء لها ولقصبتها الحقرة ، ورائحتها الكريهة ، بينما نراه يطيل  
الوقوف في الجزيرة الخضراء فيمعن في هجائها وهجاء أهلها وينعي عليهم  
بخلهم الشديد وقلة مروءتهم .

فهم ييخلون حتى بالماء والنار ولا يجدون غضاضة في بيع جرعة  
الماء وجذوة الموقد للغازي المجاهد والمتطوع الواعد ، وأحسب أن هذه  
الفقرة لها دلالة خاصة تتجاوز الإبعاد الأدبية أو الفكاهية في النص ، نقد  
تشعرنا بشيء من طبيعة العلاقات بين أهل البلد ومحطة السلطان المريني  
الذي اتخذ منه مقرا لتنظيم الجهاد في الاندلس ولقد صورت لنا الامثال  
العامة في حدود تعبيرها القائم على الإيجاز واللمح والرمز مظاهر من  
نظرة المجتمع الاندلسي في العصر الغرناطي الى من اصطلح على تسميتهم  
بالغزاة، وفيها مايشي بضيق الاندلسيين وتبرمهم بهؤلاء (77) . ولكن  
ما يحدثنا به النص - حتى مع استبعاد التهويل في التصوير والمبالغة  
في التعبير - يفوق ما أومأت اليه الامثال ، ولعله يدل على رد الفعل  
السلبي لدى البلدي الساذج تجاه هذه الكثرة الكاثرة من الجند حين  
يمتلئ بهم بلد صغير كالجزيرة الخضراء ، ولا شك أن معاملة كتلك  
التي عبر عنها النص لا تبعث الارتياح في نفوس المتطوعين من أهل  
العدوة الذين انتدبوا للجهاد في سبيل الله بالاندلس ، بل انها قد تثير  
الياس وتصرف عن فريضة الجهاد ، وهذا ما نقرؤه في البيتين التاليين  
من مقطعة :

ان كانت النار تشرى عند اندلس

فكيف يدخلها غاز مدى الابد

علي نذر اذا ما فارقت اندلسا  
ترك الحصان و ترك المال و الولد  
وفي هذين البيتين من مقطعة أخرى :  
سأرحل من بلاد ليس فيها  
مكان للاقامة و القرار  
اما والله ان منعوا جوازي  
رميت النفس في لجج البحار  
ثم ينتقل النص الى وصف وادي الجزيرة المسمى بوادي العسل  
والذي ما يزال يعرف بهذا الاسم مترجما الى القشتالية :  
فيهجوه و يؤلف هجاءه

من التضاد الذي وجده بين اسمه وحقيقته ويحمل التسمية حمل المزح  
وبعدها من غلطات الاندلسيين مثلما غلطوا في نعت الجزيرة بالخضراء  
وهي بضد ذلك ، وكذلك في تسمية بلد طريف وهو غير طريف . ويكتشف  
مؤلف النص ان الجزيرة هي بلد الجدار الذي ورد ذكره في القرآن الكريم  
ذاها مع الرواية الاندلسية (78) ، وما يتناقله اهل الجزيرة انفسهم  
فيجد في ذلك مادة يبرر بها ما وجد من بخلهم .

ان هذا الوصف الذي نقرؤه في هذا النص عن طريف والجزيرة  
الخضراء يذكرنا في منحاه الهجائي بوصف العبدري - وهو معاصر  
لصاحب طرفة الظريف - لبعض البلدان ، مع مراعاة ما بين الاسلوبين  
في الجدل و الهزل .

ولكننا اذا عارضنا هذا الوصف بالمأثور من وصف الجغرافيين  
الاندلسيين وجدنا الامر مختلفا فالرازي يعد الجزيرة الخضراء « من  
ارشق المدن واطيبها ، وارفقتها بأهلها ، واجمعها لخير البر والبحر ،  
وقرب المنافع من كل جهة (79) » وابن سعيد يمتدح طبيعتها بمياهها  
الجارية وبساتينها النضرة ، كما يمتدح نهرها ومنتزهاتها ويقول عن  
ايام قضاها بها :

رعى الله أياما اذا سر غيرها  
فان سروري بعدها متكلف (80)

فهل تغير حال الجزيرة بعد ذلك أم أن هذا الهجاء ناتج عن جو النص العام الذى أشرنا اليه آنفا ؟

ومن اطرف ما فى طرفة الطريف الفقرة التى تصف لهجة أهل الجزيرة ولا سيما فى طريقة نطقهم الكاف وغلبة الإمالة على السنتهم ، وهما من صفات اللهجة الاندلسية التى أشارت إليها مصادر أخرى (81)، ولكن الطريف هنا هو تركيب حكايات وحوادث مثل ما يحدث من سوء تفاهم بسبب اختلاف اللهجات .

وقد عرض صاحب النص طائفة من النوادر المركبة على موضوع الإمالة الاندلسية اختار لها شخوصا من ساحة المسجد ومجلس قاضى البلد الذى يعلو فيه لفظ المتحاكمين .

وبعد ، فلعله قد بدا الآن من خلال هذه المقدمة الموجزة ما للنص الذى نقدمه اليوم الى القراء من فوائد أدبية وتاريخية واجتماعية ، ولا شك أن العثور على مزيد من النصوص الطريفة ، والعناية بنشرها ودراستها ، مما يفتنى تراثنا ويهيئ لتقويمه تقويما شاملا ومتكاملا .

ب - النص :

• • • قَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ (82)، فَكَتَمْتُهُ وَلَكَيْدِي أَزِيزُ ،  
فَقَالُوا لِأَحَدِهِمْ : خُذْ وَرَقَنَا (83) أَيُّهَا الرَّجُلُ الطَّرِيفُ ، وَسُقِّ لَنَا  
يُهَا مِنْ طَرَائِفِ طَرِيفِ (84)، فَكَانَ رَجُوعُهُ بِالطَّرَائِفِ وَالطَّرَفِ،  
قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَى الطَّرَفِ ، فَقُلْتُ إِنَّ الرَّائِيسَ صَادِقٌ ، وَإِنَّهُ  
بِالْمَرَاثِي حَادِقٌ : فَقَمْتُ وَمَا خِفْتُ مِنْ بَأْسِهِمْ ، وَعَلِمْتُ أَنَّ ذَلِكَ  
أَكْثَرُ لِبَاسِهِمْ ، فَلَمَّا أَطْلَعْتُ عَلَيْهِمْ ، وَوَصَلْتُ إِلَيْهِمْ ، رَأَيْتُهُمْ  
حَوْضُلُوا (85)، وَمَا بَسَمَلُوا ، وَأَكَلُوا ، وَعَنِّي نَكَلُوا (86) ،  
وَأَخَذَ كُلُّ مَنْهُمْ تَصِيَّتَهُ ، وَلَمْ يُشَارِكْ فِي الْأَكْلِ نَزِيلَهُ وَلَا نَسِيَّتَهُ،  
وَسَمِعْتُهُمْ يَذْكُرُونَ الْعَنْكَمَةَ (87)، وَيَقُولُونَ لِكُلِّ جُمُوعَةٍ جُمُوعَةٌ  
(88)، وَكُلُّهُمْ يَنْظُرُ صَاحِبَتَهُ شَرًّا ، وَلَمْ يَشَدِّدْ بِهِ أَرْزًا : وَهُوَ  
يُحَوِّصِلُ وَيَزْدَرِدُ ، وَلَقَمُهُ تَطَرِدُ ، فَعِنْدَمَا أَكَلُوا اجْتَمَعُوا ، وَأَصْعَوْا  
لِمَحْدِثِهِمْ وَاسْتَمَعُوا ، فَقُلْتُ لَهُ • (89) حَيَّيْكُمْ اللَّهُ وَقَبَّحْكُمْ ،  
وَمُسَاكُمُ فِي الذَّلِيلِ وَصَبَّحْكُمْ ، مَا لِي رَأَيْتُكُمْ قَبْلَ كَالْإِخْوَانِ ،  
فَفَرَّقَكُمْ مَا يَسِيْقُ فِي الْإِخْوَانِ ، فَأَنْشَدْتُهُمْ تَعْنِيْفًا وَتَخْفِيْفًا ، وَمَا  
قَصَّدْتُ تَطْفِيْفًا :

مِنْ أَيِّ أَرْضٍ خَرَجْتُمْ إِنْ ذَا عَجَبُ  
لَا تَرْتَضِي فِعْلَكُمْ عَجْمٌ وَلَا عَرَبُ  
كُنْتُمْ عَلَى الرَّحْلِ إِخْوَانًا فَفَرَّقَكُمْ  
مَا فِي الْإِخْوَانِ فزَالَ اللَّهُو وَالطَّرَبُ  
هَلَّا أَكَلْتُمْ جَمِيعًا لَا أَبَالَكُمْ  
وَحَصَّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِمَا يَجِبُ

فَصِرْتُمْ كَيْتَامِي غَابَ وَالِدُهُمْ  
مَظْهَرُوا الشَّخَّ فِي الْمِيرَاثِ وَاحْتَسَبُوا  
بَلْ أَنْتُمْ كَكِلَابٍ عِنْدَ جِيْفَتِهِمْ  
بَعْضٌ يِنَالٌ وَبَعْضٌ خَلْفَهُ يَثِيبٌ  
هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ لَيْسَ عِنْدَكُمْ  
يَا أَهْلَ أُنْدَلُسِ فَضْلٌ وَلَا حِسَبٌ

فَقَامُوا إِلَى سِرَاعَا، فَلَمْ يَجِدُونِي مُرَاعَا، وَقَالُوا إِنْ كَانَ  
الْحِسَبُ فَمِنْ قَبَائِلِنَا ظَهَرَ، وَمِنْ عِنْدِ آبَائِنَا الْأَقْدَمِينَ قَدْ اشْتَهَرَ،  
فَقُلْتُ: كُلُّ نَجِيبٍ تَبِيهِ، يَفْخَرُ بِنَفْسِهِ لِأَبَائِهِ، فَأَعْرَضُوا عَلَيَّ تَسْبِيحُكُمْ  
وَأَذْكُرُوا بَيْنَ يَدَيَّ حَسَبَكُمْ فَقَالَ الْأَوَّلُ: أَنَا مِنَ الْأَوْسِ،  
وَأَسْمَى طَوْسَ، وَصِنَاعَتِي الرَّمَى بِالْقَوْسِ، وَقَالَ الثَّانِي: أَنَا  
مِنَ الْخَزَرَجِ، وَلِقَبِي الْمَذْرَجُ، وَصِنَاعَتِي تَبْدِيلُ النَّضَارِ بِالْبَهْرَجِ،  
وَقَالَ الثَّلَاثُ: أَنَا مِنْ كِنْدَةَ، وَأَسْمَى شَيْدَةَ، وَصِنَاعَتِي الْحَيَاكَةُ  
بِجَرْنَدَةِ (90) وَقَالَ الرَّابِعُ: أَنَا مِنْ غَسَّانَ، وَأَسْمَى حَسَّانَ،  
وَصِنَاعَتِي نَسْجُ الطَّلِيسَانِ، وَقَالَ الْخَامِسُ: أَنَا مِنْ جَمِيرَ،  
وَأَسْمَى مِهْيَرَ، وَصِنَاعَتِي ثَقْلُ الْعِثِيرِ (91)، وَقَالَ السَّادِسُ:  
أَنَا مِنْ كِنَانَةَ، وَأَسْمَى قِنَانَةَ، وَبِصِنَاعَتِي حَمْلُ الْكِتَانَةِ (92)،  
وَقَالَ السَّابِعُ: أَنَا مِنْ لَخْمَ، وَأَسْمَى ضَخْمَ، وَجِرْفَتِي الرَّقْمَ،  
وَقَالَ الثَّامِنُ: أَنَا مِنْ جُدَامَ، وَأَسْمَى جَزَامَ، وَصِنَاعَتِي نَسْجُ  
الْجَزَامِ، وَقَالَ الثَّاسِعُ: أَنَا مِنْ فِزَارَ، وَأَسْمَى نِدَارَ، وَجِرْفَتِي  
تَبِيعُ الْإِبْزَارِ، وَقَالَ الْعَاشِرُ: أَنَا مِنْ طَيِّ، وَلِقَبِي زُرْطَى،  
وَصِنَاعَتِي النَّشْرُ وَالطِّي، فَلَمَّا عَرَضُوا عَلَى قَبَائِلِهِمْ، وَذَكَرُوا  
أَبَاءَهُمْ وَمَقَائِلَهُمْ، قُلْتُ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ جَازَوْا مَعَ طَارِقَ،

وافتتحو الأنْدُلُسَ ومَتَلُوا البَطَارِقَ ، فَطِفِقْتُ أَدْعُو كُلَّ أَحَدٍ  
بِقَبِيلَتِهِ ، وَأَذْكَرَ فَخْرَهُ وَسُوءَ سَبِيلِهِ . فَنَادَيْتُ بِطَوْسٍ ، الْمُنْتَسِبِ  
إِلَى الْأَوْسِ :

أَلَا يَا طَوْسُ إِنَّ الْأَوْسَ كَانُوا  
ضَرَاغِمَةً إِذَا كَانَ الطَّعْمَانُ

رُكُوبُهُم السَّوَابِقُ فِي الْهِيَاجِ (94)  
وَدَانَهُمُ الْقَصَاحَةُ وَالْبِيَانُ

وَهُمْ آوَوْا وَهُمْ تَصَرُّوا نَبِيًّا  
عَلَيْهِ الْوَحْيُ نُزِّلَ وَالْقُرْآنُ

إِذَا افْتَخَرُوا فَهُمْ فَخَرُوا بِمَجْدٍ  
وَعَزَّ لَيْسَ يُدْرِكُهُ الْهَوَانُ

فَمَالَكَ يَا طَوْيُسُ بِهِمْ فَخَارٌ  
لِأَنَّكَ بَاخِلٌ نَدْلٌ مُهَانٌ

بِنَفْسِكَ فَاغْتَخِرَ إِنْ شِئْتَ فَخْرًا  
وَدَعْ : أَجْدَاثُنَا كَانُوا وَكَانُوا

فَقَدْ تَلَدُ الْقَبِيحَةُ ذَاتَ حُسْنٍ  
وَقَدْ تَلَدُ الْمَذْمَمَةُ الْحِصَانُ

وَقَدْ يَلِدُ الشَّجَاعُ جِبَانَ قَوْمٍ  
وَقَدْ يَلِدُ الضَّرَاغِمَةُ الْجِبَانُ

وَقَدْ يَزْعِي الْحِصَانُ رَبِيعَ أَرْضٍ  
وَيُخْلِفُهُ يَمُوتُ بِهَا الْحِصَانُ (95)



كَذَلِكَ قَبِيلَةُ الْأَشْرَافِ تَقْنَى  
وَيُحْيِيهَا كَرِيمٌ لَا يُهَانُ  
وَإِنَّكَ يَا طَوَيْسَ بَضِيقِ هَذَا  
مُرَادُكَ نَى الْقُورَى حَمَرٌ وَبَانُ  
مَتَى كَانَتْ جُدُودُكَ يَا طَوَيْسَ  
لِبَاسِهِمُ الزَّانِرَةُ الْخِشَانُ  
فَلَيْتَ الْأَوْسَ مَا وَلَدَتْ طَوَيْسًا  
فَلَوْلَاهُ لَكَانَ لَهَا الْأَمَانُ  
لَقَدْ غَيَّرْتَ أَصْلَكَ يَا طَوَيْسًا  
مُجَاهِرَةً مَغْيَرَكَ الزَّمَانُ

ثُمَّ نَادَيْتُ الْمَدْرَجَ ، الْمُنْتَسِبَ لِلْخَزَرَجِ :

|                                              |                                         |
|----------------------------------------------|-----------------------------------------|
| سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ يَا مَدْرَجُ            | أَمَا هَكَذَا كَانَتْ الْخَزَرَجُ       |
| وَهُمْ نَصَرُوا أَحْمَدَ الْمُصْطَفَى        | وَكَانَ الْعِدَاءُ لَهُ أَذْلَجُوا (98) |
| وَكَمْ جَدَلُوا الْأَسَدَ وَسَطَ الْوَعَى    | وَكَمْ مَارَ حَرْبٍ بِهَا أَجَّجُوا     |
| مَمَّنْ ذَا يَنْالُ مَدَى فَخْرِهِمْ         | وَفَخْرَهُمْ عَنْكُمْ مُدْمَجُ (99)     |
| بِنَفْسِكَ فَاغْفِرْ وَحَلِّ الْجُدُودِ      | وَفَاخِرُ بِنَفْسِكَ يَا مَدْرَجُ       |
|                                              | 100                                     |
| رَأَيْتُكَ لِلرَّوْمِ ذَا خُلَّةٍ            | وَأَنْتَ عَلَى نَسَجِهِمْ تَنْسِجُ      |
| تَزَيَّ بَزِيَّ النَّصَارَى الْكِلَابِ       | فَمَأْنَتَ بَزِيَّتِهِمْ تَبْهَجُ       |
| لَقَدْ يَغْتَمُّ مِنْهُمْ نُضَارُ النَّضَارِ | بَشْيٍ يُقَالُ لَهُ الْبَهْرَجُ         |
|                                              | (100م)                                  |
| تَرَكْتَ الْجُدُودَ وَمَا أَثَلُوا           | فَلَا الدِّينُ بَاقٍ وَلَا الْمَلْهَجُ  |

إِذَا كُنْتَ لَا تَنْقَى رَبَّنَا      فَمَا لَكَ مِنْ شِدَّةٍ مَخْرَجُ  
وَإِنِّي لَأَدْرِي بِطُولِ الْمَدَى      بِأَنَّكَ عَنْ دِينِنَا تَخْرُجُ  
فَتَنْقَسُ الصُّعْدَاءُ وَقُلْتَ      إِنَّا لِلَّهِ تَغَيَّرَ الْأَنْصَارُ ، فاعْتَبِرُوا  
بِأُولَى الْأَبْصَارِ ، وَأَنْشَدْتُ :

الْيَوْمَ صَارَ الْبُخْلُ فِي الْأَمْصَارِ  
وَاللُّؤْمُ تَحْتَ عَمَائِمِ الْأَنْصَارِ (101)

لَوْ كَانَ قَيْسٌ أَوْ عَوَانَةُ أَبْصَرَا (102) (103)  
فَعَلَّ الْأَوَاخِرُ مِنْ بَنَى النَّجَّارِ

وَهُمْ تَغَيَّرَ دِينُهُمْ وَإِبْسَانُهُمْ  
وَتَمَذَّهَبُوا بِمَذَاهِبِ الْكُفَّارِ

عَضَّوْا أَنْامِلَهُمْ عَلَى أَحْسَابِهِمْ  
وَشَكَّوْهُمْ فِي الْخَسْرِ لِلْمُخْتَارِ

ثُمَّ نَادَيْتُ بِشِدَّةٍ ، الْمُنْتَبِئِ بِكِنْدَةٍ :

يَا شِدَّةُ ! كِنْدَةٌ تُعْزِي لَهَا الْفِظْنَ  
وَالنَّظْمُ وَالنَّثْرُ وَالْأَمْضَالُ وَالْمِثْنُ

مِنْ كِنْدَةٍ كَانَتْ الْأَشْعَارُ وَاجْتُمِعَتْ  
بِكِنْدَةٍ ثُمَّ لَا شَيْءَ يَرَى حَسَنُ (104)

فَالأَوَّلُ الْمَلِكُ الصَّلِيلُ شَاعِرُنَا (105)  
وَالْآخِرُ الْمُتَنَبِّئُ الشَّاعِرُ الْقَطُنُ

إِنْ كُنْتَ يَا شِدَّةُ بِالْأَصْلِ مُفْتَخِرًا  
فَاذْهَبْ فَأَنْتَ لِحَاكَ اللَّهُ مُنْتَهَنُ

كانوا أَسودًا وكانوا قَدْ سَمَوْا كَرَمًا  
 وَأَنْتَ وَيَحْكُ نِيكَ الْبُخْلُ وَالْجِبْنُ  
 الْخَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالْبَيْدَاءُ تَعْرِفُهُمْ (106)  
 وَأَنْتَ يَعْرِفُكَ الْقَنُوطُ (107) وَالْبَدْنُ (108)  
 فَلَوْ نَسَجْتَ عَلَى مِنْوَالِهِمْ لَعَدَا  
 يَزْهُو بِكَ الدَّهْرُ وَالْأَمْصَارُ وَالْمُنْخُنُ  
 لَكِنْ نَسَجْتَ عَلَى مِنْوَالٍ حَاكَّتِنَا (109)  
 فَخَانِكَ الدَّهْرُ وَاسْتَوَلَتْ بِكَ الْحَمْنُ  
 ثُمَّ نَادَيْتُ بِحَسَّانَ ، الْمُنْتَسِيبَ لِعَسَّانَ :  
 اسْمَعْ كَلَامَ الْحَقِّ يَا حَسَّانُ  
 فَأَنَا الَّذِي قَدْ شَيَّيْتُ عَسَّانُ  
 مَا أَنْتَ أَوَّلَ مَنْ تَنْصَرُ مِنْهُمْ (110)  
 وَتَلَاغَبْتُ بِمَقُولِهِ الصُّلْبَانُ  
 هُمْ أَلْهَمُوكَ وَعَلَّمُوكَ طَبِيعَةً  
 وَشَرِيعَةً يَرْضَى بِهَا الشَّيْطَانُ  
 فَاَنْظُرْ « مُتَوَحَّ السَّالِمِ » تَعْلَمُ أَنَّهُمْ (111)  
 قَدْ غَيَّرُوا دِينَ النَّبِيِّ وَخَانُوا  
 وَجَدُوا بَنَاتِ الرُّومِ بَيْضًا كَالْدُمَى  
 وَحَلِيهَا الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ  
 فَتَنْصَرُوا وَتَدَجَّنُوا مِنْ بَعْدِي (112)  
 رَكَنُوا إِلَى الْإِسْلَامِ يَا حَسَّانُ

فَجِدْ دُونَكَ الْإِفْرَنْجُ فَاَنْهَضْ نَحْوَهُمْ  
فَهُنَايِكَ الْأَعْمَامُ وَالْإِخْوَانُ

لَا مَخْرَ عِنْدَكَ أَوَّلٌ أَوْ آخِرٌ  
خَلَّ الْقَخَارَ كَذَاكَ قَوْمَكَ كَانُوا

ثُمَّ نَادَيْتُ بِمُهَيَّرٍ ، الْمُنْتَسِبِ لِحَمِيرٍ :

يَا مُهَيَّرُ، قُطِبَ الْمَفَاخِرِ حَمِيرٌ  
وَلَهَا الْمَكَارِمُ وَالْعَلَاءُ الْأَكْبَرُ

مَلَكُوا الْمَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ غَنَوَةً  
وَزَهَتْ بِمُلْكِهِمُ الدُّنَا وَالْأَعْضُرُ

بِسُيُوفِهِمْ قَهَرَ التَّبَايِعَ تَبَعٌ (113)  
حَتَّى أَطَاعَتْ عُرْبُهَا وَالْبَرْبَرُ

قَادُوا الْجُيُوشَ إِلَى الْعِدَا وَتَمَلَّكُوا  
حَتَّى تَخَوَّفَ مَنْ أَبَوَهُ الْأَصْفَرُ

أَمَّا الْفَصَاحَةُ وَالْبَرَاغَةُ وَالنَّدَى  
فَهُمْ الَّذِينَ جَمِيعَهَا قَدْ أَظْهَرُوا

بِكَلَامِهِمْ نَزَلَ الْفُرَانُ مُبَيَّنًا (115)  
لَمَّا حَوَتْ كُلَّ الْفَصَاحَةِ حَمِيرُ

إِنَّ الْعَمَائِمَ فِي اللَّوْغَى تِجَارَتُهُمْ  
وَرُكُوبُهُمْ فِيهَا الْعِتَاقُ الضَّمَرُ

هُمْ سَادَةُ الْعَرَبِ الَّذِينَ تَسَوَّدُوا  
فَقَخَّارُهُمْ عِنْدَ الْوَرَى لَا يُنْكَرُ

لَوْ كُنْتَ تَفْعَلُ فِعْلَهُمْ يَا مَهْيَرُ  
مَا كُنْتَ جَهْلًا دُونَهُمْ تَتَنَصَّرُ

بَنُوا الْفَخَارَ وَأَنْتَ تَهْدِمُ مَا بَنُوا  
وَصَفَتْ مَوَارِدَهُمْ وَ أَنْتَ تُكْدِرُ

عَبْرَتِ إِذْ عَيَّرْتَ سِيرَةَ مَنْ مَضَى  
مِنْ مَعْشَرٍ خَيْرِ الْخِصَالِ تَخَيَّرُوا

فَإِذَا سَكَتَ سَكَتَ أَلْفًا جَاهِلًا  
وَ إِذَا تَطَقَّتْ تَطَقَّتْ خُلْفًا تَبْهَرُ (116)

ثُمَّ نَادَيْتُ بِقِنَانَةٍ ، الْمُنْتَسِبِ لِكِنَانَةٍ :

إِلَى كَمْ أَنْتَ تَشْفِي يَا قِنَانَةَ  
وَتَذْهَبُ بِالرَّسَائِلِ فِي الْكِنَانَةِ

بِقَوْلِكَ تُضْرِبُ الْأَمْثَالَ فَاَسْمَعْ  
لِقَوْلِ النَّاسِ : أَفْصَحَ مِنْ كِنَانَةٍ (117)

لَقَدْ أَفْنَيْتَ عَمْرَكَ فِي الْمَعَاصِي  
وَ بَدَّلْتَ الْقِطَانَةَ بِالرَّطَانَةِ

سَأَلْتُكَ بِالَّذِي أَوْلَاكَ بِخُلَا  
وَ أَحْرَمَكَ السَّعَادَةَ وَ الدِّيَانَةَ

إِلَى مَ تَسِيرُ وَيَحْكُ فِي الْقِيَانِي  
وَتَسْمَى فِي مُرَاةِ الرِّيَانَةِ (118)

فَلَا دِينَ وَ لَا دُنْيَا تَرَاهَا  
وَ لَا عِرْضٌ يُصَانُ وَ لَا صِيَانُهُ

أَزِلْ عَنْكَ التَّشْبَهَ بِالنَّصَارَى  
وَعُدْ لِفَعَالِ قَوْمِكَ يَا زُعَانِهِ  
ثُمَّ نَادَيْتُ بِضَخْمٍ ، الْمُتَشَبِّهِ لِلْخَمِّ :

يَا ضَخْمُ سَارَتْ بِالْمَعَالَى لَحْمٌ  
فَالْعَزْمُ وَالْحَزْمُ لَهَا وَالْقَهْمُ  
وَالْفَخْرُ وَالنَّشْرُ مَعًا وَالنَّظْمُ  
لَوْ كُنْتُ يَا ضَخْمُ لِفَخْرٍ تَسْمُو  
لَمْ يَهْشِ مَا حَارَتْ وَيَتَقَى الرَّقْمُ  
ثُمَّ نَادَيْتُ بِجُذَامٍ الْمُتَشَبِّهِ إِلَى جُذَامٍ :

بَلَاكَ اللَّهُ بِاسْمِكَ يَا جُذَامُ (120)  
وَلَا تَنْتَكِ الْمَصَائِبُ وَالْإِحْمَامُ (121)

رَأَيْتُكَ يَا جُذَامُ تَحِيدُ عَمَّا  
بَنَتْ مِنْ مَفْخَرٍ قَدَمًا جُذَامُ  
لَقَدْ نَامَتْ جَفُونُكَ عَنْ عُلَاهَا  
وَعَايِرُكَ عَنْ عُلَاهَا لَا يَنَامُ

فَمَا لَكَ قَدْ رَجَعْتَ فَتَى وَضِيعًا  
وَقَوْمُكَ سَادَتْ غُرٌّ كِرَامُ

أَمِنْ هَذِي الْبِلَادِ كَتَبْتَ بُخْلًا  
فَإِنَّ أَنْاسَهَا كُلًّا لُئَامُ

فَقَالَ نَعَمْ مَدَّتْكَ النَّفْسُ إِنْسِي  
أَتَيْتُ لِأَهْلِهَا وَأَنَا غُلَامُ

فَمَا زَالَتْ بِيَ الْإِيَّامُ حَتَّى  
تَعْلَمْتُ الْوَضَاعَةَ يَا هُمَامَ

طِبَاعُ الْمَرْءِ تَنْقُصُ كُلَّ يَوْمٍ  
إِذَا مَا طَالَ عِنْدَهُمُ الْمَقَامُ

إِذَا صَاحَبْتَهُمْ فِي الدَّهْرِ يَوْمًا  
فَإِنَّكَ فِي الْوَضَاعَةِ لَا تَلَامُ

ثُمَّ نَادَيْتُ بِنِزَارٍ ، الْمُنْتَسِبُ لِنِزَارٍ :

نِزَارُ يَا نِزَارُ يَا نِزَارُ  
عَلَيْكَ فِي اللَّيْلِ هُوَ الْمَدَارُ

مَا أَنْتَ إِلَّا رَجُلٌ خَوَّارُ (122)  
لِبَاسِكَ الْعُشُكُورُ وَالزُّنَّارُ

وَأَكَلُكَ الْخِنْزِيرُ وَالْعُقَارُ  
لَا خَيْرَ يَرْجُو مِنْ يَدَيْكَ الْجَارُ

كَيْفَ وَقَدْ هَذَبَكَ الْجِدَارُ (123)

ثُمَّ نَادَيْتُ بِزُرْطَى ، الْمُنْتَسِبُ لَطَى :

|                                    |                                |
|------------------------------------|--------------------------------|
| جَدِّي قُلُ حَاتِمُ طَيِّ          | يَا زُرْطَى يَا زُرْطَى        |
| أَمَّا أَنَا مَا أَنَا شَيْ        | ذَاكَ الْكَرِيمُ وَالسَّخِي    |
| أَكَلُ وَحْدَى فِي طُؤَى (124)     | إِذَا أَتَى وَقْتُ الْعُذَى    |
| عِنْدَى صَوَارُ فِي النَّدَى (125) | فَلَوْ تَرَانِي يَا أَخَى      |
| يَطْرُقُنِي بَعِيرُ نَبِي          | لَا تَتْرُكُ الْخِلَّ الصَّفَى |
| جَاوِبْنَاهُ بِهِي هَي             | إِذَا سَمِعَنَ طَيِّ طَيِّ     |

قَلَمًا تَسْمِعُوا يَسْعَرُ رُزْطِي مَاتُوا ضَحِكَا ، قَمِيرْتُ عَنْهُمْ وَلَمْ  
أَخْفَ دَرَكَا ، وَلَوْ لَمْ أَتَعَمَّدْهُمْ بِذَلِكَ لَعَرَّضُونِي لِلْمَهَالِكِ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ  
أَنِّي مَا قُلْتُ إِلَّا حَقًّا ، وَمَا أَظْهَرْتُ مِنَ الْحَقِّ إِلَّا حَقًّا .

فَدَخَلْتُ طَرِيفَ ، فَوَجَدْتُهَا بِضَدِّ اسْمِهَا ، فَدَعَوْتُ اللَّهَ تَعَالَى  
بِمَحْوِ رِسْمِهَا ، وَرَأَيْتُ الْقَصْبَةَ (126) ، أَضْيَقُ مِنْ أَنْبُوبِ الْقَصْبَةِ ،  
وَكِدْتُ أَهْلِكَ بِتَسْمِيهَا الْأَذْفَرُ (127) لَوْلَا حُضُورُ الْمِسْكِ الْأَذْفَرِ ،  
فَأَنْشَدْتُ :

يَا أَهْلَ أَنْدَلِيسِ غَلِطْتُمْ وَيَحْكُمُ  
فِي اسْمِ الْجَزِيرَةِ عِنْدَكُمْ وَ طَرِيفِ  
سَمَّيْتُمْ الْخَضْرَاءَ وَ هِيَ بِضِدِّهَا  
وَ كَذَا طَرِيفٌ وَ هُوَ غَيْرُ طَرِيفِ

وَأَقْسَمْتُ حِينَئِذٍ بِالَّذِي وَضَعَ الْعَبْرَاءَ (128) ، وَرَفَعَ الْخَضْرَاءَ  
(129) ، لِأَيِّمِنَ الْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءَ ، فَوَلَّيْتُ عَنْ طَرِيفٍ مَشْمَرًا ،  
وَأَتَيْتُ إِلَى الْجَزِيرَةِ مُتَتَهِّرًا ، فَدَخَلْتُهَا وَخَلَيْتُ خَلْفِي ، زَادِي وَعُدَّتِي  
وَالْفِي ، فِي يَوْمٍ كَثُرَ أَوَارُهُ (130) ، وَظَهَرَ مِنْ سَاكِينِهَا عَوَارُهُ (131)  
لَأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَعْلَمُ أَنَّهُمْ أَهْلُ الْجِدَارِ (132) ، الَّذِينَ عَلَيْهِمْ فِي الْبُخْلِ  
الْمَدَارُ ، فَقُلْتُ لَهُمْ اسْقُونِي مِنَ الْمَاءِ جَرَّةً ، فَقَدْ أَصَابَتْني غَلَّةٌ  
وَلَوْعَةٌ ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ : هَاتِي حَقَّهَا ، وَتَكُونُ مُسْتَحِقَّهَا ، وَإِلَّا فَاَلْمَاءُ  
خَارِجَ الْجَزِيرَةِ ، وَمُشَارِبُهُ غَزِيرَةٌ ، فَأَنْشَدْتُ :

قَدْ كُنْتُ أَطْمَعُ فِي الْخَضْرَاءِ أَسْكُنُهَا  
دَهْرًا وَأَلْزَمُهَا بِالْأَهْلِ وَالْوَلَدِ  
حَتَّى رَأَيْتُ بِهَا قَوْمًا قَدِ انْفَرَدُوا  
بِالْزُّومِ وَالْبُخْلِ وَ التَّقْتِيرِ وَ الْحَسَدِ



إِنْ جِئْتَ تَطْلُبُ مَاءً مِنْ دِيَارِهِمْ  
قَالُوا لَكَ : الْمَاءُ يَجْرِي خَارِجَ الْبَلَدِ

فَإِنْ أَتَيْتَ إِلَى نَارٍ لِتَوْقِدَهَا  
قَالُوا : اشْتَرِ النَّارَ وَأَقْرَبْ نَحْوَهَا وَقَدْ

إِنْ كَانَتْ النَّارُ تُشْرَى عِنْدَ أَنْدَلُسِ  
فَكَيْفَ يَدْخُلُهَا غَازٍ مَدَى الْأَبَدِ (133)

عَلَيَّ نَذْرٌ إِذَا فَارَقْتُ أَنْدَلُسًا  
تَرْكُ الْإِحْصَانِ وَتَرْكُ الْمَالِ وَالْعَدَدِ

فَخَرَجْتُ عَنْ نَادِيهِمْ وَسِرْتُ لِأَشْرَبَ مِنْ وَادِيهِمْ فَوَجَدْتُهُ يُلْحَا  
أَجَاجًا ، لَأَفْرَاتًا وَلَا ثَجَاجًا ، وَقَدْ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ ، وَصَارَ كَالْقَدَمِ كَوْنُهُ ،  
فَقُلْتُ .

سَأَلْتُكُمْ بِرَبَّنَا عَزَّ وَجَلَّ  
هَذَا الَّذِي تَدْعُونَهُ وَادِي الْقَتْلِ (134)

فَهَلْ قَصَدْتُمْ بِاسْمِهِ ضَرْبَ الْمَثَلِ  
أَوْ هَلْ وَجَدْتُمْ طَعْمَهُ مِثْلَ الْقَتْلِ

فَرَجَعْتُ عَنْهُ كَأَنِّي ظِمَانٌ غَرَّهُ الشَّرَابُ ، إِذْ وَجَدْتُهُ كَأَلْمَلْ  
يَشْوِي الْوُجُوهَ وَيُبْسُ الشَّرَابَ (135) ، ثُمَّ التَفَتْتُ إِلَى جِدَارٍ  
أَخْلَقَ الزَّمَانُ بِنَاءَهُ ، وَلَمْ يَصْرِفْ إِلَيْهِ أَحَدٌ اعْتِنَاءَهُ ، وَقُلْتُ لِمَنْ حَصَرَ  
مِنْ أَهْلِ الْجَزِيرَةِ ، وَقَدْ مَلَأَ مِنَ الْمَاءِ زَيْرَهُ : مَا بَالُ هَذَا الْجِدَارِ  
مَدَّ هُدُومَ ، أَحَيَّ صَاحِبَهُ أَمْ غَدِمَ ، فَقَالَ : هُوَ لِلْعَلَامَتَيْنِ الْيَتِيمَيْنِ ،  
الْفَقِيرَتَيْنِ الْعَدِيمَتَيْنِ ، الَّذِي وَجَدَهُ الْخَضِرُ يَرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ  
وَلَمْ يَسْتَطِعْ مَعَ صَاحِبِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِقَامَةً ، وَهَذِهِ

الْقَرْيَةُ الَّتِي اسْتَطَعْنَا أَهْلُهَا فَأَبْتُوا أَنْ يَضِيفُوهُمَا ، وَبَخَلُوا عَلَيْهِمَا  
بِالطَّعَامِ وَعَتَّفُوهُمَا ، وَشَوُّمُ الْجِدَارِ مَعْرُوفٌ ، وَبُخْلُ أَهْلِ قَرْيَتِهِ  
فِي الْقُرْآنِ مَوْصُوفٌ ، فَأَنْشَدْتُ :

أَتَرْجُو الْفَضْلَ فِي أَهْلِ الْجِدَارِ  
حَذَارِ حَذَارِ لَا تَطْمَعُ حَذَارِ

أَتَاهُمْ لَيْلَةٌ مُوسَى وَ مُوسَى (137)  
قَبَاتًا بِالطَّلَوَى خَلْفَ الْجِدَارِ

إِذَا مَنَعُوا تَبِيَّهُمْ طَعَامًا  
وَ صَاحِبَهُ فَكَيْفَ يَكُونُ سَارِ  
قَلَوْ عِلْمَ الْإِلَهِ هُنَاكَ قَضَاءُ  
لَمَّا تَرَكَوهُمَا تَحْتَ الْقَفَارِ

سَأَرَحَلُ مِنْ بِلَادٍ لَيْسَ فِيهَا  
مَكَانٌ لِلْإِتِمَامَةِ وَالْقَرَارِ

أَمَّا وَاللَّهِ إِنْ مَنَعُوا جَوَازِي  
رَمَيْتُ النَّفْسَ فِي لُجَجِ الْبَحَارِ

فَمَا يَتَرَجَّى مِنْ قَوْمٍ تَغَيَّرَتِ السُّنَنُ وَأَقْوَالُهُمْ ، وَتَبَدَّلَتِ  
سَيَرُهُمْ وَأَحْوَالُهُمْ ، يَرَوْنَ الْخَطَأَ صَوَابًا ، وَالْمَأْثَمَ ثَوَابًا ، قَدْ قَرَأُوا  
الْخِيَانَةَ قَبْلَ الدِّيَانَةِ وَتَعَلَّمُوا الْوَضَاعَةَ ، قَبْلَ الرِّضَاعَةِ :

فَكَانَتْهَا خُلِقَتْ مُوَافِقَةً لَهُمْ

دُونَ الْوَرَى وَكَأَنَّمَا خُلِقُوا لَهَا

لَا فَرْقَ عِنْدَهُمْ بَيْنَ الْفَلَكِ وَالْفَلَقِ ، وَلَا بَيْنَ الْمَلِكِ وَالْمَلَقِ ،  
وَالْحَبْكِ وَالْحَبَقِ ، وَالشَّرْكَ وَالشَّرْقَ ، وَالْدَّرْكَ وَالْدَّرَقَ (138) ، قَدْ

رجع سلامهم سليماً ، وكلامهم كليماً (139) ، ففقس على ذلك  
نصيب ، فإنه على ذلك المنهاج نصب ، ومن غريب ما اتفق لي فيها  
حين كنت أوافيها ، أنني مررت بإمام يصلي بالناس ، وهو يقرأ  
بقل أعوذ برب الناس :

قد بدّل الوسواس بالوسويس  
و كذلك الخناس بالخنيس

و كذلك بدّل آية في آية  
حتى يوسوس في صدور النيس (140)

فأمهلته ريثماً أتمّ صلاته وقراءته ، ولبس عباعته وملاعه ،  
فابتدأته بأشدّ العتاب ، وقلت له : لم بدّلت الكتاب ، وإثمه على  
الذين يبدّلونه ، ووژره عليهم يخلونه ، فأنسم أنه قرأه كذلك  
على قراء عصره ، وأنّ تلك لغة أهل عدوته ومصره ، فقلت :

يا أهل أندلس مالى رأيكم  
أحدثتم في كتاب الله ألعانا

نبدّتموه و بدّلتهم معانيه  
عما بمصحف عثمان بن عفان

صلوا الصلاة ولا تقرّوا بها سوراً  
فقد ردّتم على فريق فرقانا (141)

بدّلتهم القول حتى قول خالقنا  
لقد أتيتم لعمرو الله بهتاناً

وإن دعوتكم لحنتكم في دعائكم  
فكيف تستوجبون الدهر غفرانا

رَبِّ الْعِبَادِ غَنَى عَنْ دَعَائِكُمْ  
و نَحْنُ أَيْضاً عَنْ التَّأْمِينِ أَغْنَانَا

وَجَلَسْتُ يَوْمًا عِنْدَ الْقَاضِي ابْنِ عُذْرَةَ (142)، وَكُنْتُ فِي  
الْأَحْكَامِ لَا أَقْبَلُ عُذْرَهُ ، فَإِذَا بَرَجِلَ مُقْبِلٌ ، لِدُمُوعِهِ مُسِيلٌ ، فَلَمَّا  
قَرَّبَ مِنَّا تَنَهَّدَ ، وَأَنْشَدَ :

أَبْصُرْتُ شَابًا يَا فَتِيهَ حَكِيمًا  
فَأَرَيْتُهُ مِمَّا ادَّخَرْتُ عَلِيمًا

أَخَذَ الْعَلِيمَ وَرَدَّهُ فِي بَيْتِهِ  
و أَبِي يُفَارِقُهُ فَبِتَّ سَقِيمًا

فَأَخَذْتُهُ بِظَاهِرِ قَوْلِهِ وَلَفْظِهِ ، وَأَنْشَدْتُهُ جَوَابًا بَعْدَ عَنْ فَهْمِ  
الْقَاضِي وَجَفَظَهُ :

إِنْ كَانَ حَقًّا مَا تَقُولُ فَإِنَّهُ  
عَدْلٌ رَضَى فَاذْدَدْ بِهِ تَعْظِيمًا  
تَا اللَّهُ لَوْ أُعْطِيَ عَلِيمًا مِثْلَهُ  
مَا بِتَّ مُفْتَقِرًا وَلَا مَهْمُومًا

فَلَمَّا سَمِعَ الْقَاضِي الْبَيْتَيْنِ ، صَفَّقَ بِالرَّاحَتَيْنِ وَقَالَ لِي  
وَيْحَكَ ، مَدَّ عَرَضَتْ نَفْسُكَ لَانْكَارِ الْوَدَائِعِ ، وَتَصَبَّتَ لِلنَّاسِ  
الْخَدَائِعِ ، فَقُلْتُ لَهُ : أَنْتَ بِالْمَعَانِي جَاهِلٌ ، وَعَنِ الْحَقَائِقِ ذَاهِلٌ :  
وَمَا انْتِفَاعُ أَخَى الدُّنْيَا بِنَظَائِرِهِ

إِذَا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الْأَنْوَارُ وَالظُّلُمُ (144)  
وَإِذَا بَثَانِ أَوْدَعَ رَجُلًا مَالًا ، وَاحْتَمَلَهُ لَهُ اخْتِمَالًا ، فَلَمَّا

قَرَّبَ مِنْ مَوْضِعِ الْأَوَّلِ ، أَنْشَدَ وَأَعُول :

لِي عِنْدَ هَذَا يَا بَنَ عُذْرَةَ مِيلُ  
وَالْمِيلُ (145) مِيلِي سَاقَهُ الْحَمِيلُ (146)

أَوْدَعَتْهُ بِالْأَمْسِ فِي صُنْدُوقِهِ  
فَسَخَا بِهِ كَلًّا فَمَرَّ الْمِيلُ  
فَأَجَبْتُهُ هَذَا مَحَالٌ بَاطِلٌ  
فَاذْهَبْ فَإِنَّكَ أَحْمَقُّ مَذْهُولٌ

لَا تَسْتَطِيعُ الْفُلُكَ تَحْمِيلُ رُبْعِهِ  
كَيْفَ الصُّنْدُوقُ مَا لِذَاكَ تَبِيلُ (147)

قَالُوا جِئْتِ الْحُكْمَ فِيمَا بَيَّنَّنَا  
قُلْتَ اذْهَبُوا مَا فِي الْجَزِيرَةِ قِيلَ

تَقَامُ الْقَاضِي وَقَعْدٌ ، وَدَنَى وَابْتَعَدَ ، وَقَالَ : لَقَدْ أَمَرْتُ فِي  
الْعُقُوقِ ، وَمَقَرْتُ فِي أَخْذِ الْحُقُوقِ ، فَقُلْتُ لَهُ : هَذَا وَأَبْيَكِ الْجَوَابُ ،  
وَالَّذِي قُلْتَ هُوَ الصَّوَابُ ، قَبَيْنَمَا نَحْنُ نَطِيلُ الْكَلَامِ ، وَكُثِرَ الْمَلَامُ  
وَإِذَا يَثَالِثُ قَدْ ادَّعَى عَلَى رَجُلٍ أَنَّهُ قَتَلَ لَهُ حَمَامًا ، وَدَمَعُهُ يَنْسَجُمُ  
أَنْسِجَامًا ، وَهُوَ يَضْرِبُ عَلَى خَدَّيْهِ . بِيَدَيْهِ ، فَلَمَّا دَنَا مِنَّا تَنَفَّسَ  
الصُّعْدَاءُ ، وَأُدْهَشَ الْأَقْرَبِينَ وَالْبُعْدَاءُ ، وَقَالَ :

أَلَا قُلْ لِي ابْنِ عُذْرَةَ يَا قَفِيهَا  
حَمَى أَحْكَامَهُ وَحَوَى الْعُلُومَا

فَدَيْتَ ! أَصَابَ لِي هَذَا حَمِيمَا (148)  
فَخَلَّفَهُ صَرِيحًا لَنْ يَقُومَا

أَتَيْتُ بِهِ مِنْ أَسْجِهٍ صَغِيرًا (149)  
وَكُنْتُ أَحَبُّهُ حُبًّا عَظِيمًا

فَأَتَسَنَّى وَكُنْتُ لَهُ أُنَيْسًا  
وَصِرْتُ بِهِ ، وَإِنْ يَجْفُو ، رَحِيمًا

تَرَكْتُ الْأُمَّ تَنْذُبُهُ وَتَبْكِي  
كَمَا بَكَتِ الْهَدِيلُ بِهِ قَدِيمًا (150)

فَخُذْ لِي يَا بَنَ عَذْرَةَ مِنْهُ حَقِّي  
فَمَا لَأَقِيْتُ مُذْ أَوْدَى نَدِيمًا

ثُمَّ التَفَتْتُ إِلَى قَائِلِ حَمَامِهِ ، وَجَاوَبْتُهُ مَجَابَةً أَدْنَتْهُ لِحَمَامِهِ:

فَقُلْتُ أَسْمَعَ مَقَالَاتِهِ وَ أَوْحِزُ  
وَ بَيِّنْ لِي الطَّرِيقَ الْمُسْتَقِيمًا

أَمَّا تَخْشَى إِذَا أَنْكَرْتَ يَوْمًا  
يَخَافُ بِهِ مُعَايِنُهُ الْجَحِيمًا

وَلَا يَدْرِي الصَّدِيقُ بِهِ صَدِيقًا  
وَلَا يَسْتَلُ الْقَمِيمُ بِهِ حَمِيمًا

فَقَالَ : الْحَقُّ مَا قَدْ قَالَ خَصْمِي

نَعَمْ إِنِّي قَتَلْتُ لَهُ حَمِيمًا

فَلَمَّا أَقْرَرَ بِالْقَتْلِ . وَاعْتَرَفَ بِالْخَتْلِ ، قُلْتُ لِلْحَرَسِ خُذُوهُ ،  
وَأَيَّاكُمْ أَنْ تُنْفِذُوهُ ، وَاجْهَلُوهُ لِلْمَوْتِ ، وَعَجَّلُوا بِهِ لِلْفَوْتِ ، فَعِنْدَمَا  
رَأَى الْقَاضِيَ عَزْمِي . وَإِنْفَادَ حُكْمِي ، زَفَرَ زَفْرَةَ الْغَيْظِ ، وَكَادَ يَتَمَيَّزُ  
مِنَ الْغَيْظِ ، وَقَالَ رَفَقًا يَا عَبْدَ الْعَزِيزِ ، سَأَلْتُكَ بِالْمَلِكِ الْعَزِيزِ ،

فَقَدْ خَالَفَتْ فِي الْأَحْكَامِ ، وَجَدَتْ فِيهَا عَنْ مَنَاجِ الْحُكَّامِ ، فَقُلْتُ  
 لَهُ : نَدَبَزْ أَحْكَامِي ، وَتَعَجَّبْ مِنْ بَدَائِعِ إِحْكَامِي ، فَإِنَّ الْحَمِيمَ  
 الصَّاحِبَ ، وَالْحَمَامَ النَّادِبَ ، فَانْصَرَفْتُ وَتَرَكْتُ الْقَاضِيَ عَلَى  
 جَهَالَتِهِ ، وَخَلَفْتُهُ عَلَى صَلَاتِهِ ، وَسَأَلْتُ فَتَى لَمْ يَزَلْ لَهُمْ مُجَاوِرًا ،  
 وَكَانَ مُلتَزِمًا لِأَخْبَارِهِمْ ، عَارِفًا بِأَخْبَارِهِمْ ، لِمَ صَارَ كَلَامُهُمْ كَلِيمًا ،  
 وَتَسْلَامُهُمْ سَلِيمًا ، فَقَالَ :

أَبْنُكَ يَا فَتَى سِرًّا خَفِيَا  
 بِهِ صَارَ السَّلَامُ لَهُمْ سَلِيمَا

وَذَلِكَ أَنَّ مُوسَى حِينَ وَافَى  
 قَرِيَّتَهُمْ (151) وَصَاحِبَهُ الْكَلِيمَا (152)

وَقَدْ طَلَبَا الْمَضَافَ فَمَا أُضِيفَا  
 وَلَمْ يَجِدَا بِهَا حُرًّا كَرِيمَا

..... (153) .....

لَكَيْ يَدْرِي الْأَنَامُ بِأَنَّ مُوسَى  
 عَلَيْهِ وَخَلِيهِ بَخِلُوا قَدِيمَا

فَقِيسَ أَقْوَالُهُمْ بِفَعِيلٍ كَلًّا  
 تَجِدُ مَا قُلْتَهُ لَكَ مُسْتَقِيمَا

ولما طَالَ فِي الْجَزِيرَةِ الْمَقَامَ الْمُتَوَالِي ، فِي صُحْبَةِ الْمَقَامِ الْعَالِي ،  
 خَشِيتُ أَنْ تَفْسُدَ الطَّبَاعُ وَتَسْتَنْعِجَ السِّبَاعُ (154) وَالْجَمْرُ يَخْمدُ  
 ، أَنْ وَضِعَ فِي الرَّمَادِ (156) ، وَلَوْمْ الْجَزِيرَةُ يُؤَثِّرُ حَتَّى فِي الْجَمَادِ  
 وَمَا زِلْتُ أَدْعُو اللَّهَ أَنْ يُهَوِّنَ فِي جَوَازِ السُّلْطَانِ ، وَيَبْلِغَنَا الْأَوْطَانَ ،

فَفَعَدْتُ يَوْمَ ارْتِحَالِي مِنْهَا ، وَمَسِيرَتِي عَنْهَا ، مَعَ الْفَقِيهِ الْأَسْنَى أَبِي  
فَارِسِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْعِمْرَانِيِّ كَلْتَبِ الْخِلَافَةِ ، وَكُنْتُ أَخْتَارُ دُونَ  
النَّاسِ اثْتِلَاْفَهُ ، فَمَا زِلْنَا نُجِيلُ فِي الرَّحِيلِ الْإِفْكَارَ ، وَنُكْثِرُ مِنْهُ  
الْإِذْكَارَ ، وَإِذَا بَعْرَابٌ قَدْ تَعَقَّ ، وَادْهَشَ النَّاسَ ( س ) بَعَقَ عَقَ  
( 158 ) ، فَاَنْشَدْتُ :

إِذَا نَعَقَ الْغُرَابُ عَلَى الْجَزِيرَةِ  
فَابْشِيرْ إِنَّ فُرْقَتَهَا يَسِيرَةُ

فَقَالَ الْفَقِيهُ الْمَذْكُورُ :

مَعْوَلٌ أَنْ تَجُوزَ بِغَيْرِ شَكٍّ  
فَإِنَّ عَجَائِبَ الدُّنْيَا كَثِيرَةُ

فَوَاللَّهِ مَا أَتَمَمْنَا الْبَيْتَيْنِ بِالْإِزْتِمَالِ ، إِلَّا وَشَرَعَ أَمِيرُ  
الْمُسْلِمِينَ فِي الْإِزْتِمَالِ ، فَعِنْدَمَا تَرَكْتُ الْجَزِيرَةَ خَلْفِي ، وَطَمِعْتُ فِي  
اجْتِمَاعِي بِالْأَفَى ، تَطَرَّثُ إِلَيْهَا بَعْدَمَا أَبْعَدْتُهَا ، وَأَمْسَكْتُ لِحِيَّتِي  
فِي يَدَيَّ وَأَنْشَدْتُهَا :

إِذَا مَا عَدْتُ نَحْوِكَ فَاخْلُقِيهَا  
بِمَوْسَى أَوْ بِقَارٍ فَاَنْتَفِيهَا

وَقُلْ لِلْجَزْرِ ( يَرَّة ) الْخَضْرَاءُ مَهْمَا ( 159 )  
رَكِبْتُ الْفُلَّكَ نَحْوَكَ غَرَّقِيهَا

فَمَا أَبْصَرْتُ فِي الْخَضْرَاءِ إِلَّا  
وَجُوهًا ( يَسْتَبِينُ ) اللَّؤْمُ فِيهَا ( 160 )

تَمَّتْ طَرْمَةُ الظَّرِيفِ ، فِي أَهْلِ الْجَزِيرَةِ وَطَرِيفِ



## ج - الحواشي

- 1 ( نفع الطيب ، 6 : 12
- 2 ( التبيين .. 24
- 3 ( أعمال الاملاء : 227
- 4 ( نفع الطيب : 228
- 5 ( المصدر نفسه : وعبارة ذلك المؤرخ كما نقلها المقرئ : « ولما كان البربر بالقرب منهم ، وليس سوى تعدية البحر ، ويرد عليهم ( الاندلسيين ) منهم ( البربر ) طوائف منحرفة الطباع خارجة عن الاوضاع ازدادوا منهم نفورا وأكثر تحذره من نسب أو مجاورة .. »
- 6 ( المصدر نفسه ، 3 : 23
- 7 ( نفع الطيب ، 5 : 82
- 8 ( جدوة المقتبس : 210
- 9 ( المقتبس : 78 ، 190 تحقيق عبد الرحمن حجي .
- 10 ( المصدر نفسه : 156 الى ص . 168 .
- 11 ( المصدر نفسه : 160
- 12 ( المصدر من . 190 — 191
- 13 ( المصدر نفسه من 190
- 14 ( الذخيرة من 10 ( مخطوط بغداد ) .
- 15 ( البيان المغرب 3 : 48
- 16 ( المصدر نفسه ، 3 : 76
- 16 م ( في المصدر السابق أمثلة عديدة لها ومثل اليه ذلك الحق الاخرق والحد الامي راجع من . 75 وما بعدها .
- 17 ( نفع الطيب 1 : 405 — 406 .
- 18 ( الذخيرة 2/1 : 372 والتبيان .. : 207 ، واخبار وتراجم اندلسية مستخرجة من معجم السلفي : 83 — 84 تحقيق د . احسان عباس .
- 19 ( ديوان ابن دراج : 4 — 6 ، 91 — 92
- 20 ( ثلاث المقيان : 19 . ق
- 21 ( ثلاث المقيان : 88 — 89 — 97
- 22 ( الذخيرة ( ترجمة ابن حصن في القسم المخطوط )
- 23 ( زاد المسائر : 79 — 80 ومعجم البلدان ( مادة ناس ) .
- 24 ( زاد المسائر : 70
- 25 ( راجع مقالة الاستاذ عبد الله كسون
- 26 ( ديوان الامي التظلي : 90 . 91
- 27 ( ثلاث المقيان 278 — 280
- 28 ( نفع الطيب : 4 : 181
- 29 ( نفع الطيب 4 : 182 وامثال العموم في الاندلس قاص 206 و ق2 ص . 53
- 30 ( مفاخر البربر
- 31 ( نفع الطيب 4 : 196 .
- 32 ( الذيل والتكيلة 8 : 157 — 225 مخطوط خ . ع .
- 33 ( المرتبة العليا : 132

- (34) الشعر الاندلسي ص 66 ترجمة د. حسين مؤنس .
- (35) رسائل البلوى — مخطوط الخزانة الملكية بالرباط .
- (36) المغرب لابن سفيان ج 1 ص 310
- (37) اختصار القدر الملقى : 201
- (38) زاد المسافر : 3 — 4
- (39) أبو المطرف أحمد بن عميرة : 131 — 132
- (39 م) انظر قاعدة : « ولا يستعمل بلدى ما وجد أندلسي » في نفع الطيب نقلا عن ابن غالب ج 4 ص 148 .
- (40) الكاتب هو ابن عابد الفاسي . وانظر الرسائل المذكورة ، لابن عميرة والرعيثي وابن الجنان في الذيل والتكملة ص 5 ق 1 من ص 327 الى ص 350
- (41) اختصار القدم الملقى : 22 .
- (42) نشرت عدة مرات ، وآخرها بتحقيق د. أحمد بختار المبادي في « مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب » .
- (43) تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الاندلس : 575 — 576 .
- (44) اتحاف أشرف البلاء ، ص 133 . مخطوط الخزانة العامة بالرباط .
- (45) نفع الطيب 8 : 386 وديوان ابن الخطيب : 79 ، 566 ، تحقيق محمد مفتاح . نسخة مطبوعة على الآلة الكاتبة .
- (46) وجدت بعد كتابة هذا ان الاستاذ حسين مؤنس احس بهذا فقال : « ولكن الاغلب ان هذه تعلق لها روى اليه من تفضيل الاندلس على المغرب في صورة مغارة بين ميثاقين اندلسي هو بالغة ومغربي هو سلا » تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الاندلس 576 .
- (47) أرجوزة تاريخية مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط .
- (48) اتحاف اشرف الملا .... ص 133 .
- (49) تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الاندلس : 576 .
- (50) في الذيل والتكملة للمراكشي اشارات في مواضع مخططة الى من ألف فيه ، ومنه اراجيز على حروف الهجاء ولعل اقدمها أرجوزة ابن سيده وعلى طريقتها أرجوزة ابن حريق البللسني وأرجوزة ابن ذنون الاشبيلي وغيرهم .
- (51) مطبوعة على الحجر بنحاس .
- (52) حضرة الارتياح : 3
- (52 م) كتب الاستاذ المنوني في وصف المجموع الذي يوجد به النص المذكور ما يلي :
- « ومن التذكرات الاندلسية في نسخة خاصة قطعة من مقدمات يفكرها صاحبها (ص 44) باسم « الدفتر » وأغلبها بخط أندلسي يبدو من مقارنته أن كاتبه هو الواديائي البلوى أحمد بن علي بن أحمد الاندلسي نزيل تلمسان وتلميذ أنس غازي ومن في طبقته وهي تبديء بمقالة في ذم الجزيرة الخضراء وطريف ، سميت في آخرها (ص 10) طرفة الظريف ، في اهل الجزيرة وطريف ، فمر أنها مبتورة الاول ولذلك لم يعرف اسم مؤلفها الذي قد يكون مغربيا ، ثم يفسب على المجموعة بعد هذا تسجيل الانادات والانشادات ، وضمنها مقدمات من رحلة ابن رشيد : « ملء الميعة ... » التي اقتباس من كتاب « الفرة المكنونة في محاسن أسطوتة » ومن كتب الاطالة لابن الخطيب مع بعض أشعار صاحب التذكرة ومقدمات مهمة بخط مغربي كاتبه من تلاميذ القاضي الحميدى (ص 173) بها 100 ص مسطرة مختلفة . بقياس 150/210 سم . »
- مجلة الفاعل ع . 2 . ص 223

- 53 ( روض القرطاس : 298 ( ط ، دار المنصور ) والذخيرة السنية : 86  
 54 ( روض القرطاس : 375 .  
 55 ( روض القرطاس : 375 والذخيرة السنية : 89 .  
 56 ( مستودع السلامة : 48  
 57 ( نفع الطيب ا : 278  
 58 ( أمثال العوام في الاندلس قاص . 206  
 59 ( ترجم به ابن الخطيب تقيدا بشرط كتابه وهو يقول في ذلك : « احتل بظاهر  
 غرناطة في جملة السلطان أمير المسلمين أبي يعقوب وأبى المسلمين أبيه  
 فاستحق الذكر لذلك »  
 الاحاطة : 276 مخطوط الاسكوريال ، وراجع ترجمة المزورى  
 في النبوغ ومشاهير المغرب للاستاذ كتون ومقدمة نظم الملوك للاستاذ عبيد  
 الوهاب بن منصور .  
 60 ( روض القرطاس : 271 - 272 .  
 61 ( الاحاطة : 275 مخطوط الاسكوريال .  
 62 ( روض القرطاس : 321 .  
 63 ( العبر لابن خلدون ج 7 ص . 409 ( ط . بيروت ) .  
 64 ( المصدر نفسه ج 7 ط من ص . 409 الى ص . 414 .  
 65 ( المصدر نفسه ص . 414  
 66 ( المصدر نفسه ص . 414  
 67 ( العبر ج 7 ص . 414  
 68 ( المصدر نفسه ص . 414  
 69 ( المصدر نفسه ص . 414  
 70 ( المقدمة  
 71 ( المصدر نفسه  
 72 ( الاحاطة ا : 142 ( ط دار المعارف بمصر )  
 73 ( نفع الطيب ا : 208  
 74 ( أمثال العوام في الاندلس قاص . 264 .  
 76 ( نفع الطيب ا : 271 وما بعدها ، 4 : 146 .  
 77 ( أمثال العوام في الاندلس قاص . 207 وما بعدها .  
 78 ( الروض المعطار : 74 وناقل هذه الرواية وناشرها في الاندلس هو المحدث الاندلسي  
 ابن وضاح .  
 79 ( المفسر ج اص . 320 .  
 80 ( المصدر نفسه  
 81 ( راجع كتابنا : أمثال العوام في الاندلس قاص . 282 وما بعدها وص . 292  
 82 ( عبد العزيز : انظر ما كتبناه في مقدمة هذا النص .  
 83 ( الورق : الدراهم .  
 84 ( طريف : من جزيرة طريف المعروفة اليوم باسم Tarifa  
 الروض 8 ، 127 من النص العربي -  
 12 ، 154 من النص الفرنسي .  
 ومادة طريف في دائرة المعارف الاسلامية .  
 85 ( حوصلوا : اذربوا .

- 86 ( نكلوا : تأخروا وتراجعوا  
87 ( المنكبة :  
88 ( هكذا ورد القول مضبوطا ومنقوفا في الاصل ، وهو مثل أندلسي جاء في أمثال  
الزجالى القرطبي كما يالى : لكل ججمة حممة . و المثل يضرب في  
الاستئثار بالطعام والافراد في الاكل وعدم دعوة الغير اليه أو اشتراكهم فيه فهو  
أذن من الأمثال التي تدعمو الى الاثرة المذمومة . انظر كتابنا : أمثال العوام في  
الاندلس ق 2 س . 285 .  
89 ( كذا في الاصل . ولعل الاصول : ولهم .  
90 ( جرندة ؟  
91 ( العثر : الغبار والزبل  
92 ( الكتانة جبة السهام وجمعة امثال كما هنا .  
93 ( ضراغة : اسودا جمع ضرغام  
94 ( الهياجى : الحروب جمع هيجاء .  
95 ( وخلفته أى خلفه الربيع وهو النبات الذى يخرج بمده .  
96 ( وبان : لعلها الكلمة القشتالية Pano أى خيسز  
97 ( الزناترة : جمع زنار ، وهو ما يشد به النصارى أوساطهم .  
98 ( الادلاج سير الليل ، والمقصود هنا ما كان من ترصد قريش للرسول ليلة الهجرة .  
99 ( بدمج أى بهم ومستور .  
100 ( الملهج : اللفة .  
101 ( اشارة الى قول الشاعر . ذهبت قريش بالكارم والندى  
واللؤم تحت عائم الانصار  
102 ( قيس :  
103 ( عوانة :  
وينو النجار :  
104 ( اشارة الى القولة المعروفة : بدىء الشعر بكندة ، وختم لكندة  
105 ( كذا في الاصل ولا أنهم معنى هذه الاضافة  
106 ( اشارة الى قول المتنبي :  
الخيال والليل والبيداء تعرفنى  
والسيف والرمح والقرطاس والقلم  
107 ( القنوط : تعريف للكلمة الاسبانية : Canúto ومعناها : العصا دوزى 2 :  
108 ( لعلها جمع بدنة وهى الناقة أو البقرة أو البعير ، ولعل المعنى انه اصبح راعيا  
109 ( يفهم منه أن الحاكة معروفون من قديم بضعة النفس وسقوط البهة  
110 ( بشير الى تنصر جبلة بن الايهم وغيره  
111 ( فتوح الشام : اسم كتاب معروف للواتدى .  
112 ( اصل الدجن الاتمة بالمكان ، ولكنه في الاصطلاح الاندلسي اكتسب معنى اقلية  
المسلمين في ديار الكفر ، ومنه اصطلاح المحضين  
113 ( تبع : لقب ملك الين - ولم يكن يلقب به إلا اذا كانت له حمير وحضر بموت  
والجميع تبابعة وتباع كما هو هنا .  
114 ( أى حتى خالف بنو الاصنر وهم الروم .  
115 ( هذا قريب ، فالمعروف أن القرآن نزل بلغة قريش

- 116 ( تضييق للمثل المعروف : سكت الفسا وطلق خلقا  
 117 ( أفصح من كثافة وأفصح من الكثافة : من الأمثال . أنظر كتابنا : أمثال العوام  
 في الاندلس ق 1 ص 108 .  
 118 ( الريانة :  
 119 ( زعامة :  
 120 ( دعا عليه أن يصيبه مرض الجدام  
 121 ( الحمام : الموت  
 122 ( الغشكيون : من الكلمة الإسبانية :  
 دوزى 2 : 213  
 123 ( تلميح الى مدينة الجدار المشهورة بالبخل .  
 124 ( الطوى : البئر .  
 125 ( أى كلاب ضوآر  
 126 ( يقصد قصبة طريف ، وما تزال قائمة الى يومنا هذا ، وقد وقف عنده السفير  
 المغربى ابن عثمان وقرا الحجر المكتوب فيه تأسيسها في العصر الاموى ، أما  
 الرائحة الكريهة في طريف فقد أشار اليها ابن عثمان وذكر أن سببها أودية الماء  
 المضاف الخارج من الديار وما يجتمع بها من فترات كثيرة تبقى كذلك الى أن  
 يتأتى السيل وقت المطر فيذهب بالجميع الى البحر .  
 الأكسير : 188 تحقيق الأستاذ محمد الفاسى .  
 127 ( الأفسر : الكريه اللثمن .  
 128 ( الضبراء : الأرض .  
 129 ( الخضراء : السماء .  
 130 ( أواره : حرارته وقيظته  
 131 ( أى بدا ما كان مستورا من عيبه .  
 132 ( ذهب عدد من أصحاب البلدان الى أن « الجزيرة الخضراء » هي مدينة الجدار  
 التى ورد ذكرها في سورة الكهف ومنهم البكرى في المسالك والملوك ص. 118  
 ( تحقيق عبد الرحمان الحجى ) والخبيري في الروض المعطار ص. 74 وميه .  
 « وأهل الجزيرة هذه هم الذين أبوا أن يضيفوا موسى والخضر عليهما السلام ،  
 وبها أقام الخضر الجدار وخرق السفينة » أما المفسرون فقد اختلفوا في تسمية  
 مدينة الجدار ، أنظر أقوالهم في تفسير البحر المحيط لأبى حيان .  
 133 ( الغازى : المجاهد وجهه غزاة ، وقد أطلق هذا اللفظ على الجند المغربى المرابط  
 في الاندلس زمن بنى مرين .  
 134 ( يقول ابن سعيد في المغرب 1 : 320 - 321 : « ونهرها يعرف بوادى العسل  
 سمى بذلك لحلاوته » أما ابن عبد المنعم الحبيري فيقول : « ويقرب المدينة  
 مخزل الوادى في البحر ، عليه بساتين كثيرة ومهبطه من حيث تدخله السفن ،  
 ومن شرب أهل الجزيرة ، ويسمونه وادى العسل ويمده البحر الى قدر شطر  
 المدينة ، وهو نحو نصف ميل » .  
 الروض المعطار : 73 ،  
 135 ( من الآية 29 من سورة الكهف .  
 136 ( الزير : الخابية ، ويختلف شكل الزير ووجهه من بلد لآخر .  
 137 ( كذا فى الاصل  
 138 ( يشير هنا الى نطق الكاف عند الاندلسيين . راجع البحث المتعلق بهذا الموضوع  
 في كتابنا : أمثال العوام في الاندلس 1 ص. 292 .

- 139 ( يشير الى ظاهرة الإمالة في نطق الاندلسيين . أنظر دراستنا لها في كتابنا أمثال  
الموام في الاندلس قاص . 282 وما بعدها .
- 140 ( وردت كلمة النيس = الناس مكتوبة حسب الإمالة في معجم الراهب بطرس القلعي  
141 ( كذا في الاصل
- 142 ( كان بنو أعيان الجزيرة الخضراء ، وقد اشتهر منهم أعلام مذكورون في كتب التراجم  
( صلة الصلة : 66 ، 145 )
- وفي نفح الطيب : « من أهل الاندلس من ينتسب الى عذرة .. ومنهم أعيان  
الجزيرة الخضراء بنو عذرة »
- نفح الطيب : 278
- 143 ( لعلة مجال علام أى راية وعلم في لهجة الاندلسيين والمغاربية .
- 144 ( البيت للمتنبي من قصيدته المعروفة
- 145 ( المبل في جميعها بالإمالة : المال .
- 146 ( والحيل بالإمالة أيضا : الحبال .
- 147 ( يقول هذا لانه مهم المبل على انه المسامة المعنوية وليس المال بالإمالة .
- 148 ( جميعا أى حبالها بالإمالة
- 149 ( أسجه : وهذا نطقها العاصى كما في الأمثال وتكتب في كتب البلدان استجة ، وهى  
مدينة تابعة لاقليم اشبيلية .
- الروض المعطار : 14 ودائرة المعارف الاسلامية .
- 150 ( الهديل : فرخ على عهد نوح عليه السلام مات عطشا أو ضيعة أو صاده جارح  
من الطير فما من حياة الا وهى تيكى عليه . القابوس .
- 151 ( القرية : نطق عامى للقرية : أنظر أمثال الموام ق 2 ص 354
- 152 ( كذا في الاصل ، والكليم هو موسى ولو وضع الخضر موضع موسى الواردة في  
أول البيت لكان الامر مقبولا
- 153 ( يبدو ان بيتا سقط هنا ينضمين معنى الدعاء عليهم بأن تهيل السنتهم أو ما  
أشبه ذاك .
- 154 ( أى تصوير السباع نماسجا
- 155 ( هذا من قول أشاعر الممثل به
- 156 ( أى في عبوره وانتقاله الى المغرب .
- 157 ( أبو فارس عبد العزيز الميراني ( الذخيرة السنية : 86 ) والانسى المطرب .
- 298 ، 375 روضة النسرير :
- 158 ( كذا في الاصل باهمال العين ، وفي كتب اللغة بالعين وهى حكاية صوت العراب
- 159 ( الكلمة في الاصل نير تامة
- 160 ( الكلمة محوطة في الاصل . وقد أصاب الابيات الثلاثة محو في الاصل فأكلناهم  
بها يبدو انه الصواب ..

محمد حجي

## ظروف عيش الاساتذة والطلبة في عهد السعديين

انتحل المدرسون أيام السعديين مختلف أسباب المعاش التي لا تعوقهم على القيام بمهمتهم التعليمية ، وسلكوا في تحصيل الرزق سبلا متنوعة بتنوع البيئات الحضرية أو القروية التي كانوا يعيشون فيها .  
منها :

### أ - القضاء والفتيا .

كان القضاء أيام السعديين خاصا بالمدن وبعض القرى المهمة التي تتوسط قبائل كبيرة ، يتولاه أكابر الفقهاء بظهر من الملك نفسه ، ويمتد نفوذ قاضي المدينة الى ضواحيها القريبة وأحيانا الى الاقليم كله ، ويسمى كل من قاصى فاس ومراكش والمحمدية قاضي الجماعة .

والى جانب القاضي يعين في المدن الكبرى ، بظهر كذلك ، مفت يرجع اليه الخصوم - مسبقا - لمعرفة الاحكام الشرعية المتعلقة بقضاياهم ، او يعرضون عليه احكام القضاة التي لا ترضيهم ليصححها أو يفتى ببطلانها . فكان المفتى لذلك بمثابة الخبير القانوني ، والمراقب للاحكام او قاضي الاستئناف ، ولو لم يكن من حقه اصدار احكام الزامية (1) . ومن ثم

(1) - عندما يختلف رأى القاضي والمفتى في نازلة ويتشبت كل منهما برأيه ، يرفع الامر الى السلطان . ومن أمثلة ذلك افتاء يحيى السراج باعتبار شهادة الاب والابن كشهادة واحد اعتيادا على ما في مختصر خليل ، وحكم القاضي عبد الواحد الحميدى باعتبارهما شاهدين فيما لها في تحفة ابن عاصم ، نزلت المسألة الى أحمد المنصور وأثبت رأى القاضي لانه جار على ما به العمل .

انظر التاودي بنسودة ، شرح التحفة ، 1 : 97 .

كانت درجة المفتى أعلى من درجة القاضى ماديا ومعنويا ، فكان القاضى عندما تحمد سيرته ، بعد طول الممارسة والتجربة ، يرقى الى مرتبة مفت ، مثلما حدث لعبد الواحد المونشريسي الذى مكث فى قضاء الجماعة بفاس ثمانى عشرة سنة قبل ان يلى خطة الفتوى على اثر وفاة شيخه على ابن هرون عام 1545/951 . على ان هناك من شيوخ الجماعة من ولي الفتوى مباشرة دون سابق ولاية للقضاء ، كعلى السكتانى وعبد الواحد السجلماسى فى مراكش ، ويحيى السراج ومحمد الفصلى فى فاس . كما ان هناك من ولى القضاء والفتوى معا كمحمد الرحمن التمارتى فى مدينة المحمدية (= ترودنت) .

ونشير هنا الى ان بعض أهل الورع من مشايخ العلم فى هذا العصر كانوا يستنكفون عن تولي مناصب القضاء والفتيا ، فرارا من الاتصال بالمخزن ورجاله ، كشيخ الجماعة بفاس محمد ابن غازى الذى انتحل مختلف الاعذار للتخلص من خطة الفتيا ، وعالم درعة محمد ابن مهدي الذى أعرض بشم عن خطة القضاء ، « مع ما هو عليه من الضرورة الفادحة ، والخاصة الواضحة » (2) ، وأحمد بن على الشفشاونى الذى تعين عليه قضاء بلده فونية مكرها ، وما زال يتنصل منه الى ان تمكن من ذلك ، وكتب فصلا عن هذه المحنة قال فيه إنه ليس فى سلفه من انتهى للمخزن . وقد انتقد أحمد المنجور انتقادا مراما خطة القضاء فى عصره ، وقال انها أفلسست فى آخر أيام الوطاسيين عندما أسندت الى من لا تتوفر فيه الكفاية العلمية ولا النزاهة الاخلاقية ، ثم ظهر داء القضاء من جديد أيام عبد الله القالب ومن اتى بعده من الشرفاء . ويظهر أن الخصومات أيام السعديين لم تكن كثيرة ، حتى فى المدن التجارية الكبرى كفاس ومراكش والمحمدية ، حيث نجد القضاة والمفتين من انشط عناصر التدريس ، ولم يكن الخصوم يحجمون عن غشيان حلقات تدريس هؤلاء ليعرضوا عليهم قضاياهم المستعجلة ، ويطلبوا منهم الأحكام او الفتاوى على مرأى ومسمع من الطلبة الذين

(2) ع . السجلماسى ، الفهرس ، ص . 85 .



لا تقل استفادتهم من هذه النوازل التطبيقية الحية عما يستفيدونه من الدروس النظرية .

وإذا كانت أجور القضاة والمفتين لهذا العهد غير معروفة لدينا ، فإن هناك ظواهر كثيرة تدل على مدى رخاء عيشهم وسعة رزقهم ، حتى أنهم كانوا يبنون الدور الفخمة ، ويمتلكون الإجنه والحقول ، ويستطيعون تقديم الهبات السنیه العديدة للطبقة والفقراء . وقد اشتهر على قاضي فاس عبد الواحد الحمیدی بعد أن كان مملقاً ، فكانت « بنته تلبس خلاخل ذهب لا تحملها الا بسلسلة في حزامها ، ولها إمساء يتبعنها يحملن ما تخرج من حللها » (3) .

#### ب - الانتصاب للشهادة .

تولية هذا المصب أيام السعديين كان بيد القضاة ، يرخصون لمن عرفوا فيه الكفاية والعدالة بتلقى الشهادات ، دون أن يرجعوا في ذلك الى السلطان أو نائبه ، عملاً بما عرف في المذهب المالكي من أن القاضي يستند الى عمله هو في تعديل الشهود وتجريحهم .

كان العدول المنتصبون للشهادة يجلسون في دكاكين خاصة ، تقع غالباً بالقرب من المسجد الأعظم . وقد تكثر هذه الدكاكين المتلاصقة فتسمى سماطاً . ويكون سماط عدول فاس ما لا يقل ، من حيث عدد الدكاكين ، على الاسواق المتخصصة الأخرى في المدينة . ووقوع هذا السماط بجوار القرويين يسهل على العلماء الانتقال منه الى مجالس تدريسهم بالقرويين أو بالمدارس القريبة منها ، بل كثيراً ما كان نجباء الطلبة يقفون أوقات الفراغ بأبواب دكاكين أساتذتهم في السماط ، يستوضحون بعض المشكلات ، أو يتذكرون ويتناقشون مما لا يتأتى مثله في حلقات التدريس العامة .

أما أجور هؤلاء العدول ، فإنهم كانوا يتقاضونها من الزبناء بحسب أهمية ما يحرون لهم من وائقر البيوع والإنكحة والمواريث وغيرها . ولو أن هذه الأجور مبنية على المكارمة لا ضابط لها ، فإنها كانت على العموم

(3) - محمد الانراني ، صفوة ، 97 .

تضمن للعدول كفاف العيش ، وتمكنهم أحيانا من شراء عقارات أو القيام برحلات الى المشرق وما الى ذلك .

#### ج - تولى الامامة والخطابة

الامامة والخطابة من الوظائف ذات الالهمية البالغة أيام السعديين لعناية هؤلاء بتشييد المساجد وتجديدها ، ووقف الرياع المغلة الكثيرة عليها ، ومن المؤكد أن أجور الائمة والخطباء لم تكن متساوية ، لاختلاف الاوقاف الخاصة بكل مسجد ، ففي فاس مثلا كان امام القرويين وخطيبها يتقاضى أكثر مما يتقاضاه امام جامع الاندلس وخطيبها ، وأجر هذا أرفع من أجر امام جامع الاشرف وخطيبه ، بينما يتقاضى أكثر من هؤلاء جميعا خطيب جامع فاس الجديد حيث يصلى نائب السلطان وولي عهده . وفي مراكش اكتسبت اوقاف المساجد التي تشيدها السعديون أهمية قصوى (4) ، كجامع الموحدين أو مسجد الشرفاء ، وجامع باب دكالة ، ومسجد ابي العباس السبتي ، فكانت أوراق القائمين عليها وافرة ، خاصة جامع المنصور بالقصبة حيث يؤدي أمير المؤمنين صلاة الجمعة .

ومن المزايا التي تكاد تكون عامة بين الائمة والخطباء ، حتى أئمة المساجد الصغيرة المنتشرة في الاحياء وفي المدن الثانويه أنهم كانوا يتمتعون بالسكنى المجانية في دور حبسية . ولخطباء المساجد الكبرى زيادة على ذلك بيت خاص في المسجد يسمى (مصرية الخطيب) ، يتخذونه كمكتب للمطالعة أو لالقاء دروس على خواص الطلبة .

#### د - الكراسى العلمية

عرف المغرب الكراسى العلمية مع المرينيين ، لكن ازداد عددها وتضاعفت أهميتها مع السعديين . ولم يعد تأسيسها وتخصيص الاوقاف

(4) - هناك اشارات متعددة للمؤرخين المعاصرين للسعديين تدل على أهمية الاوقاف التي أنشأها الملوك والامراء السعديون منذ بداية دولتهم ، واحتفظ لنا ابن القاضى بنص الوثيقة الحبسية التي أوقفت بها عودة الوزكيتية والدة أحمد المنصور عقارات بالغة الالهمية على المسجد الذي شيده بباب دكالة ، ومن بينها نصف القيسارية بوسط مراكش أى سبعمون حائوتا الا نصف حائوت ، والارضى الجديدة على وادى تسلطنت ، والسمن الكبرى بالمخالص خارج باب تاغزوت مع جميع أرهها وجنائها ومالها ...

انظر ا. ابن القاضى ، المنقى المقصور ، من ص. 13 - 17

لها قاصرا على رجال الدولة ، بل أصبح يشارك في ذلك خاصة الناس وعامتهم .

ومن بين الكراسى المستحدثة أيام الوطاسيين والسعديين ، فى فاس كرسى البخارى بشرح فتح البارى ، عن يسار الطالع من الباب الواقع بشرقى القرويين ، انشاء وأوقف عليه الامير أحمد الوطاسى . وكرسى محصل المقاصد فى التوحيد ، عن يمين الداخل للقرويين من باب الحفاة ، لعله من انشاء السلطان احمد المنصور . وكرسى الموطأ وعمدة الاحكام فى الحديث ، بأحد أركان القرويين ، وكرسى حديثى مماثل له عند باب الخطيب بجامع الاندلس ، وهما من انشاء ووقف خطيب القرويين عبد العزيز الورياغلى . وكرسى حرز الامانى فى تجويد القرآن الكريم ، بمسجد الشرفاء ، من انشاء ووقف أبى القاسم الكوش الدرعى .

وفى مراكش . كرسى البخارى ، وكرسى مختصر خليل بجامع الشرفاء بالمواسين ، لعلهما من انشاء ووقف السلطان عبد الله الغالب . وكرسى التفسير بمسجد أبى العباس السبتي ، من انشاء ووقف الامير أبى فارس ابن أحمد المنصور . وكراسى متعددة لعلوم متنوعة بجامع باب دكالة من اوقاف عودة الوزكيتية والدة أحمد المنصور .

وفى المحمدية (ترونت) كرسى البخارى ، وكرسى الرسالة ، وكرسى مختصر خليل ، بالجامع الكبير ، يظن انها من انشاء ووقف محمد المهدي الشيخ محيى هذه المدينة ومجدد معالمها العلمية والدينية .

وفى القصر الكبير . كرسى تفسير ابن عطية بشرقى الجامع الكبير ، انشاء أبو المحاسن الفاسى فى حدود عام 1000 - 1592 ، « وبني طرازا هنالك وحبسه عليه » . وكان فى هذا الجامع كراسى أخرى قديمة لغير التفسير ...

هكذا يعين صاحب الوقف المادة أو الكتاب الذى يدرس على الكرسى والمسجد أو المدرسه التى يكون فيها ، وأحيانا يعين حتى مكان الكرسى داخل المسجد أو المدرسة ، والوقت الذى يلقي فيه المدرس ، فيحترم المدرسون رغبات المحبين ويلتزمون بها التزاما تاما . وكثيرا ما تنوسى اسم الواقف ونسب الكرسى الى العالم الذى درس عليه لأول مرة أو طالبت مدة تدريسه عليه . وقد تسند الى العالم كراسى متعددة

سواء عند انشائها مباشرة ، أو بعد موت أصحابها ، ولذلك نجد كراسى في فنون متنوعة منسوبة لكل من أعلام هذا العصر ، كإبن غازى والوسريسي ، والمنجور وغيرهم .

لم تكن تستند هذه الكراسى إلا للبارزين من العلماء بحسب تخصصهم ، ولا يتولاها أحد منهم إلا بظهير من السلطان أو نائبه ، باستثناء الكراسى التى أنشأها الأفراد ، فانهم كانوا يعينون من يتولى التدريس عليها ، ويخبرونهم كذلك من بين العلماء المقتدرين . وإذا تولى عالم كرسيًا فإنه يظل له مدى الحياة ، إلا أن يتنازل هو عنه لأحد من أقرانه أو تلاميذه ، لسبب سفر طويل أو مرض أو عجز عن التدريس أو انسحاق على عالم معسر ، كما فعل عبد الرحمن سقين في تنازله عن كرسي الفقه بالمدرسة العنانية بفاس عام 924 / 1518 لمحمد المدغرى بعد أن كان قد استنابه عند رحلته الطويلة إلى بلاد السودان . وكما فعل أحمد بن علي الزموري بتنازله عن كرسي السير الذى كان له خلف صومعة القرويين ، سنوات قبل وفاته عام 1001 / 1593 لتلميذه علي بن عمران السلاسى . وكما فعل يحيى السراج عام 995 / 1587 بتنازله عن كرسي التفسير الذى كان له عن يمين الداخل للقرويين من باب عقبة السبيطريين ، لفائدة تلميذه أبى القاسم بن أبى النعيم .

هذه الكراسى العلمية ضمنت لأصحابها ، فضلا عن النباهة والجاه موردا معاشيا لا ينكر ، لاسيما إذا تعددت . وكانت المورد الوحيد لبعض علماء هذا العصر كإحمد المنجور الذى لم يتول قط قضاء ولا قتيب ولا خطابة ، وظل يدرس على كراسيه حتى الشهور الأخيرة من حياته ، فكان يخرج إليها معتمدا على بعض الطلبة لعدم قدرته على المتى . ولم تكن إيرادات الكراسى موحدة ولا متقاربة ، بل كان بعضها يزيد ضعفا أو أضعافا . وكانت كراسى أحمد المنجور ، نظرا لطول باعه ومكانته في الدولة من ذوات المردود الجيد ، فتسابق العلماء بعد وفاته لاستبدال كراسيهم القديمة بها ، متطارحين في ذلك على أحمد المنصور وولى عهده المأمون .

#### هـ - نساخة الكتب :

من الطبيعي أن تزدهر نساخة الكتب في زمن كثر فيه الإقبال على العلم ، كالعصر السعدى ، وأن يشتغل بها نساخون محترفون . لكن

الذى يلتفت النظر هنا أن من بين العلماء المدرسين في هذا العصر من اشتغلوا بالنسخة وتعيشوا بها ، تورعا عن مال الاوقاف أو عزوفا عن المناصب الرسمية . ويلاحظ بخصص هؤلاء النساخ العلماء انهم كانوا لا يقبلون إلا على انتساخ امهات الكتب في مادة تخصصهم ، فالمقرئ ينسخ المصاحف الشريفة ، والمحدث ينسخ كتب الصحاح ، والفقيه يكتب مختصرات ابن الحاجب و خليل ، والطبيب كتب الطب ، والنحوى شروح الفية ابن مالك وما اليها ، الامر الذى اعطى هذه المنتسخات قيمة خاصة ، وجعل الناس يتنافسون في اقتنائها .

من هؤلاء العلماء النساخ الفقيه الحسن بن عثمان الجزولى الذى كان يحفظ توضيح خليل لكثرة ما أقرأه وانتسخه ، وكان يعيس من نسخه ونسخ رسالة ابن أبى زيد . وشيخ القراء بفاس محمد اعماس الاندلسى الذى اشتهرت المصاحف التى كان ينسخها بخطه الرائق ، والاتقان الفائق، متنا ورسمها وضبطا، فاققتها السلاطين والامراء وسائر الناس ، وبذلوا فيها أغلى الاثمان . وشيخ المحدثين والصوفية بفاس أبو النعيم رضوان الجنوى الذى انقطع لتدريس الحديث ونسخ كتبه .

ومما تجدر ملاحظته أن كثيرا من المنتسخات العلمية في العصر السعدى ما يزال محفوظا في المكتبات العامة والخاصة بفاس والرباط ومراكش وغيرها ، وبخاصة المكتبة الملكية بالرباط .

و — وسائل مختلفة :

الى جانب وسائل العيش السابقة التى كان العلماء المدرسون يتخذونها نجد طائفة أخرى منهم ، خاصة في الدورين الاول والثالث من العصر السعدى ، ينزلون الى الاسواق والحقول ليشتغلوا بما يشتغل به عوام الناس .

من هؤلاء العلماء المحترفين فقيه واحة فيكيك ابراهيم بن عبد الجبار الذى ألف الصيد في الصحارى بعد أن تخلص من منصب القضاء ونظم روضة السلوان في فضائل الصيد واحكامه الفقيه . وعالم قبيلة بنى زروال في جبال الريف محمد بن على الشطيبى الاندلسى ، الذى قسم ايامه بين التدريس والتأليف ، والاستغفال بالفلاحة والصيد ، وهو القائل في مطلع قصيدة له في الشكوى من الزمان واهله :

فسد الزمان فأين المهرب ؟ وفشا الحرام فأى رزق يطلب ؟

وامام بلاد درعة أبو القاسم الكوش الذى عرفناه مؤسساً لاحد الكراسى العلمية بفاس ، كان لا ينتهى من الدروس فى قريته الصحراوية حتى يقوم لاشغاله اليدوية ، وكان يتقن حرفاً كثيرة تعلمها فى فاس أيام اشتغاله بالطلب ، غير أسف الا على ما فاتته من تعلم صناعة الحرير . ومن شدة تواضع هذا الامام وتمايم رجولته أن كان يحمل مصنوعاتـه على عاتقه الى الاسواق ليبيعها ، ولا يترك أحداً من طلبته يساعده فى ذلك .

وفى مدينة فاس نجد أثناء الدور الاول من هذا العصر ، الفقيه عبد الواحد الحميدى قبل أن يتسهم له الحظ مع السعديين ، يبيع الثياب البالية فى حانوت بالسوق المعدة لها ، وفى اواخر هذا العصر نجد الشيخ محمد ميارة الكبير يعتمد فى معاشه على حلي من لباس النساء يكرهه للناس فى الاعراس ، دون أن يتولى أية خطة شرعية أو دنيوية ، على ما كان له من وثيق الصلة بالمجاهد العياشى أيام حكمه لبلاد الغرب ، ثم بالدلائيين عندما انبسط نفوذهم على هذه المنطقة .

#### ز - الهيئات الملكية :

لم تكن هذه الهيئات موقوتة ولا محدودة ، وانما كان العلماء ينالونها فى مناسبات مختلفة بحسب اقدارهم وما تجود به أريحية السلطان او ابنائه الذين يتوبون عنه فى الاقاليم . ويمكن القول بأن اعطيات السعديين امتازت على العموم باهمية لم تكن معروفة من قبل . وقد قال أحمد المنصور الذى عاش فى فاس أيام الوطاسيين والسعديين ، وخبر هبات هؤلاء واولئك : « ما عهدنا بذل المؤمنين فى الصلات الا فى أيام الشرفاء ، ولا عهدنا بذل الاثوف الا فى أيام امير المؤمنين المنصور أيده الله » . (5)

إذا اقبل شهر رمضان ، هرع العلماء الى البلاط ، يؤمون بالسلطان فى اشفاع التراويح بالليل ، ويعقدون بحضرته المجالس الحديثية بالتهار ويتلقون من عطياه واکرامه يوم عيد الفطر ما تقر به اعينهم ، وتلاحقهم

(5) - ع . الفتاوى ، مناهل الصفا ، ص . 155

الهدايا خلال السنة أيام عيد الاضحى، وعاشوراء، والمولد النبوى الشريف ولما آلت الخلافة الى احمد المنصور جعل من المولد النبوى اكبر احتفال رسمى للدولة والامة ، فكان بلاطه فى مراکش وبلاط ابنائه فى الاقاليم أسواق عكاظ معظم شهر ربيع الاول ، يقصدها العلماء والادباء من جميع الجهات ، ليشاركوا فى الحفلات الفخمة التى كانت تزدهر بايقاد التسموع المزخرفة الضخمة ، وعزف الاجواق الموسيقية ، وترنم المسمعين بانسعار وموشحات كبار رجال الصوفية القدماء ، وانتساق القصائد المولديات بين يدي السلطان او نائبه مما ينظمه الشعراء فى مدح الرسول الكريم ، والاشادة بماثر آله الشرفاء السعديين ، حتى اذا انتهت أيام الاحتفال انتهت الصلوات على جميع المشاركين الحاضرين فى ظروف مختومة عليها توقيع السلطان ، وتشفع صلوات العلماء بالخلق فى السنة مزيدا فى التقدير والتثويه .

من نماذج صلوات احمد المنصور للعلماء ، انه اعطى الفقيه احمد الزمورى ذات سنة ، وكان ممن يؤم به فى تراويح رمضان ، نحو خمسة آلاف اوقية ذهبية ، وجنانا ، وارضا للحرث بمراكش . واعطى الاديب محمد بن عمر الشاوى ، وكان قد صاحب اخاه عبيد المالك فى غريته عند اترك الجزائر ، خراج قبيلة مسفيوة كله باستثناء اعشار الزيت . فلما حان وقت قطاف الزيتون وقدرت اعشار زيتيه بخمسين قطارا ، كتب الشاوى ابياتا الى المنصور يطلب منه ان يترك له زيت ذلك الموسم ، فتنازل له المنصور عنه مدى الحياة .

رغم هذه الجوائز الخيالية التى تذكر بعطايا هارون الرشيد وابنه المامون ، نجد بعض مظاهر التذمر فى اوساط رجال العلم وبخاصة اقربهم الى السلطان و اوثقهم به صلة . ولعل ذلك راجع الى مخالفة السعديين فى تقدير العلماء وتقريبهم اليهم ، حتى كانوا يجالسونهم ويؤاكلونهم دونما كلفة ، ويسامرونهم فى مجالسهم الخاصة . الامر الذى جعل طائفة من العلماء يظنون انهم - دون غيرهم - اهل المودة والخصوصية فى الدولة ، ويفارون على علمهم وجاههم من ان يشاركونهم من السوق فى الاعطيات السلطانية بمبالغ تفوق احيانا المبالغ المخصصة لهم .

روى المؤرخون ان قاضى الجماعة بفاس عبد الواحد الحميدى وفد على السلطان احمد المنصور فى جملة علماء فاس بمناسبة العيد كالعادة

وفي أثناء رجوعهم جمعتهم الطريق بالموسيقين الفاسيين ، فأخرج احدهم  
تسبابة من الأبريز مرصعة إعطاه المنصور أياها ، وبعضهم قال أعطاني  
كذا ... مما لم يعط مثله القاضى وغيره من العلماء ، فغضب الحميدى  
وقال : ان بلغت فاسا لاردن اولادى لصنعة الموسيقى ، لان صنعة  
العلم كاسدة . وبلغت هذه القولة الغضبى مسامع السلطان فتجاوز  
عنها ، كما تجاوز من قبل على غيبة الامام احمد المنجور حين غادر  
مدينة مراكش قبل أن يأذن له بالانصراف ، نظرا لما كان لهما عليه من  
دالة المسيح .

و بالجملة ، فان أبواب الرزق والخير كانت واسعة متعددة امام  
العلماء في عهد السعديين ، أي منها دخلوا اصابوا ما كفاهم مؤنة  
العيش ونفع بهم الى الاقبال على الدرس والافادة .



اما الطلبة فتكاثر عددهم في العصر السعدى لنفس الاسباب السابقة  
التي أدت الى تكاثر عدد العلماء . ولو ان ظروف عيش الطلبة قد اختلفت  
باختلاف المناطق التي كانوا يدرسون فيها ، وبحسب التقلبات السياسية  
في هذا العصر ، فانها كانت على العموم ظروفها حسنة تفرى بالدرس  
والتحصيل ، وتذكى في الشباب روح الطموح والاقدام .

#### اين يتعلم الطلبة ؟

تعددت المراكز الثقافية أيام السعديين وانتشرت في المدن والقرى  
من أقصى الشمال الى أقصى الجنوب ، غير أن معظم هذه المراكز لم يكن  
يقدم للطلبة غير دراسة متوسطة لايتجاوز مستواها ما ندعوه اليوم  
بالمرحلة الثانوية ، ليبقى التعليم العالي خاصا بالمركزين الحضريين  
الكبيرين فاس ومراكش . واذا كان لطلبة هذا العصر مطلق الاختيار  
للالتحاق بأى مركز ثقافى شاؤوا ، فان عوامل مادية متعددة كانت  
تجعل من فاس مهبط طلبة شمال البلاد ، ومن مراكش محط رحال طلبة  
الجنوب . (6)

(6) - لم تستمد مراكش مكانتها العلمية التقليدية ، وتعد مقصد الطلبة من جديد الا  
ابتداء من العقد الرابع من القرن العاشر = العقد الثالث من القرن 16م . أما فيما  
قبل ذلك فكانت فاس مقصد طلبة الشمال والجنوب معا .



وقد تطورت بعض المراكز العلمية التي وجدت أيام السعديين فناقست عاصمتي فاس ومراكش في ميدان التعليم العالي بما توفر فيها من اسانذة كفاة . منها في اوائل دولة المشرفاء مدينة المحمدية التي جدد بها محمد الشيخ المهدي ترودنت القديمة حاضرة بلاد سوس ، ووسع اكنافها واسكنها - فضلا عن عناصر سوسية متورة - مهاجرين انطلسيين وتلمسانيين ، وبقايا البرتغاليين الذين اعتنقوا الاسلام بعد طرد المسيحيين من سواحل سوس (7) . عقدت حلقات التدريس في المساجد الكبرى الثلاثة ، وخاصة الجامع الكبير الذي بالغ الامير السعدي في توسيعه وزخرفته حتى كان اعظم وافخم من جامعي الموحدين وباب دكالة المستحدثين فيما بعد مراكش ، ووجد طلبة المحمدية لدى اساتذتهم المتوافرين ما لبي رغباتهم في جميع اطوار التعليم ، فلم يفادروا مدينتهم الا وقد تم تكوينهم العلمي ليشغلوا مناصب في جهاز الدولة السعدية ، او ليتفرغوا بدورهم للتدريس .

وحدث مثل ذلك في اوائل القرن الحادي عشر = 17 م بمدينة الدلاء في الاطلس المتوسط ، حيث ازدهر مات ( او آلاف ) الطلبة على حلقات العلماء الدلايين وغيرهم ، وتخرج منهم في هذه البقعة الطيبة اعلام طارت شهرتهم شرقا وغربا .

ايمن يسكن الطلبة ؟

اعتمدت سكنى الطلبة في المدن اساسا على المدارس الحسبية المجانية . وقد جدد السعديون المدارس المرينية القديمة ، وهي - كما نعلم - منتشرة في غالب حواضر البلاد . واستحدثوا مدارس اخرى فيما شيدوه باقليم سوس ، كمدينة المحمدية ، وقرية تيبوت القريه منها ، وحصن واحة آقا باقصى الجنوب مما يلي الصحراء . وشيدوا في مراكش مدرسة ابن يوسف العظيمة . (8) .

(7) - تعرف حومة البرتغاليين اليوم في تارودنت بحومة اولاد بونونة . انظر م. المختار السوسى خلال جزولة ، 4 : 178 .

(8) - اصل هذه المدرسة من مبانى ابي الحسن المرينى لكنها خربت حتى كادت تندثر ، فبنى على انقاضها عبد الله الغالب السعدي بحرسه عظيمة نسبت اليه . انظر م. اليفرنى ، نزهة ، ص. 47.

وسكن طلبة البادية في مدارس مجانية ايضا ، لكنها بسيطة بنيت وسقفت بنفس الطريقة التي قامت عليها بيوت القرية . بعضها يتكون من بيت واحد كبير ياوى اليه جميع الطلبة الغريباء في المركز ، وبعضها يحتوى على بيوت صغيرة متعددة كما هو الحال في المدن . ويلحق بالمدرسة موزنا وبئر أو نطفية ان لم تكن عين جارية . على أن هناك مدارس بدوية كبرى عدت بيوت الطلبة فيها بالمآت ، كالمدرسة البونعمانية في جنوب سوس ، ومدرسة سكتانة بالاطلس الكبير ، « وبلغ عدد بيوت المدرسة التي بإزاء جامع الخطبة - في المزاوية الدلائية - الفا وأربعمائة مسكن (9) » .

إذا كانت السكنى في مدارس البادية لا تتطلب غير إبداء الرغبة في التعلم وملازمة دروس الشيخ الذي بيده مقاليد كل المرافق التعليمية في المركز ، فإن الأمر مختلف بالنسبة لمدارس المدينة الخاضعة لنظار يسيرورها وفق قوانين مقررة ، فكان لايسمح بالسكنى في المدارس للنساء ولا لمن تخشى منه الفتنة من الولدان ، ويشترط في الساكن ان يستفرغ جهده في الدرس والتحصيل ، ويلزم حضور مجالس التدريس التي تعقد داخل المدرسة . وإذا سكن الطالب في المدرسة عشرة أعوام ولم تظهر نجابته أخرج منها جبرا . وعند توزيع البيوت على الطلبة يراعى الناظر ما يضمن راحتهم ومصالح المدرسة والمصلين والدارسين ، فيخصص بيوت الصدارة للعلماء العزب والمتقدمين من الطلبة ، والبيوت المضيئة لمن يشتغل منهم بالنساجة ، ويسكن أهل الحضر في الطابق العلوى لانهم أقل ازعاجا من البدو الجفاة ، ويبعد أصحاب الاصوات المرتفعة عن قبة الصلاة والدراسة الخ .

### كيف يرزق الطلبة ؟

اختلفت أرزاق الطلبة أيام السعديين باعتبار وجودهم في الحاضرة أو البادية ، وبحسب المناطق الخصبة أو القاحلة التي عاشوا فيها .

نفى الحاضرة كان ينفق على الطلبة من مداخل أوقاف المدارس ، وهى كثيرة ، تشمل عددا وافرا من دكاكين الاسواق والدور والإجنحة

(9) - انظر ع. العادري ، تقاليد تاريخية ، ص 11 .

والأرحية والأرويات والحمامات وغيرها في فاس ومراكش (8)، وتكون جميع البساتين وبكاكين الأسواق في المحمية في ملك الأوقاف . (9)

يتولى أمر هذه الأوقاف نظار أو قضاة ، فيقدمون للطلبة الخبز يوميا ، ويعطونهم من حين لآخر مبالغ مالية يستعينون بها على قضاء مأربهم الأخرى . ولم تكن هناك قاعدة قارة — على ما يظهر — يسير عليها المشرفون على شؤون الطلبة ، لذلك نجد بعضهم يجتهد في الاحتفاظ ببعض مداخل الأوقاف عن طريق التفتير على الطلبة ، ليتمكن من شراء عقارات حبسية جديدة ، وبعضهم الآخر يدرك الغاية المتوخاة من الوقف أدراكا سليما فيوسع على الطلبة في الانفاق . ومن هؤلاء قاضي الجماعة بمدينة المحمدية سعيد بن علي الهوزالي الذي ظل يدرس فيها زهاء ثلث قرن (وله عطف عام على طلبة العلم بتوسعة العطاء مما إلى نظره من أحباب حاضرة السوس . وكان يرى أن توفر مستفادها ذريعة التسلط عليها (10) .) وسلك نفس الطريق من بعده تلميذه عبد الرحمان التمارتي ، فوسع بدوره على الطلبة طوال مدة قضائه في حاضرة سوس وتعرض بسبب ذلك إلى العزل والمضايقة بعد أن اضطربت أحوال تلك البلاد .

إلى جانب مداخل الأوقاف في الحوصر ، كانت هناك أسر موسرة تتكفل بالانفاق على بعض الطلبة المعوزين أو الغريباء لا سيما ذوي النسب الشريف والأخلاق الفاضلة . من ذلك تكفل أبي المحاسن الفاسي بنفقة أحمد بن علي الشفشاوني حين قدم فاس سنة 996 / 1588 وسكن في بيت بمدرسة الحلفاويين مجاور لبيت أحمد بن أبي المحاسن الفاسي ، وعمه عبد الرحمان العارف ، فكانت مؤنة الطلبة الثلاثة تصلهم يوميا من دار الشيخ أبي المحاسن . وأخذ القاضي عبد الواحد الحميدي عادة له أن يشتري في بداية كل فصل شتاء عددا عديدا من الحياك يوزعها على طلبته في قبة المدرسة المصباحية حيث كان يتولى الإمامة والتدريس .

أما في البادية فلم تكن هناك أوقاف للانفاق على الطلبة ، ولكن رجال القبائل يقدمون للمدارس التي بين أظهرهم ما يكفي لمؤنة الاساتذة

(10) — انظر مثلا في قسم الوثائق بيم . ع بالرباط : حوالة أحباب المدارس القديمة بفاس ، رقم 48 ح ، والحوالة الجديدة لأحباب فاس ، رقم 45 ح . وحوالة أوقاف مراكش رقم 119 ح .

والطلبة في شكل اعشار وشرط وهدايا وذبائح. ولعل القبائل السوسية من أكثر قبائل المغرب اعتناء بالعلماء والطلبة ، وأوفاهما التزاما بالانفاق عليهم بمكيات محددة في أوقات معلومة لا تكاد تتخلف « يأتون بثلاث اعشارهم الى المدرسة لمؤبة من فيها ، ويدفعون من عندهم سنويا عن كل كاتون ، صاعا من الحبوب ( نحو 7 كلف ) واناء معلوما من ادام ( نحو ليتر وربع ) من السمن أو زيت الهرجان (11) » . واذا عرفنا أن الكوانين المشاركة لكل مدرسة تعد بالمئات ، وتبلغ أحيانا ألفا أو ألفا وخمسمائة ، أدركنا أهمية الاطعمة التي تقدم للمدرسة ، وللأسناد مطلق التصرف في كل ما يحمل الى مدرسته ، بيده مفاتيح المخازن ، يمون نفسه وطلبته ثم لا يراقب عمله .

ونظرا لعدم انتظام تساقط الامطار في المغرب وتغير المحاصيل الزراعية تبعا لذلك ، عانت المدراس بدورها في سنوات المحل شيئا من الخصاص ونقصا في الارزاق . على أن هناك بعض المراكز العلمية البدوية اشتهرت بالخصب ورغد العيش على العموم لوقوعها على ضفاف أودية سوس وأم الربيع وسبو ، أو في مناطق جبلية غنية ، كزاوية محمد بن ويسعدن بسكتانة الجنوبية حيث تنتشر زراعة الزعفران وتكثر أشجار الزيتون واللوز . فقد ظل هذا الصوفي العالم يدرس في زاويته ويطعم الطلبة والمريدين والزوار بكيفية لا يكاد يصدقها العقل مدة اربعين سنة ، « وكانت تكون في زاويته سبعمائة طالب مرتبين للقراءة ، قال والدي : وعهد الى في توفير طعامهم ومراقبته حرصا عليهم وعنايه بهم . وكان يفرق فيهم وفي غيرهم انواعا من الثياب واموالا جزيلة .. (12)» وكزاوية الدلاء في حذور الاطلس المتوسط حيث تنتشر الغابات وتكثر قطعان الماشية . فقد آوت هذه الزاوية طوال قرن كامل آلاف الطلبة وغذت عقولهم ويطونهم ، واضفت عليهم من ضروب الانعام ما لم تخفت اصداؤه حتى اليوم .

وبالمقابل ضاق العيش وقدرت الارزاق على بعض الزوايا والمدارس في قمم جبال الريف وجزولة ، وبأودية غير ذات زرع في سوس

(11) — انظر محمد المختار السوسي ، خلال جزولة ، 4 : 149 .

(12) — عبد الرحمان التهناري ، الفوائد الجمة : ص. 24 — 25 .

ودرعة وتافيلالت مما يلى الصحراء ، فلا يكاد يجد طلبة زاوية تاتلت ما يقتاتون به ، ويحاول بعضهم مرة أن يتصل بالشيخ محمد بن يعقوب فى خلوته ليودعه ، فيطول انتظاره قبل أن يرى بنتا صغيرة تحمل الى الشيخ « اناء فيه طعام قليل قدر ما تطعمه الام لولدها فى المهد ، ومعها اناء صغير فيه ماء » ثم أتت البنت ببناء آخر فيه شيء من اللبن ، مزجه الشيخ بقبضة من دقيق نوى التمر وقدمه الى الطالب الذى قال فيما بعد : « فاكلته ولم أرض به وانما ابتلعتة مرغما ، والشيخ يحثنى فى أن أمعن فى أكل ما بقى فى الاناء ، ثم دعا لى وحضنى على العلم والدين ، وزودنى بخمس تمرات فاكلتها وذهبت (13) » .

وعرف طلبة الزاوية الناصرية بتمكروت عسرا أشد ، لا يتناولون من الطعام الا ما يسد الرمق ، ولا يلبسون من الثياب غير الخلق ، حتى اذا التحق الشيخ محمد ابن ناصر بهذه الزاوية عام 1040 / 30 - 1631 وصار استاذها اللامع « كان ينام مع أهله على التراب لعدم ما يشتري به حصيرا يفرشه ، وربما افترش ليفا أو جريد نخل (14) » ، واذا أخرج من داره للطلبة صحن من الكسكس فى الليل - وهو عمدة قوتهم - لا ينال الطالب منه الا بضع لقيمات لا تغنى من جوع ، ويعتذر لهم الشيخ ابن ناصر مقسما أن أهل بيته لا ياكلون أكثر مما ياكل الطلبة .

وغير بعيد عن الزاوية الناصرية كان الشيخ ابوالقاسم الكوش يحض طلبة زاوية سيد الناس على العمل بأيديهم فى اوقات الفراغ ، ويعلمهم الى جالب الدروس اللغوية والدينية طائفة من الصناعات اليدوية ، وكان قد تعلم منها كثيرا أيام طلبه للعلم بفاس ، ويعطيهم المثل بجده فى الاشغال وحمل مصنوعاته على عاتقه الى الاسواق لبييعها .

على أن ظاهرة اعتماد الطلبة على أنفسهم فى كسب الرزق أصبحت متفشية حتى فى الحواضر العلمية الكبرى أثناء الدور الثالث الذى انحدر فيه نجم السعديين الى الافول . وقد أثبت مؤلف تارى مجهول الاسم عائش

(13) - محمد المختار السوسى ، خلال جزولة ، 4 : 20 - 21

(14) - عبد الرحمان التبنارتى ، الفوائد الجمة ، ص 11 .

(15) - محمد المختار السوسى ، المعسول ، 16 : 55 .

(16) - احمد الناصرى ، طلعة المشتري ، 1 : 133 .

في فاس في النصف الثاني من القرن الحادي عشر/17 م في كتابه المهزلي  
مختصر الافايد الحرف التي يمتنها الطلبة آنذاك وقسمها الى مستحسنة  
كالنساخة والخيطة والنجارة والتجارة ، ومستهجنة كالحيكة والحجامة  
والدباغة والجزارة ...

## مرسى الوليدية

تتميز المنطقة الساحلية الممتدة من الجرف الاصفر ( الرأس الابيض ) جنوب الجديدة الى رأس كائنات شمال آسفى ، بميزة طبوغرافية فريدة : حيث تبدو للناظر وكأنها تشرف على مجرى مائى ضيق يفصل بينها وبين تلال رملية تطل مباشرة على المحيط الاطلسى . ويمكن أن نميز في هذا المنظر العام ثلاث وحدات هي :

— منطقة السهل الدكالى ، تشرف على المحيط من ارتفاع متوسط ( حوالى 100 م ) ، قوام السطح فيها تلال رملية متصلة ، تتخذ شكل موجات متباعدة . تتخذ هذه المنطقة في الغالب للسكن ، لعدم أو قلة صلاحيتها للزراعة . في حين تتخذ المنخفضات الفاصلة بين التلال للزراعة . أما من الناحية الهيدروغرافية ، فهي متأثرة بطبيعة صخورها المنفذة ( رملية من البليوسين ) ، وهذا ما يفسر انعدام مجارى مائية دائمة من جهة وتوفر المنطقة على فرشاة مائية مهمة من جهة ثانية .

— أما القسم الثانى فيظهر على شكل منطقة مقعرة تعرف باسم الولجة ، وتستفيد المنطقة من مياه الفرشة الباطنية كما تستفيد من الرطبة التى يوفرها المحيط لممارسة نشاط زراعى حدائق يعطى المنطقة شهرتها الزراعية .

— ويظهر القسم الثالث في شكل مجموعة من التلال الرملية التى تشبه في تكوينها الجيولوجى المنطقة السابقة وتخالفها في أنها مغطاة بطبقة من الرمال المتصلبة الرباعية ( الزمن الرابع ) ، ولا يتجاوز ارتفاع هذه التلال 20 مترا .

يرتبط وجود هذه الاشكال التضاريسية الفريدة بحركة المحيط الذى كان فى وقت ما يغطى القسم الاول من المنطقة .

وقد يحصل أن يضعف حزام التلال الموالية مباشرة للمحيط فينتشم تاركا فتحة تتسرب من خلالها مياه المحيط ، لتندفع — تبعا لانخفاض مستوى القسم الثانى بالنسبة للمحيط — مشكلة مجرى مائيا اشبه ما يكون بنهر ، يجرى بموازاة المحيط ليصب فيه فى حالة الجزر ، أو ليتلقى مياهه فى حالة المد (1) .

واعتبارا لهذه الظاهرة ، فإن القسم الثانى المشار اليه آنفا ، ينقسم بدوره الى قسمين ، احدهما لا تصل اليه مياه المحيط ، وهو — المعروف بالولجة والصالح للزراعة ، وثانيهما — ويعرف باسم المرجة — مغفور بمياه المحيط غمرا تزيد اهميته أو تقل اعتبارا لقوة المد أو الجزر . وهكذا تتوالى المرجات والولجات تبعا لارتفاع المنطقة المقعرة النسبى . فى الحالات التى يمكن فيها انفتاح الحاجز الموالى للمحيط من توغل اذرع بحرية داخل الارض الموازية للمحيط ، تنشأ ظروف جديدة ، تضيف الى امكانيات المنطقة الاقتصادية الاعتيادية امكانيات جديدة تتمثل فى استعمال الفتحات المذكورة ممرا الى المحيط لاستغلاله . حيث تتخذ المرجات مرسى آمنا من الرياح وحركات البحر .

نصل اذن الى أن المنطقة التى يدور حولها الحديث ، توفر امكانيات ملاحية يرتبط استغلالها بعدة معطيات تخرج عن اختصاص المؤرخ . ولعل التاريخ يكون مفيدا فى هذا المجال بما يوفر لنا من شهادات أو روايات تؤكد أن المنطقة استعملت فعلا كملجأ للسفن ، أى كمرسى .

(1) — يرى تيسور خطأ أن مياه هذه المرجات مترتبة عن مياه الامطار حيث يقول : .. وتتجمع مياه الامطار فى هذا المنخفض مشكلة عدة «ضايات» أهمها فى سيدى ابراهيم والوالدية المتصلة بالمحيط ... انظر :

Ch. Tissot - Note sur l'ancien port d'El Gaït (Oualidia) in Bull. de la société de geographie - Juin 6-1875.



نستبعد أن تكون المنطقة قد عرفت حضارة من الحضارات التى اتصلت بالمغرب فى العصر القديم ، ذلك أن هذه الحضارت دخلت المغرب انطلاقا من البحر ، وكان اتصالها بالمغرب يتم عبر نقط ساحلية تظهر للناظر إليها من البحر نقطا صالحة للارساء . وهذا ما لا يتحقق بالنسبة لمنطقة الوليدية ، حيث تظهر للناظر إليها من البحر صخورا ترتطم بها الامواج دون أن تترك أية امكانية للاقتراب من الساحل أو الارساء به . فقد حاول مثلا وفد سلطاني مكون من بعض الهولنديين ومعهم مرشد عارف بالمنطقة ( هو كبير بحارة آسفى ) أن ينزل بمنطقة الوليدية بحرا بعد أن خرج من آسفى ، وعبثا حاول الدليل المرشد العثور على موقع الوليدية (2) .

وأول إشارة الى وجود مرسى بالمنطقة ، هى التى وردت فى الترجمانة الكبرى (3) نقلا عن أحمد القسنطينى (4) حيث يقول « لما دخلت المغرب فى رحلتى له ، توجهت لقضاء دكالة ، ولما قطعت وادى أم الربيع لأزمور وبنا به ، ومنه نزلنا مدينة تيط القديمة ثم عين الفطر ، ثم مدينة الموالدية القديمة ( كذا ) ثم مدينة ايسر ... » ثم يرد بعد ذلك ذكرها عند الادريسي اذ يقول « ومرسى الفيط مرسى حسن مكن من بعض الرياح ، والمراكب تصل اليه فتخرج منه الحنطة والشعير ، ويتصل به من قبائل البربر دكالة » (5) .

يظهر منذ البداية أن الموضوع يطرح مشكلة طبونيمية تظهر لأول وهلة معقدة . ذلك أن منطقة واحدة سميت — على الأقل الى هذا الحد ، وستظهر أسماء أخرى — بثلاثة أسماء لازال اثنان منها متداولين الى اليوم هما ايسر والوليدية .

وأول ما يجب الانتباه اليه أن تسمية الوليدية ( ولو بشكلها الوارد خطأ فى الترجمانة ) (6) الواردة عند الزياني تسمية زائدة بالنسبة

(2) — انظر تقرير البيرو رويل فى وثائق دى كاسترى — الاراضى المنخفضة — 575/3

(3) — الترجمانة الكبرى فى أخبار المهور ببرا وبحرا — ابو القاسم الزياني — تحقيق عبد الكريم الفيلالى ص 78 .

(4) — فى رحلته المعروفة باسم أنس الفقير

(5) — صفة المغرب وأرض السودان ومصر والاتدلس من كتاب نزهة المشتاق — الشريف

الادريسي — ص 74 .

(6) — والمعده على الحق .

لوقت الذى نتحدث عنه — أى قبل القرن 17 . ذلك أن المتداول :  
« ان القصبة المعروفة بالوليدية على ساحل البحر المحيط فيما بين آسفى  
وتيط هى منسوبة اليه ( الوليد بن زيدان ) ، واطنها من بنائه ... وقد  
جزم المؤرخ الفرنسوى دوكاسترى بانها من بنائه وان بناءها كان فى  
سنة 1634 (7) .

فلعل الزيانى فى نقله عن القسنطينى استشكل عليه اسم قيط وغيظ  
فاستعمل لفظة الواليدية . وبذلك يبقى أمامنا اسمان هما غيط ( او قيط )  
وأير .

والمشكل فى البداية هو : هل تنطبق قيط الادريسى على الوليدية  
الحالية أم أن قيط هى أير الحالية أو أن أير هو اسم منطقة  
الوليدية الحالية فى حين أن ما يعرف بأير اليوم كان معروفا بغيره من  
قبل ؟ .

أول ما يجب هو ابعاد اسم الوليدية نهائيا فى هذا المستوى .  
ونلاحظ بعد ذلك أننا نصادف ابتداء من القرن 16 م ذكر المنطقة فى  
أطار الحديث عن العمليات التوسعية البرتغالية ، حيث يتردد ذكر المنطقة  
حاملة اسمين : أير أو الفيط . وفى نهاية القرن المذكور ، ورد فى  
« وصف المغرب لمؤلف مجهول الاسم » ذكر اسم « غاط <sup>Hate</sup> »  
(8) وهو ولا شك تحريف لكلمة غيط أو قيط . كما يتردد فى نفس الفترة  
ذكر <sup>Rio dayer</sup> الذى لا شك أنه تحريف لـ « أير » (9) . مع  
التمييز بينهما . فإذا أخذنا بهذا التمييز واعتبرنا تسمية قيط أو غيط هى  
التسمية القديمة للوليدية الحالية لاستقامت كثير من المعلومات . فقد  
أورد الشيخ الكانونى فى وصفه لعبدة ما يظهر أنه يفرق بين الوليدية  
وأير حيث يجعل الثانية جنوبى الاولى (10) أما تيسو فقد جعل — دون  
عناء — غيط الادريسى محل الوليدية الحالية (11) . أما ماسينيون

(7) — الاستقصا — الناصرى — 82/6 .

(8) — ورد فى وثائق دى كاسترى — فرنسا — 244/2 .

(9) — نفسه — فرنسا — 2 : 252 .

(10) — أسفى وما اليه قديما وحديثا — محمد بن أحمد العبدى الكانونى — ص 41/40 .

(11) — تيسو — Tisso ، سبقت الإشارة اليه .

فيظهر وكأنه غير واقف عند اختيار معين (12)، فبينما يضع العيط في خريطة مستخرجة من رحلة الادريسي محل الوليدية يعود فيضع علامة استفهام أمام كلمة غيط عندما يضعها ازاء ريو داير RIO d'Aer (13) .

نخلص من هذا العرض الى ان الذين تحدثوا عن المنطقة وقعوا في خطاين أولهما اعطاء اسم الفيط وأير لغير المكان الذي كان يحمله ، والثاني التسرع في مطابقة الفيط على الوليدية . وسنحاول فيما يلي الخروج من هذا الاضطراب ، منطلقين من استعراض ما تجود به الوثائق .

1 - تروى وثيقة برتغالية ما يلي : على بعد 3 أميال برتغالية من الرأس الابيض ، و 4 أميال من تيط ، و 5 من مزغان بمحاذاة البحر يوجد Casa da Caballero (14) .

2 - وتروى نفس الوثيقة : على بعد 7 أميال برتغالية من كاسادي كابليرو و 10 من الرأس الابيض ، و 11 من تيط و 12 من مزغان يوجد ريو داير Rio dayer (15) . وانطلاقا من هذه المقاييس يمكن تحديد موقع أير بالضبط ، اعتبارا لكون التحديد معتمد على نقط ثابتة ولا تزال موجودة ( الرأس الابيض - الجديدة ) واعتبارا لكون الميل البرتغالي يعادل 5555 مترا (16) .

فكلمة أير كانت اذن مستعملة للدلالة على المكان الذي تشغله الوليدية حاليا ، وهذا ما يظهر من خلال الوثائق . فاستعمال كلمة أير مرفقة باستمرار بكلمة « ريو » يقتضى ان تكون المنطقة المشار اليها واقعة على مجرى مائي أو شيء شبيه به ، وهذا لا يتوفر في أير الحالية وأكثر من ذلك ، يذكر سيسبيديس ان أير ذراع بحري وليس نهرا كما يظن ، يجري من الشمال الى الجنوب (17) . كما ورد الاسمان - أير وقيط - معا في بعض الوثائق الاوروبية في القرن 17

(12) - ماسينون

(13) - نفسه ص 203 .

(14) - وصف المغرب لبؤف مجهول الاسم - وثائق دي كاستري - فرنسا - 252/2

(15) - نفسه - نفس الصفحة .

(16) - وثائق دي كاستري - فرنسا - 239/2

(17) - ذكر في وثائق دي كاستري فرنسا - 252/2 .

كما سنرى ، فلا شيء يمنع اذن من ان يكون الاسمان قد استعملا ، احدهما ( قيط ) زمن الابريسى وظل مستعملا الى وقت ما حيث ظهر ، ثم طفى اسم أبيير وان كان هناك احتمال آخر هو ان المنطقتين حملتا — باختلاط — نفس الاسم لاتصال بينهما ، كأن تكون المنطقة البحرية أبير للصيد ، بينما تشكل أبير القصبة مقر السلطة ، ويساير هذا الافتراض ما ذكره الكانونى من ان بناء الوليدية قديم ومن ان بها « سور قديم بأحد جهات القصبة من خارج » (18).

والذى يظهر ان المنطقة بعد فترة ازدهار ما هجرت فحمل ذكرها بحيث لا نجد لآخبارها ذكرا فى المصادر العربية اللهم الا ما ذكره الكانونى من ان محمد النسيخ السعدى توجه اليها فى سنة 922/1517 ... فشق البلاد وحاصرها ودخلها (19) .

فما هى الاشياء التى جدت بالنسبة لهذه المنطقة فى النصف الاول من القرن 17 م ؟

عرف المغرب على العموم ابتداء من تاريخ وفاة أحمد المنصور السعدى 1603/1012 اضطرابات سياسية كثيرة تتمثل فى تنازع ابنائه على السلطة من بعده ، وظهور ادعاء طامحين فى الحكم من جهة ثانية . وقد ساعد هذا الجو دولة اسبانيا على توسيع نفوذها بأضافة مستعمرات جديدة الى مستعمراتها القديمة : وهكذا تحتل مدينة العرائش بعد تنازل أحد أبناء المنصور لها عنها سنة 1610 : ثم تحتل عنوة مدينة المعمورة سنة 1614 .

وحوالى 1620 كان سلطان مراكش ، زيدان بن أحمد المنصور يواجه صعوبات بما يسببه له أحد منافسيه من المضايقة ، وهو الصوفى السوسى أبو زكرياء يحيى الحاحى . فقد نجح الثائر فى طرد السلطان من مراكش كما تمكن من التضييق عليه فى مقر اقامته الجديد فى آسفى حيث انعزل زيدان فى المدينة المذكورة محاصرا بماله وعياله فى صيف 1618 (20) . ولم يكن سوء حظ هذا السلطان ليقف عند ما يحس به

(18) — الكانونى — اسفى وما اليه — ص 33

(19) — نفسه .

(20) — وثائق دى كاسترى — فرنسا 21/3 .

من الضيق وهو محاصر ، فقد كانت لديه أيضا متاعب أخرى ملخصها أنه سلم خزائنه وماله ومكتبته للملاح فرنسي ليوصلها الى أحد موانئ سوس ، فما كان الا ان « ضاعت » تلك الممتلكات في قصة يطول بنا تتبعها (21) .

لا يجد زيدان حلا لما هو فيه الا بالاتصال بالحاكم البرتغالي في البريجة الدون جورج ماسكاريناس في رسالة مؤرخة بـ 22 محرم 1028 ( 9 يناير 1619 ) . يوضح السلطان في رسالته علاقته المتوترة بالحاوي ، وحاجته الى البارود والسلاح . فيجد الحاكم البرتغالي في ما يعانيه زيدان من مشاكل الفرصة المنتظرة للحصول على المزيد من المستعمرات الايبيرية . فيكتب ملكه (فيليب الثالث) منتظرا تعليماته ، ومسارعا الى توجيه ابنه الى آسفى لظهار مساندته « لصديقه » زيدان (23) . وكان من شأن هذه الاتصالات بين سلطان مغربي — لم ينس الناس بعد ان اخاه المامون تنازل للاسبان عن مدينة العرائش مقابل بعض المساندة — وبين دولة اجنبية مسيحية وجودها بالمغرب وجود غير شرعي ، ان تقلل مما تبقى من الشعبية يتمتع به هذا السلطان ، فلا يجد مخرجا الا الخروج بما تبقى من ماله وعياله مفادرا آسفى متوجها الى آرمور . ولا نعلم هل وصل زيدان الى آرمور ، كل ما نعلم أنه اقترب منها حيث حيث مروره قرب البريجة طلقات من مدفعية حاميتها (24) . ولا نستبعد ان يكون المجاهد العياشي — الذي كان في هذا الابان قائدا للمنطقة — قد امتنع عن استقباله بآرمور أو منعه من دخولها . فما كان بإمكان زيدان مواصلة المسير شمالا وبهذا الشمال منطقة نفوذ اخيه ومنافسه وهو لا يجسر على الاقتراب منها بعد « ان ركله مولاي ادريس ركلة صبرته وراء ام الربيع » على حد تعبير اليفرنى في نزهته . فما كان منه الا ان ثنى العنان نحو الجنوب دون أن يجسر على الاقتراب من آسفى وقد ترك بها من سيء الاثر ما ترك . كان مقصده منطقة سوس وهذا ما يؤكد توجيئه لاله بحرا اليها . لكن بين سوس

(21) — تعرف القضية بـ : قضية كاستيلان .

(22) — وثائق دي كاستري — فرنسا 20/3 وما بعدها .

(23) — نفسه ص 58 .

(24) — الاستقصا — 69/6 و 70 وكذا تاريخ الدولة السعدية المجهول المؤلف

ص 103 .

وبينه مناطق نفوذ أعدائه وليس له من الانصار ما يمكنه من مواجهتهم فاصبح — والحالة هذه — مطوقا بالاعداء من جميع الجهات وليس أمامه الا البحر المحيط ، ولركوب البحر وجب اتخاذ المرسى ، ومن هنا جاء تفكير صاحبنا في فتح مرسى .

كان السلطان قد تعود على الإقامة في هذه الآونة في مكان بين البريجة وأسفى يعرف بأم كرس(25) ولكن قد كلف أحد قواده المشبتهين بخدمته بالعمل على ما يمكن جمعه من مجبى . فانتبه القائد ولعله الفنى عجيب الذى اشتهر بخدمة السلطان(26) — الى أهمية المجرى المائى الذى سبق أن وصفناه في بداية الكلام . فما كان اسرع منه فى حمل النبأ الى سلطانه الذى سارع الى التفكير فى استغلال ما يوفره من الامكانيات . وكان في ضيافته حينئذ فرنسى عارف بشؤون البحر هو سان مندرى (Le capitaine de St. Mandrier) . يوجه السلطان سان مندرى الى اير للتأكد من امكانية فتح مرسى بها ، ويعود الفرنسى من مامورينه ليؤكد أن ذلك ممكن بشرط تحطيم بعض الصخور . وفى نفس الوقت يرد على المغرب مبعوث فرنسى في مهمة اعتاق الاسرى المسيحيين هو الوكيل كلود دى ما Claude du Mas فيتصل به سان مندرى ويتفق الرجلان على استغلال الفرصة للانتفاع بالشخص فى اطار خدمة المصالح الفرنسية . أما زيدان فيؤمل استغلال الفرصة لفرضين أولهما وآكدهما فتح المرسى المرتجاة وثانيهما توسط فرنسا في قضية كاستيان التى تهم عدة دول من بينها فرنسا . فيكلف « كلود دى ما » بالدخول في مفاوضات باسمه مع فرنسا في القضية المزدوجة ، مؤكدا شرعية ورسمية البعثة بأرفاق سيدى فارس — احد أفراد البيت السلطانى — بها . وتصل البعثة الى فرنسا بتاريخ 20 فبراير 1619 . يتصل « دى ما » بمجموعة من رجال الاعمال الفرنسيين ، ليؤكد لهم — بكثير من المبالغة — سهولة العملية ووفرة ما ينتظر أن يجنى منها من أرباح مركزا على ما تتوفر عليه من ملح . واقنع هؤلاء فاسرعوا الى تأسيس لجنة عرضت مشروع

(25) — أومفريس . انظر في شأنها دى كاسترى 246/2 وكذا فرنسا 54/3 . والمنطقة لاتزال تحمل نفس الاسم الى اليوم على الطريق بين أسفى والجديدة وتعرف بأريماء مفرس .

(26) — عرفه دى كاسترى في تقديمه لنظرة عن سلا في القرن 17 — فرنسا — 3.

تأسيس شركة للقيام بتنفيذ المشروع على لوييس 13 . فيكلف هذا الأخير  
أحد رجاله Dela malle بدراسة ملف القضية من كل جوانبه  
بحضور المبعوث المغربي . أما قضية كاسينان فلم تشر .

عاد « دي ما » الى المغرب محاولا الاتصال بزيدان ليعرض عليه  
ما انتهت اليه مهمته . وكان ذلك نهاية المشروع من الاساس . اذ لم  
يجرؤ الفرنسي على المثل بين يدي السلطان وهو يحمل اخبارا غير  
سارة في قضية التحف التي فقد زيدان . ومن جهة ثانية تسربت انباء  
المشروع لتصل الى اسماع كل من اسبانيا وهولندا (27) اللتين اخذتا  
في توجيه حملات للتعريف على امكانيات المنطقة واهميتها . وهذا ما جعل  
سكان الناحية يتخوفون من أن يحل بمنطقة اير ما حل بالعرائش قبلها  
بوقت قليل (28) . وساد ما تبقى خاضعا للسلطة الزيدانية اضطراب  
جعل السلطان يهمل المشروع الى حين (29) .

غير أن حيوية المشروع جعلت زيدان يعيد التفكير فيه بعد مرور  
حوالي السنتين على الاحداث السابقة الذكر ، محاولا هذه المرة تلافي  
الخطا الذي وقع فيه قبل ، بتنفيذ المشروع اعتمادا على نفسه ودون  
اللجوء الى الاجانب او على الاقل دون تشغيلهم بكيفية مباشرة فسي  
انجازه .

وهكذا يوجه الى الحكومة الهولندية رسالة مؤرخة بـ 1621/7/2  
وتوافق 12 شعبان عام 1030 ، يقول فيها : « ثم مما تعرفونه  
أننا نحتاج الى سفينة من سفنكم ، تحمل تجاه حضرتكم بعض خدامنا مع  
اليهودى موسى بليائش . والمراد أن توجهوا لنا بها قريبا مع بعض  
المعلمين الحجارين الذين لهم خبرة ومعرفة بقطع الاحجار ، أردناهم لاصلاح  
بعض مراسى سواحلتنا العائدة بالمنفعة عليكم وعلينا .. » (30) .

(27) — سنستعمل لفظة « هولندا » عوض تعبير الاراضى المنخفضة للتبسيط .

(28) — وثائق دي كاسترى — الاراضى المنخفضة — 248/3 .

(29) — اعتدنا فكل هذا الفصل على وثائق دي كاسترى — فرنسا : 3 — ص 54  
وما بعدها .

(30) — دي كاسترى — الاراضى المنخفضة — 3 : 216 .

وفي نفس الوقت يوجه زيدان بعثة مكونة من الكيثن الهولندي  
أوتكر كلايزز outger claez (31) وبمعية خادم السلطان بلياش  
(يوسف) بمامورية عرض مشروع اتفاق في شأن المرسى المزمع فتحه  
على هولندا ، على أن تتكلف هذه الأخيرة بتزويد المشروع بالصناع ، مقابل  
حق استخراج ملح البارود من كل الاقاليم الخاضعة للسلطان . يحمل  
الوعد كدليل على صحة ما يتقدم به صورة للمنطقة (32) .

تصل البعثة الى لاهاي في أوائل شتنبر 1621 ، وتقدم عرض  
زيدان ، مع ملاحظة مبالغة بلياش في وصف الفوائد التي يمكن ان  
تجنيها هولندا من المنطقة وبالاخص في باب الملح .

تري هولندا في الاقتراح فرصة تستغل فتبادر الى التاكيد مما  
يعرض عليها موجهة بدورها بعثة دراسية الى المغرب ، وتراسل زيدان في  
الموضوع لتعلمه بوصول البعثة التي عرفت ببعثة رويل Ryel (33) .

يصل ألير رويل الى ميناء آسفى ويقيم فيه انتظارا لمقابلة السلطان  
ابتداء من صيف سنة 1623 . وسرعان ما يبلغه المسؤول عن التشريفات  
أنئذ - بلياش - أن السلطان يعفيه من مشقة السفر الى مراكش  
ويأمره بانتظاره بآسفى حيث سيأذن له السلطان في مقابله بعد التحاقه  
بها قريبا . لكن انتظار المبعوث الهولندي طال ليتعدى السنة (34) ،  
فيقرر إنهاء المهمة ومغادرة المغرب ، مستعدا لذلك بتحرير تقرير مطول  
يبدأ من 1623/5/25 (35) . ويبرر رويل فشله بالصعوبات التي تعترض  
تحقيق المشروع بل تجعل منه أمرا مستحيلا فيؤكد أولا على موقف المغاربة  
المعارض لكل عملية تنازل عن جزء من البلاد للأجانب ، مضيفا أن وضعية  
زيدان المزعومة تجعله لا يفكر مطلقا في عمل من هذا القبيل خصوصا وهو  
- حسب قوله - ليس الحاكم الفعلي في المنطقة بل هو انقائد  
حميدة (?) الذي يقود 15 ألف رجل وان كانت هناك امكانيات تعامل فهي

(31) - نفسه 3 : 174 و 176 .

(32) - تحد نسخة منها مرفقة .

(33) - نفسه 3 - 227 .

(34) - كان زيدان في حرب مع الحاض هولندا 3 : 243

(35) - نفسه 3 - 248 .



مع هذا القائد، ثم يشير الى ان المشروع خرج عما رسم له من السرية وانه وصل الى علم فرنسا واسبانيا .

وفي نفس الوقت يصل الى الحكومة الهولندية تقرير من احد افراد البعثة Jacob Gool (36) وهو تقرير مطول ايضا تطرق فيه صاحبه الى كل العناصر التي لعبت او يمكن ان تلعب دورا في قضية أمير (37) . ويظهر هذا التقرير بدوره ان السلطان زيدان متخوف من نتائج تعامله مع الاجانب ، التي تتعارض وعداء المغاربة لكل تصرف من هذا النوع ، وفي نفس الوقت يعتبر هذا التعامل مع الاجانب (المسيحيين) أمرا حيويا بالنسبة للسلطان .

وكان هذان التقريران اساس تعجل الحكومة الهولندية وبعثها بقطع حربية الى السواحل المغربية . وحين مرور هذه القطع في عرض الوليدية حسبها السكان قطعا اسبانية أتت لتحتل ، فساد المنطقة التأهب والتحضر الذي حاكي الثورة . فما كان من زيدان الا ان التحق بعين المكان ملقيا القبض على بعض العملاء الاجانب لاطهار عدم اشتراكه في المسألة .

وبعد مدة وصلت القطع الى آسفى فاذا هي قطع هولندية ، اعاد التعرف على هويتها بعض الاطمئنان الى قلب السلطان .

لكن تلك القطع لم تطل الإقامة ، وساعت العلاقة بين زيدان وهولندة التي بعثت الى وفودها أوامر بالالتحاق بالوطن ، وبذلك ينتهي التفكير في المشروع مرة ثانية (38) .

لم يعمر زيدان بعد الاحداث الأخيرة طويلا ، فقد توفي سنة 1627/ 1037 . وتعاقب على عرش مملكة مراكش من بعده أبنائه الثلاثة : عبد الملك (1627 - 1631) ثم الوليد (1631 - 1636) . ثم محمد الشيخ الاصغر (1636 - 1652) . أما عبد الملك فما نظن أنه فكر في المشروع الذي بدأه والده وتخلى عنه ، فبعد انشغاله مدة باخماد عصيان اخويه ، أنزوى في مراكش ملازما فسقا وفجورا الى أن توفي بعد فترة

36 - انظر ترجمته في وثائق دي كاستري - الاراضي المنخفضة - 3 : 268

37 - تقرير كوجل في الاراضي المنخفضة 3 : 571 .

38 - نفسه - 3 : 217 .

حكم قصيرة كان خلالها « فاسد السريرة مظموس البصرة » (39) وبوع  
بعده أخوه الوليد .

بدأ الوليد بمجرد استقراره في الملك سلسلة من الإصلاحات ،  
محاولاً التقرب من الرعية بالتقرب من العلماء وإظهار الرغبة في الجهاد ،  
كما ربطته بالمجاهد العياشي علاقة طيبة في بداية الأمر ، وتمت بين  
الرجلين مراسلات في شأن الجهاد بالأخص . وفي هذا الإطار بدأت انظار  
الوليد تتجه صوب « إبير » إذ في نفس سنة بيعته يوجه إلى هولندية —  
مع يوسف بلياش — رسالة مؤرخة بـ 1651/9/16 تقول . «...»  
وقد وجهنا قبلكم بكتابنا الكريم هذا ، حامله نمي دارنا الكريمة يوسف  
بلياش ، لقضاء بعض أغراضنا ،، منها انتخاب معلمين على أيديكم ،  
يهدمون على مقامنا العلى «...» (40) .

وتجد هذه الرسالة صدى طيباً في هولندية ، فتوجه أحد ممثليها  
إلى المغرب للبحث عن معلومات توضح — مرة أخرى — مدى أهمية  
المنطقة . وقد اهتم هذا الخير بالجانب العملي للمشروع ، ويتصل  
بالحجارين مستفسراً إياهم عن الامكانيات العملية لتوسيع المجرى ،  
وانتهى بذلك إلى القول في تقريره بأن المشروع ممكن تحقيقه ، وأن  
المنطقة صالحة لايواء السفن بعد بضع عمليات (41) .

عندئذ ، توجه الحكومة الهولندية المعلمين الذين طلبهم السلطان ،  
ويستقبلهم هذا الأخير بالحفاوة معداً لهم بمجرد وصولهم المواد اللازمة  
للبناء (42) . ويظهر أن رئيس البعثة الهولندية أساء فهم تصرف السلطان  
فالوليد كان ينوي بجانب فتح المرسى اتخاذ مكان حصين — قصراً أو  
حصناً — للإقامة وكانت مهمة الهولنديين في نظره مزدوجة ، وإن كان قد  
قدم العملة من الأسرى للمساهمة في بناء الحصن . وسيتم بالفعل بناء  
الحصن 1640 (43) .

(39) — حسب تعبير الينري في النزعة .

(40) — الأراضي المنخفضة — 4 : 298 .

(41) — نفسه . 4

(42) — نفسه .

(43) — وثائق دي كاستري — المجموعة الهولندية — 3 : 362 الحاشية 3 وكذا

فرنسا 3 : 55 .

ماذا تبقى فى المنطقة بعد أن قام فيها السلطان بما قام ؟

لا يمكن الجزم بأن المرسى فتح واستعمل رغم ما تتوفر عليه من شهادات تاريخية تؤكد ذلك . وهذه الشهادات على نوعين :

النوع الاول : تمثله اشارات عابرة فى وثائق انجليزية بشكل خاص تؤكد واحدة منها فى سياق الحديث عن اطلاق سراح بعض الاسرى الانجليز — انهم بعد تسريحهم — ابحروا من مرسى أير ( Aer ) فى ابريل 1636 (44) . كما تؤكد شهادة أخرى ان سفينة ابحرت من الوليدية Gowandia بتاريخ 28 أبريل 1638 موسومة سلعا مختلفة منها القمح والزيت والسمن (45) ولا نستطيع أن نعطي لهذه الشهادات الا قيمة محدودة ، أولا لخلطها بين الوليدية واير ، وثانيا لاحتمال أخطائها فى اسم المكان الذى ابحرت منه السفن المشار اليها ، زد على ذلك أن شهادة انجليزية أخرى تتحدث عن المنطقة مكثفة بالانتسار الى الحصن الذى يطل على المنطقة دون الحديث عن وجود مرسى (46) .

اما النوع الثانى من تلك الشهادات فقوامه اشارة وردت فى رسالة من داوود بليائش الى هولندة يخبرها فيها بأن السلطان انشأ مرسى جيدا فى أير مشيرا الى أنها ( هولندة ) تتوفر على رسم للمنطقة (47) . سنرى فى مناسبة أخرى الدور الذى لعبته عائلة بليائش فى تاريخ النصف الاول من القرن السابع عشر المغربى ، ونكتفى هنا بأن نذكر أن هذه العائلة لم تكن تتورع عن المبالغة فى تجسيم الفوائد التى يمكن أن تجنيها هولندة من المغرب بشكل يجعلنا نتحفظ الى حد نفي كل صدق عن كل ما يشهد به أحد أفرادها .

وفوق كل هذه الشهادات هناك التطابق التام بين رسم المنطقة حوالى 1636 وبين ما هى عليه اليوم بشكل لا يبقى معه أى شك فى أن أى عمل لم يتم فيها من الوجهة البحرية .

(44) — نفسه — المجموعة الانجليزية — 3 : 246 .

(45) — نفسه ، نفس المجموعة — 3 : 459 .

(46) — نفسه — نفس المجموعة — 3 : 454 .

(47) — نفسه — المجموعة الهولندية — 4 : 362 . ويشير الى الرسم المذكور اعلاه .

ولا نجد بعد ذلك ذكرا لمشروع ما لفتح مرسى في الواليدية ، الا أن أحد الفرنسيين (48) كان يرى أن هناك امكانيات واسعة لاستغلال المرسى كميناء لتصدير خيرات عبدة ووكالة . لكن أحدا لم يهتم بالامر .  
بقى أن نشير الى اشارة ترى أن الوليدية سقطت في يد البرتغال سنة 1640 (49) لكننا نستبعد صحة ذلك .

الخلاصة إذن أن المغرب عرف، وفي مناسبتين ، محاولة اقامة تجهيز ما يصله بالمحيط الاطلسي ، وأنه عرف الفشل في المحاولتين معا .  
كان العمل في المناسبتين معا أيضا، عملا حيويا ، تفرضه المعطيات السياسية بوجه خاص ووحيد . ذلك أن المغرب في النصف الاول من القرن السابع عشر امتاز بشيء غير قليل من الاضطراب السياسي ومن الانقسام السياسي : ففي نفس الوقت تواجدت في البلاد مجموعة من القوى السياسية التي احتفظت كل واحدة منها بمنطقة نفوذ وتمسكت بها التمسك الشديد الذي يضطرها الى الاصطدام بجارتها في كثير من الاحيان . وكانت اهم المشاكل التي واجهت كل هاته القوى العنثور على مورد للسلاح والمال . ولم يكن هناك مناص — والمغرب على ما هو عليه — من الاتصال بالخارج ، وبالصيبت بأوربا .

حدث كل هذا ومعظم المراسى المغربية خاضع للنفوذ الاسباني البرتغالي ، والباقي القليل منها متقاسم بالاحتكاريين القوى السياسية المتصار الى شكل يمنح لكل منها متنفسا بحريا . حقا لم يكن البحر وما وراءه في هذه الفترة أمرا حيويا ولكنه مع ذلك كان مهما ، ولندكر على سبيل المثال الصراع الطويل الذي طبع العلاقات بين العياشي واهل الرباط حول مصب ابي رقراق، والعلاقات المتوترة بين نفس الرجل وبين اهل الدلاء حول نفس النقطة ...

وتغدو المسألة حيوية بصورة أوضح بالنسبة لسلطان مراكش الذي أصبحت منطقة نفوذه تقتصر على ما يقع جنوب ام الربيع ، مع جزء من

(48) — سقت الإشارة اليه . Ch. Tissof

(49) — سيراغو — تاريخ البرتغال — ذكره دي كاستري في وثائقه — فرنسا 55/3  
الإشارة 3

حوز مراكش وجزء من عبدة . وكان مرفأ هذه المنطقة الوحيد هو أسفى، وهو محط اطماع الحاحى بشكل اوسع (50) زد على ذلك أن المسافة الطويلة الفاصلة بين أسفى والبريجة - المستعمرة البرتغالية - وهى مسافة خمس مراحل ( حوالى 140 كلم ) لا تتوفر على اى مرسى. لهذا كان فتح مرسى فى أير أو فى الوليدية أمرا تفرضه ضرورات الوقت على حكام القسم الغربى الاوسط من مغرب النصف الاول من القرن 17 .

وفى الطرف الآخر ، كانت أوروبا - قل بعض دولها - تلعب دورا فى تأكيد ضرورة فتح المرسى. فأوروبا الغربية وبالاخص هولندة : كانت تعرف فى نفس هذا الوقت بالذات نزاعات وحروب ، وكانت تعرف - ولو بصورة جينية - تحركا تدريجيا بطينا من ميركتيلية الى راسمالية تجارية : وكان معنى هذا التطور ، بالنسبة للمغرب بداية تطاول أوروبا الغربية - ودائما هولندة بشكل خاص - بكثير من الالحاح للاستفادة من المغرب أولا كمصدر لبعض المواد وثانيا لتصرف بعض المنتجات الاوروبية. وعلى رأسها السلاح ، ولنلاحظ بالاخص الحاح هولندة فى البحث عن امكانيات انتاج ملح البارود ، ولنقارن ذلك بحالة الحرب التى كانت فيها فى نفس الوقت ( 1618 - 1648 ) .

نلاحظ الآن ملاحظتين : أولا أن الظروف السياسية مهما كانت قوتها، فهى لا تكفى لتفسير حدث مثل فتح مرسى . وثانيا أن الموضعية فى أوروبا هى اما وقتية ( حالة الحرب ) أو لم تتخذ شكلها النهائى بعد ( التطور الاقتصادى المتسارع اليه ) وفى كلتا الحالتين لم تكن الظروف من القوة والاستمرار والوضوح بحيث تضغط ضغطا قويا ومستمر وواضحا على الحدث .

ومع ذلك فقد كانت للطرفين معا - المغربى والاوروبى - مصالح فى فتح المرسى . لكن المشروع فشل . فلماذا هذا الفشل ؟

هناك اولا اسباب عملية تقنية بحثة .

---

(50) - وثائق دى كاسترى - فرنسا - 3 : 21 .

هى مرتبطة بالمعطيات الطبيعية المحلية وبالتقنيات المتوفرة . فلننظر الى الرسم الذى وضع للمنطقة والذى لا يخالف — كما قلنا عدة مرات — الوضعية الحالية للمنطقة ، التى تتكون من الوحدات التالية :

اولا : مدخل المجرى : وطوله حوالى 70 مترا ، هو — نظريا كافى لدخول وخروج المراكب . غير انه شبه مقفل بسبب وجود مجموعة من الصخور .

ثانيا : تتكون هذه المجموعة من 3 وحدات : الوحدة الاولى (حرف ا) قوامها 3 صخرات تظهر بارزة ابان الجزر ، بحيث لا يغطيها سوى حوالى القدم ماء . والوحدة الثانية (ب) قوامها صخرة واحدة كبيره تظل دائما بارزة فوق الماء حتى فى حالة المد . ثم الوحدة الثالثة (ج) يغطيها الماء ابان الجزر بحوالى القدمين ماء ، ثم الوحدة الرابعة (د) وهى عبارة عن عرف صخرى ممتد على طوله فتحة المجرى ، وهو يظل ملامسا لسطح الماء حتى ابان المد .

ثالثا : المجرى المائى الممتد باتجاه شمالي على طول يختلف باختلاف قوة الحركة البحرية . الا أن حركة المياه المتدفقة اليه — فى حالة المد — أو منه — فى حالة الجزر — لا تسمح بترسب الرمال أو غيرها مما يجعل المجرى نقيبا باستمرار . لكن قعره مكون من صخور صلبة تغطيها طبقة رقيقة من الرمل أو الطين ، مما يشكل خطرا على المراكب التى يمكن ان تستعمله خصوصا وأن عمق الماء لا يتعدى المترين فى حالة الجزر وينتظر أن يقل مستوى الماء فيه اذا ازيحت الصخور التى تسد مدخله .

كل هاته العناصر كانت تجعل من الصعب جدا التمكن من فتح مرسى فى ايسر . وهذا ما يمكن ملاحظته من خلال تحليل تقرير جاكوب كـوول Jacob Gool (51) الذى يرى أنه ليس من المستحيل فتح المرسى، لكن بعد القيام باشغال هى : ازاحة صحرتين على الاقل من مجموعة (ا) والصخرة الوسطى من مجموعة (ب) ، كما يرى لزوم تهديم العرف الذى تمثله الوحدة (د) . لكنه من ذلك لا يخفى

(51) — دى.كاسترى — المجموعة الهولندية — 571/3 وما بعدها .

تخوفه من أن صعوبات كثيرة تعترض سبيل تحقيق هذه العمليات بسبب حركة المياه القوية التي لا تمكن من تثبيت العوامات التي ينتظر أن يقوم العمال بالعمل فوقها . كما لا يخفى تخوفه من أن المرسى - حتى في حالة فتحها - لن تتمكن من استقبال المراكب الكبيرة ذات الغاطس الكبير نظرا لقلّة عمق المجرى من جهة ولضيقة الى الحد الذي يستحيل معه الدوران داخله من جهة أخرى .

أما عن ظروف العمل فإن من الضروري اتخاذ فؤوس من نوع خاص ترفع فوق عوامات يحركها دفعا أو جرا من 70 الى 80 رجلا، ليشتمل فوقها من 6 الى 7 رجال ، ولا يمكن العمل بالطبع الا أيام الجزر (52) بالإضافة الى هذه الصعوبات التقنية البحتة هناك صعوبات متصلة بها وترجع الى صعوبة التآلف بين العمال الاجانب والمغاربة (53). وعلى العموم نسجل ان العمليات وان كانت صعبة فهي لم تكن مستحيلة التحقيق ، كما نسجل أن المغرب في المناسبتين معا كان ملزما باستحضار (خبراء) اجانب .

أما النوع الثاني من الصعوبات فهو بشري :  
تمثل في الظروف السياسية التي كان المغرب يعرفها آنذاك . منها ظروف تهم كل البلاد ، مثل النزاع بين الحكام الذي كان يؤدي الى انعدام الاستقرار الذي من شأنه أن يوفر للسلطان التفرغ والامكانيات اللازمة للوصول بالمشروع الى غايته ، والذي كان من شأنه نزاع الاجانب ثقتهم من السلاطين ، حتى أن بعض الهولنديين ذهب الى ان المشروع من أساسه لعبة كبيرة هدف السلطان من ورائها الحصول على الدعم (54) ومن هذه الظروف أيضا التذمر العام الذي نتج عن حادثتي العرائش والمهدية ، ولا زال المغاربة يرون في حكاهم حتى وقت التفكير في المشروع الذي نحن بصدد البحث عن اسباب فشله - اناسا مستعدين للتنازل عن جزء من البلاد للاجانب مقابل مساعدتهم لهم ، ويفسرون كل علاقة بين السلطان وبين دولة اجنبية بأنها اعداد لفقدانهم جزءا من ترابهم (55) .

(52) - دي كاستري - هولندة - 3 : 22 وما بعدها .

(53) - نفسه 3 : 575 .

(54) - نفسه - ونفسه المنقحة : وكذا 3 : 397 .

(55) - نفسه 3 : 248 .

وكان هذا الموقف الشعبى يعرقل المشروع بصفة مباشرة احيانا . ويكفى ان تذكر الاضطراب الذى عرفته المنطقة عند اقتراب قطع هولنديه من الساحل . كما كان هذا الموقف يعرقل المشروع ايضا بسبب تأكيد الهولنديين بالاخص من عداوة المغاربة لهم وترقبهم لمهاجمتهم ، فهم يصرون فى تقاريرهم على ضرورة اتخاذ التحصينات اللازمه ضد « ... هجمات ولصوصية العرب .. » وكان الهولنديون يدركون ان هذه « العداوة » لها ما يبررها ، ويرون ان « ... موقف المغاربة معروف ازاء كل من يتخلى عن ميناء للمسيحيين (56) . بل ان صاحب هذا التقرير يزيد قائلا — بعد التعرض لامكانية الحصول على المنطقة شراء او كراء — قائلا : « ذلك ان هذا سيكون مخالفا لعادات وقوانين بلاد المسلمين .. حيث ان كثيرا من ملوك هذه البلاد ، ادوا ثمننا لمثل هذا العمل حياتهم او عروشهم ... » (57) . نسجل هنا — دون تعليق — هذا الموقف الشعبى الذى كان من الواضح بحيث احس به الاجانب انفسهم ، ونكتفى بتسجيل هذه الظاهرة .

فى حين كانت المواقف الاوروبية نفسها من بين عوامل فشل المشروع

فقد شكل المشروع مناسبة ظهرت خلالها مجموعة من الدسائس والاتصالات الخفية التى كانت تخدم مصالح فردية بالاخص . وكانت هذه العمليات تدور بشكل خاص حول شخصيات معينة مثل افراد عائلة بلياش التى كانت لها مصالح اقتصادية واتصالات كثيرة بالاخص مع رجال اعمال هولنديين ، او مثل مفامرين اوروبيين منهم الموكلاء والمبعوثون الرسميون وممثلو مصالح بعض الدول الاوروبية .

وكان منطلق هذه الدسائس وحجتها فى نفس الوقت ، الرسم الذى اتخذ للمنطقة والذى طاف بكثير من الدول الاوروبية الغربية . فقد عرض المشروع على فرنسا ، فتسارع جماعة من رجال الاعمال فيها — بتوجيه من الملك — الى تكوين شركة لاستغلال المرسى المزمع فتحه عن طريق الحصول — او محاولة الحصول — على امتياز استغلاله .

(56) — وثائق دى كاسترى — هولندا 3 : 577 و 248 .

(57) — نفسه — ص 578 .



وتفشل الاتصالات الاولى وينتهى التفكير في المشروع في فرنسا ، وفى نفس الوقت كان كلود دى ماس *claud du mas* يبيع سر المشروع لاسبانيا التى توقفت رسميا عن الاهتمام بالامر ، وان كانت قد بعثت سفينة من المعمورة للتأكد من جلية الامر ، وجاء في تقرير البعثة أن من المستحيل استعمال المنطقة للارساء (58) فتخرج اسبانيا بدورها من خلية المنافسات تاركة المجال لهولندة . لكن هذه الدسائس المليئة احيانا بالاكاذيب ، جعلت القضية تاخذ من الاهمية أكثر مما تستحق ، حيث بولغ في وصف المنافع التى يمكن أن تجنى من المنطقة ، وغدت القضية تذكر بمغامرات البحث عن الكنوز في مجاهل عالم غريب متوحش . وما كان هذا الا ليجعل المسألة تاخذ من بدايتها منطلقا غير طبيعى رغم انها بسيطة . فكل ما في الامر أن سلطانا مغربيا — زيدان أو ابنه الوليد — كان يرى ضرورة فتح مرسى في أيلته ، ويرى أن لا غنى له من الاستعانة بالإجانب ، فيتصل بهم قائلا :

.. ثم مما تعرفونه أننا نحتاج الى سفينة من سفنكم تحمل اتجاه حضرتنا بعض خدامنا من اليهود موسى بلياش .. والمراد أن توجهوا لنا قريبا .. مع بعض المعلمين الحجارين الذين لهم خبرة ومعرفة بقطع الاحجار ، اردناهم لاصلاح بعض مراسى سواحلنا العائدة بالمنفعة علينا وعليكم ، وبادروا ان شاء الله بارسالها لان هذه المسألة من اوكد مسائلنا واغراضنا فلا يصيبكم فى ذلك تراخى .. (59) . هذا بعض ما جاء في رسالة زيدان ، وقريب منه جدا ما جاء في رسالة الوليدية المؤرخة بـ 16 / 9 / 1631 (60) .

يريد زيدان اظهار استعدادده للتعاون المتبادل ، فيقول في رسالته : « وأما ما ذكرتم من انكم فى غاية الاحتياج للحلح البارود واخبرتم أن بحضرتنا العلية منه كثير . فرغبتم من على مقامنا فى اصطناعه بها ، فقد أننا لكم فى ذلك أننا تاما . فوجهوا من خدامكم من يأخذ فى عمله حتى تستكملوا منه مرادكم ان شاء الله .. » . لكن الدسائس تتدخل لتجعل من القضية قضية ارباح سريعة .

(58) — نفسه ص 248 .

(59) — هولندة — 3 : 170 دوى مؤرخة بـ 2 — 7 — 1620 .

(60) — نفسه — 4 : 298 .

فهذا داوود بلياش يكتب هولندة قائلا : .. صاحب الجلالة فتح  
مرسى جديدا ... المالح التي به يمكن أن تعطى كل سنة أكثر من وسق  
40 سفينة ملحا ... (61)

فتتأكد أطماع هولندة وترسل الى ممثلها بالاستخبار عن امكانيات  
ملح البارود وامكانيات تصنيعه بالمغرب ، وان يستعلم عن امكانيات انتاج  
منطقة الوليدية من القمح والصمغ العربى، وعن صلاحية المنطقة للتجارة،  
وان يطلب من السلطان ادنا مكتوبا يعطى الحق لهولندة في استعمال كل  
المراسى والموانئ والانهار كمرافىء لسفنها التجارية والحربية بكل حرية  
وتحت رعاية السلطان (62).

وفي نفس الوقت يعلم فرد آخر من افراد عائلة بلياش الممثل  
الهولندى ، بان فرنسا حصلت على حق استعمال المرسى المزعوم  
لده 3 سنوات مقابل ثمن ما ، وان هناك 32 سفينة اسبانية عند مشارف  
أيير (63).

هى اذن من جهة مطامع توسعية احتكارية من الجانب الهولندى ،  
وهى من جهة أخرى تجسيم لامكانيات المنطقة . فما هى النتيجة فى  
الاخير ؟

اظهرت التقارير ان المالح التي يمكن أن تقام غير كافية (64) وان ما  
ينتج من ملح لا يكفى الا حاجيات اسكان . (65) . فتتأكد هولندة ان لا  
فوائد — بالشكل الذى تنتظر — تجنى من المنطقة ، خصوصا وان  
خيرها يقول : « لو كان لهذه المنطقة احدى أهمية ، ولو كان بالامكان  
اعدادها للملاحة بكيفية او باخرى ، لما امتنع البرتغاليون عن ذلك  
ولما اقتصدوا في استعمال امكانياتهم ومهارتهم ما داموا قد سكنوا  
ضواحي المنطقة ، خصوصا وانهم لم يتركوا اى ميناء دون أن يحتلوه او

(61) — نسبه — 4 : 362

(62) — نسبه — 4 : 280

(63) — نسبه — 4 : 315

(64) — نسبه — 3 : 216

(65) — نسبه — 3 : 560

يحصنوه ... وإن تجدد ( هولندية ) فيه أية فائدة ما دامت تستعمل موانئ مغربية أخرى وتتاجر انطلاقا منها بالقدر الكافي الذي تسمح به الامكانيات الانتاجية للمغرب .. ويخشى أن يعدو هذه المنطقة — باعتبارها الميناء الوحيد في كلاله — إذا فتحت منبع الكوارث بالنسبة للمسيحيين، وأن تغدو مع الزمان والظروف ، وباعتبار التغير المستمر الذي تعرفه هذه البلاد مصدرا لخراب ملاحظتنا . ذلك أن هذا الشعب لا يعرف سوى استعمال البحر من أجل القرصنة والقضاء على المسيحيين ... (66).

بذلك تنتهي الاطماع الهولندية وينتهي التفكير في المشروع .

وبذلك بقيت المنطقة الممتدة من الجديدة الى آسفى منطقة لا تتوفر على أى منفذ نحو المحيط . فهل تكتفى بالعوامل السابقة الذكر كتفسير لفشل المحاولتين الزيدانية والوليدية في فتح مرسى أيسر ؟ أى كتفسير لخلو منطقة شاسعة من ميناء بحرى ، والعوامل المذكورة كلها عوامل غريبة عن المنطقة وأهلها ؟ حقا هناك العوامل الطبيعية المرتبطة بطبيعة الوجة عموما والتي كانت سببا فى عرقلة القيام بالمشروع ، ولكن في المغرب مناطق أخرى ، وفي غير المغرب أيضا ، لم تكن تتوفر على الظروف الطبيعية الملائمة ، ولكنها عرفت تجهيزات واصلاحات ، جعلت منها موانئ نشيطة ، ولندكر على سبيل المثال ميناء الدار البيضاء (67) وميناء مرسيليا . ومعنى ذلك أن رغبة الانسان — سلطة أو مجموعة بشرية — في اتخاذ مرسى أو بناء مدينة عندما تتخذ شكلا تلقائيا تفرضه ضرورات اقتصادية واضحة ، فإن تلك الرغبة تتغلب على المعطيات الطبيعية مهما كانت صعوبتها . ومعنى هذا أن فشل اتخاذ مرسى فى أيسر هو فشل منتظر ، ما دامت المسألة أتت من خارج المعطيات المحلية ، وأرادت أن تفرض فرضا ، ظاهرة اجتماعية اقتصادية ، فسي شكل زرع اصطناعى لتجهيز معقد لا تتطلبه المنطقة بل ربما لا تحمل وجوده .

(66) — وثائق دى كاسترى — هولندية — 3 : 577 ر 578 . وهذا ما حصل بالفعل حيث تؤكد اشارة انجليزية ( المجموعة الانجليزية — 3 : 485 ) أن مراد رايس كان مقبلا بالوليدية وهو معزوف .  
(67) — جغرافية المدن المغربية — الاستاذ حسان عنوض — ص 111 .

لا نعرف الشيء الكثير عن المعطيات الاقتصادية الاجتماعية لمنطقة عبدة الشمالية في النصف الاول من القرن السابع عشر ، بل لا نكاد نعرف عنها شيئا البتة . فالمنطقة كانت في الفترة المذكورة — ولا تزال الى اليوم غير ذات أهمية كبيرة في ميدان الانتاج الفلاحي ، وهي منطقة قليلة الرطوبة ، لا تعرف مجرى مائيا دائم الجريان من أم الربيع الى تانسيفت كما ان كمية ما تستقبله من المطر ( حوالى 400 ملم سنويا ) تقارب الحد الأدنى الذى بدونه يصعب القيام بزراعة بورية . والتربة المنفذة — وهذا ما يفسر غياب الجريان السطحي الدائم — لا تعطى امكانيات فلاحية مهمة ، خصوصا وان عروقا كلسية تتخللها متكسرة الى قطع تكون حقولا حجرية يغطي منظرها على معظم جهات المنطقة .

حقا تعبر المنطقة من اغنى جهات المغرب بالماء لتوفرها على فرصة مائية باطنية مهمة لكن استغلالها للرى كان يتطلب تقنيات معقدة الى حد ما ، وهذا ما لم يكن في متناول كل السكان ، حيث ان معظم من العرب نصف المستقرين ، الذين لا زالوا يعيشون الى ذلك الحين في الخيام ، ويتعاطون تربية مواشى متواضعة تواضع الامكانيات العشبية للمنطقة (68) اما العناصر البربرية فهي التي كانت تستغل — وفي شكل محدود ، الامكانيات التي توفرها الفرشة المائية الباطنية لرى حدائق تعطى أحسن غلات دكالة (69) وهؤلاء البربر أصلا من صنهاجة سوس الأقصى .. لعل سلفهم نزلوا مع الدولة السعدية التابعة من سوس ، فكان أنصارهم من سوس دخلوا معهم متجندين ومتطوعين...» (70) .

ولا ندرى شيئا عن أهمية انتاج هذه الحدائق ، ولا نوعية النشاط الذى كانت تساهم فيه . هل هو اقتصاد مغلق شبيه بما يمكن ملاحظته فى الحقول الحدائقية الجبلية ؟ لكننا نرجح أن يكون من الأهمية بحيث يغذى تجارة تتجه بالخصوص نحو الداخل لا نحو المحيط ، في اطار تيار تقليدى بدأ مع بداية استقرار السكان في المنطقة . والطريقتان المذكورتان فى الانتاج الرعوية او الحدائقية لا تتطلبان استقرارا حضريا مهما ، فهناك تنافى بين عيشة النصف استقرار الرعوية وبين الحياة الحضرية من جهة ، كما أن هناك تنافيا بين الزراعة الحدائقية التي تتطلب تبعثرا في السكن وبين نفس الحياة من جهة ثانية .

(68) — تقرير كحول — المجوعة البولندية — 3 : 571 .

(69) — نفسه .

(70) — أسفى وما اليه — الكاثونى — ص 41 .

والمهم أن طبيعة النشاط الاقتصادي في المنطقة لم تكن تتطلب وجود مدينة ، اللهم الا ما كان ضرورة حيوية كمركز لسوق . وهذا ما كانت توفره مدينة الغربية ، التي كانت تقع على بعد نحو 20 كلم شرق الوليدية . ويظهر أن تاسيس هذه المدينة كان في بداية الاسلام (71)، وفيها استطاعت أن تستمر وتصمد في الوجود ، رغم التحريب الذي يحل بها سنة 667 / 1278 ، فاعيد بناؤها ، ثم خربت سنة 1552/921 ثم عمرت بعد ذلك الى أن خربت في القرن الماضي لعوامل سياسية بحتة . ومع ذلك فهي لا تزال الى اليوم سوقا أسبوعيا ( اثنين الغربية ) تلقى فيها غلات المنطقة .

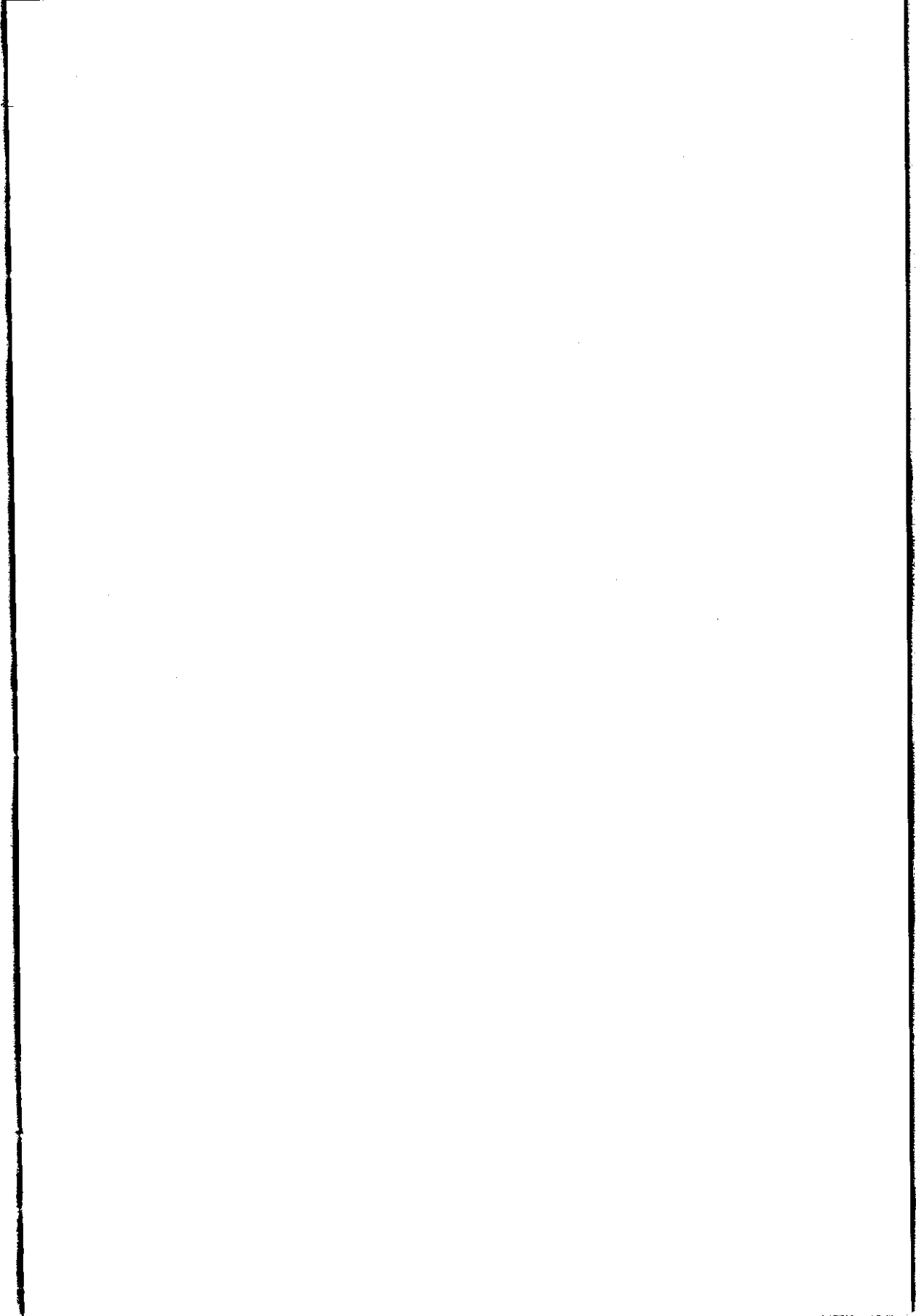
---

على العموم اذن كان المشروع الرامى الى اقامة مرسى في الوليدية، مشروعا سياسيا محضا ، لذلك لم يكن ينتظر ان ينجح . واساس الفشل لا يكمن في أن المشروع سياسى ، بحت ، اذ هناك مدن اقيمت لاجراض سياسية ، ودامت وعمرت ، لكنه يكمن في أن المشروع ، بتحريك من دوافع سياسية ، يريد اقامة مؤسسة اقتصادية . وقد كان بالامكان أن تعمّر الوليدية وتزدهر — الى حد — لو اتخذت عاصمة أو مركزا اداريا . أما أن تعمّر بفعل نشاط اقتصادى فهذا ما لم يكن ليحصل .

ان المدن التلقائية — مدن نادرة في المغرب ، وهذا مرتبط بالنمط الاقتصادى للبلاد ، وبطبيعة النشاط الاقتصادى في مغرب ما قبل الحماية : ذلك النشاط المركز في البوادي والذي لم تكن المدينة بالنسبة له لتزيد عن أن تكون منطلقا لتحملات والتزامات .

---

(71) — اسفى وما اليه — 42 .



## نحو قراءة جديدة لنظرية النظم عند الجرجاني

**مدخل :** تدور مشاكل الدراسات اللغوية في العالم العربي المعاصر ، حسبما نرى ، حول مشكل محوري واحد : أى طريق نتبع في دراسة اللغة العربية ؟ أى نهج ننتهج في وصف هذه اللغة قديمها وحديثها ، فصيحها وعوامها ؟

اختلفت اجوبة المهتمين بالدريس اللغوى على هذا السؤال وتعددت الاتجاهات :

— ولى فريق وجهه شطر الغرب فأخذ آراء لغوييه ونماذج منظرية وطلق يبلو مقدرتها الوصفية والتفسيرية تطبيقا على اللغة العربية .

— واستمر فريق يرتل قواعد النحو العربى وخاصة ما وضع منها في عصور الجمود اللغوى متعاميا متصاما عما يكتب أو يقال في ميدان الدرس اللغوى الحديث .

— وارتأى فريق ثالث أن يعمل على ايجاد نظريات ونماذج لغوية صالحة لوصف اللغة العربية انطلاقا من النظريات اللغوية العربية وترميمها لها على ضوء الدراسات اللسانية الحديثة .

رغم اننا نقدر مجهودات الفريق الاول معتقدين انها حتما ستثمر بكيفية او بأخرى ( سواء بالنسبة لوصف اللغة العربية ، او بالنسبة لتمحيص تلك النظريات ) نرى ، مبدئيا ، أن محاولة الفريق الثالث

أقرب إلى الصواب إذ تنطلق من نظريات لغوية وضعت حسب خصائص نسق لغوي ( اللغة العربية ) لها يدرسه الغرب .

ولئن اتفق أصحاب هذا الاتجاه الأخير على المبدأ فقد اختلفوا في النهج ، وخصوصاً في كيفية إعادة النظر في النتاج اللغوي العربي القديم ونريد : هنا ، في هذا العرض المتواضع ، أن نقترح خطة أو منهجاً عاماً لعملية الترميم تلك ( له مساوئه وله محاسنه ) متخذين كمثال نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني كما عرضها في كتابه « دلائل الإعجاز » سيرتكر حديثنا على تساولين اثنين :

لماذا نقرأ من جديد ؟

وكيف يمكن أن نقرأ من جديد ؟

لماذا نقرأ من جديد ؟

تفيد أداة الاستفهام ( لماذا ) في تساؤلنا هذا معنيين :

- معنى الهدف : أي ماذا نرمي إليه من وراء إعادة القراءة ؟
- ومعنى العلة أي ما هي الدوافع الموضوعية التي تحثنا على القيام بهذه العملية ؟

#### 1 ( — هدف القراءة من جديد :

يمكن أن نقول موجزين أن ما يجعله الدارس العربي نصب عينيه حين يعيد النظر في اللغويات العربية القديمة من خلال الدرس اللغوي الحديث أهداف ثلاثة متكاملة :

أ — صوغ النظريات القديمة في قالب جديد يتيح المقارنة بينها وبين الحديث من النظريات .

ب — تطعيم النظرية اللسانية الحديثة العامة بروائد نظرية جديدة قد نشأت ما اتفق عليه في الغرب وقد تدحضه .

ج — خلق نموذج لغوي عربي ( أو نماذج عدة ) يضطلع بوصف اللغة العربية ، انطلاقاً من النظريات اللغوية القديمة بعد أن تقوّل وبأن تمحص في إطار النظرية الحديثة اللسانية وأن تحتك بما تفرع وما يتفرع عنها من نماذج لغوية .



## ( 2 ) علة القراءة من جديد :

إذا ما تفحصنا ما كتبه المعاصرون العرب حول نظرية النظم عند الجرجاني بالذات نجد أن حديثهم عنها لا يخلو من أن يكون أما من قبل تأريخ النقد الادبي (1) وأما أن يكون من قبل تأريخ علوم البلاغة (1) ( بمفهوميهما التقليديين ) .

وسواء كان الحديث حديث تأريخ للنقد أو حديث تأريخ للبلاغة ، نجد دائما ( أو على الأقل في الغالب الاعم من الاحوال ) نظرية الجرجاني تشرح وتناقش داخل قضية « اللفظ والمعنى » .

نحن لا نجادل في أن لنظرية الجرجاني ابعادا بلاغية ( تتعلق بالفصاحة وبالصور البلاغية المختلفة ) ولكننا نكر على شارحيه تصنيفهم له كبلاغى وتناسيهم ( أو جهلهم ) لكون نظرية النظم نظرية لغوية اساسا تصف عملية الكلام في عموميتها سواء كان الكلام قولاً عادياً أم قولاً فنياً . كيف يمكن ، مثلاً ، أن يقبل دارس لغوى تمعن في نظرية النظم قولاً كقول الاستاذ احمد بدوى : « أغلب الظن أن عبد القاهر لم يأت بجديد في النحو والصرف والعروض ، على الرغم من أن بعض مؤرخيه يطلق عليه لقب إمام النحاة .. ولكن الشيء الخالد من آثار عبد القاهر هو آراؤه البلاغية (2) » .

وإلى خلو « دلائل الإعجاز » من التفصيل في الاقسام الصرفية والمقولات النحوية ( كالفاعل والمفعول به .. ) والادوات الى أن اللغويين المعاصرين انفسهم لم يعطوا نظرية النظم حقها من الدراسة : فقد اكتفى جلهم باقتناء رأى أو رأيين من كتاب الجرجاني ليورده قصد الاستشهاد في باب من أبواب مؤلفه فلا نجد حتى الآن حسب ما اطلعنا عليه كتاباً في اللغويات يدرس فكرة النظم كنظرية كاملة ( باستثناء ما قام به في هذا الاتجاه الاستاذ الدكتور تمام حسان (3) .

- 
- (1) — انظر مثلاً كتابى أحمد احمد بدوى « عبد القاهر الجرجاني » ( سلسلة أعلام العرب ) واحمد مصطفى المزاغى « علوم البلاغة » ( المكتبة المصرية ) .
  - (2) — أحمد احمد بدوى : « عبد القاهر الجرجاني » سلسلة أعلام العرب ص 41
  - (3) — انظر ص 186 الى 189 من كتاب الدكتور تمام حسان « اللفظ المعريية معناها ومعناها » الهيئة المصرية العامة للكتاب 1973

ما زالت، اذن، فيما نعتقد ، فكرة النظم ، كنظرية لغوية متعددة  
الابعاد ، متكاملتها ، عذراء لم يمسسها انس ولا جان .

كيف يمكن ان نقرأ من جديد ؟ .

هناك سؤال يفرض نفسه عند هذه النقطة من البحث : انطلاقا من  
اى جديد سنقرأ ؟ اى منهج سنحتذى لاعادة النظر فى نظرياتنا اللغوية  
القديمة وقد تعددت المناهج اللغوية المعاصرة وتباينت ؟

السؤال وجيه ولا مندوحة من طرحه . وتكمن وجاهته فى ان عملية  
اعادة النظر التى تستهدفها ستختلف حتما باختلاف المناهج اللغوية  
المنطلق منها : فالقراءة المستوحاة من المنهج التوزيعى ليست هى تلك  
القراءة المستوحاة من المنهج التوليدى ولا تلك المستوحاة مما يسمى  
« بنظرية الكلام » .

للاسهم فى حل هذا المشكل نقترح ان نميز فيما يسمى باللغويات  
الحديثة بين جانبين :

1 ( جانب يتعلق باللغويات من حيث هى نظرية لسانية عامة

ترتكز على مقولات أساسية قلما يختلف فيها ( مقولة البنية ثنائية المخز  
والمقول ، نظامية المستويات اللغوية ، ترابط وتفاعل هذه المستويات  
اعتباطية الدليل اللغوى .. الخ ) .

2 ( وجانب يتعلق بالرؤى والصيغ المختلفة لهذه المقولات حسب  
منطلقات وأهداف النماذج اللغوية المتعددة ...

واذا ما سلمنا بإمكانية التمييز بين الجانبين يمكن ان ننهج قس  
اعادة قراءة نظرية النظم النهج التالى مقترحين ان تتم هذه العملية فى  
مرحلتين :

اولا : مرحلة « العرض التحديثى » التى تشرح فيها النظرية  
انطلاقا من المقولات اللسانية العامة لتبرز عناصرها فى ضوء جديد.

ثانيا : مرحلة « النمذجة » التى تقارن فيها النظرية بالنماذج اللغوية الحديثة كى يتبين :

أ - انها قابلة للانحصار فى نموذج لغوى معين ،

ب - او أنها تستلزم ان تصاغ بكيفية خاصة تجعلها نظرية لغوية مستقلة .

**نظرية النظم من خلال نظرية اللسان الحديثة .**

قد يطول بنا الحديث اذا أردنا أن نتعرض لكل الظواهر اللغوية التى طرقها صاحب « الدليل » ، لذا سنركز العرض على الفكرة الحيوية . وهى فكرة النظم .

تقوم فكرة النظم عند عبد القاهر على النقاط الرئيسية التالية :

**أولا : تصنيف الكلام :**

يصنف الجرجاني الكلام صنفين :

1 ( القول المتواصل العادى الذى يقوم بمعيار السلامة من اللحن

2 ( والقول الفنى ( أو القول الفصيح ) وهو الكلام الذى يضاف فيه الى عنصر تكامل المكونات عنصر الفصاحة .

**ثانيا : فكرة البنية :**

وتقوم فكرة البنية فى « الدلائل » على :

1 ( أن الكلام يشتمل على مستويات يمكن تصنيفها كما يلى :

أ - مستويات مقالية وهى : المستوى الصوتى والمستوى التركيبى ( الصرفى - النحوى ) والمستوى الدلالى .

ب - مستوى مقامى وهو مجموعة العناصر التى تؤلف الظروف الموقفية التى تمت فيها عملية الكلام .

2 ( أن التسايق بين الالفاظ المكونة للمقال يقوم على نوعين من العلاقات التى « تنظم » ذلك المقال ( أى التى تجعل منه نظاما بالمفهوم الجرجانى ) .

١ - علاقات المستوى التركيبى التى تعلق الابواب الصرفية بعضها ببعض حسب « احكام النحو »

ب - علاقات المستوى الدلالى المركزة على مقولتين اساسيتين :  
- **مقولة الاقتضاء** . اى ان تقتضى كل لفظة من الفاظ المقال فى الالفاظ المسايقة لها مدلولاً معيناً .

- **مقولة الملازمة** : ( وهى مكملية للمقولة الاولى ) اى ان اللفظ يلائم دلاليا الالفاظ المسايقة له اذا كان مدلوله مرضياً لاقتضاء تلك الالفاظ .

3 ) أن هذه المستويات ( المقالية والمقايمة ) تترايط وتتفاعل فى كل عملية كلام ، فعلاقات التركيب تداخل باختلال العلاقات الدلالية ولا يمكن ان تنظم الفاظ بدون تعليق نحوى ولو كانت مداليلها متناسقة متلائمة ويتجلى تفاعل المستوى المقامى مع المستويات المقالية خصوصاً فى تأثير ظروف الموقف التواصلى على المقال تقديمها وتأخيرها وتأكيدا ...

### نظرية النظم و النماذج اللغوية الحديثة

اتضح لنا من العرض التحديثى ان نظرية النظم يمكن ان تنمذج داخل أطر نظرية حديثة مختلفة كالاطار الوصفى والاطار التوليدى واطار « نظرية الكلام » (4) فنظريه النظم فى شكلها العام نظرية ذات طابع وصفى ( Descriptive ) اذ تتناول الجمل فى شكلها المظاهرى غير مميزة بين مستوى ( قاعدى ) يولد بنى عميقة ومستوى سطحي يتوصل اليه بعمليات تحويل كما هو الشأن فى المناهج التوليدية اذا اعتبر هيكلها العام . غير اننا نلاحظ ان النظرية الجرجانية تشتمل على افكار تذكرنا ببعض مقولات النظرية التوليدية نورد منها خصوصاً فكرة تقديم المستوى الدلالى على المستويات الأخرى واعطائه الاسبقية (النظرية).

يؤكد الجرجانى فى مواضع كثيرة من كتابه أن النظم ، يرتكز على النوعين معا من العلاقات ( العلاقات التركيبية والعلاقات الدلالية )

---

(4) - « نظرية الكلام » ترجمة لما يسمى بـ ( La théorie du discours ) وهى تشكل تياراً لغوياً - فلسفياً من أشهر رواده Austin و Searle و Ducrot

ولكنه بجعل عملية النظم قائمة بالدرجة الاولى على العلاقات الدلالية  
فالتلاؤم الدلالي بين الالفاظ يتحكم :

— في الرتبة ( تقديمها وتأخيرا ) « انتصوور ان تكون معتبرا مفكرا  
في حال اللفظ مع اللفظ حتى تضعه بجنبه او قبله وان تقول هذه  
اللفظة انها صلحت هاهنا لكونها على صفة كذا ام لا يعقل الا ان تقول :  
هذه اللفظة انها صلحت هاهنا لان معناها هكذا ولدلائها على كذا ولان  
معنى الكلام والفرض فيه يوجب كذا ولان معنى ما قبلها يقتضى معناها»

— وفي التعليق النحوى : « واى مساغ للشك في ان الالفاظ لا  
تستحق من حيث هى الفاظ أن تنظم على وجه دون وجه ولو فرضنا  
ان تسطح من هذه الالفاظ دلالتها لما كان شئ منها احق بالتقديم من  
شئ ولا يتصور أن يجب فيه ترتيب ونظم (6) » .

بل نجد في مواضع عدة من الدلائل نصوصا يتضح منها ان الجرجاني  
يقيم علاقة « سلمية » بين علاقات النظم واضعا في الاساس العلاقات  
الدلالية ( او المعانى كما تفرتب في نفس المتكلم ) مما يمكننا من القول  
انه يميز بين مستويين :

- مستوى عميق غير منطوق مشتمل على المعانى الدلالية .
  - ومستوى سطحي منطوق يتم فيه نظم المقال على مرحلتين :
- (1) مرحلة تعلق فيها هذه ( المعانى ) بعضها ببعض حسب قواعد  
التركيب .

(2) مرحلة تستبدل فيها المعانى بالفاظ القاموس .

يقول الجرجاني : لايتصور أن تعرف للفظ موضعا من غير أن  
تعرف معناه، ولا أن تتوخى في الالفاظ من حيث هى الفاظ ترتيبيا او تنظيميا  
وانك تتوخى الترتيب في المعانى وتعمل الفكر هناك . فاذا تم لك ذلك

(5) — عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، تعليق وشرح عبد القم فجاجي ،  
مكتبة القاهرة ، الطبعة الاولى 1969 ص 111 .

اتبعتها الالفاظ وقفوت بها آثارها ، واثك اذا فرغت من ترتيب المعانى  
فى النفس لم تحتج الى ان نختلف فكرا فى ترتيب الالفاظ بل تجد انها  
تتركب لك بحكم انها خدتم المعانى وتابعة لها ولاحقة بها (7) .  
توحي لنا فكرتنا اسبقية البعد الدلالى على الابعاد الاخرى ( بالصوتية  
والتركيبية ) وتأسيسه ( وضعه فى الاساس ) بإمكانيه نمذجه نظرية  
النظم داخل اطار توليدى ، ونقصد بالخصوص النماذج التوليدية القائمة  
بقاعدية المكون الدلالى ( La Sinautique generative ) مع  
التفكير فى ايجاد صياغه علمية لعمليات الانتقال من مستوى العمق الى  
مستوى السطح من جهة ولتواجد وحدات المكون الدلالى العميق من  
جهة اخرى .

يؤكد الجرجانى فى غير ما موضع من دلائله أهمية المقام وتأثير عناصره  
على المقال دلاليا وترحيبيا بل يجعل مستويات المقال كلها خاضعة لما  
يسميه « بالغرض من الكلام » .

ويطابق الى حد بعيد ما اتى به الجرجانى اهم العناصر المقامية  
التي جاءت فى « نظرية الكلام الحديثة » (8) :

العلاقة بين المتخاطبين فى موقف تواصلى معين أو الغرض المتوخى  
من الكلام مع ما خلفه الكلام من تأثير لدى المخاطب (

(Actes Illocutionnaire - perlocutionnaire)

— التضمنات ( Présuppositions ) التي تكون عاملا هاما فى  
تحديد مدلول المقال وصيغته التركيبية .

يمكننا ، انطلاقا من هذا التطابق بين النظريتين ان نعيد صياغة  
نظرية النظم كما يلى :

تشتمل كل عملية كلام على نوعين من الأعمال مترابطين متكاملين :

---

(7) — عبد القاهر الجرجانى ، دلائل الاعجاز ، شرح وتعليق عبد القم خفاجى مكتبة  
القاهرة ، الطبعة الاولى ص 142 .

(8) — انظر :  
Austin : Quand dire, c'est faire, Seuil  
J Searle : Les actes de langage, collection savoir.  
O. Ducrot : La preuve et le dire, Repères.

## 1) فعل القول الذى يتم على مستويين :

أ - مستوى ما قبل المنطوق ( أو المستوى الدلالى ) الذى ترتب فيه المعانى المجردة فى نفس المتكلم (9).

ب - مستوى المنطوق وله بعدان :

— بعد تركيبى (نظمى) تتم فيه عملية التعليق بين المعانى حسب قواعد اللغة التركيبية .

ج - بعد صوتى - معجمى تتم فيه عملية الباس المعانى المجردة ( مداليل مستوى ما قبل المنطوق ) بالفاظ من معجم النسق اللغوى المعبر داخله .

## 2 ) فعل الخطاب . ويرتكز على عنصرين هامين :

أ - **الفرض الخطابى** : ما يهدف اليه المتكلم من مقاله (استفهام ، تيشير ، انذار ... الخ ) والتأثير الذى خلفه مقاله لدى المخاطب .

ب - **التضمنات** : ومن بينها العناصر المقامية التى تتحكم فى عملية الترتيب والتركيز ( أو التثيير ) (10) والتأكيد : فمثلا فى المقال : « ضرب عمرو زيدا » التضمن هو : « ضرب انسان ما زيدا » والجزء المبأر هو عمرو وعلامة تبثيره تقديمه ، وفى المقال « ضرب زيدا عمرو » التضمن هو « ضرب عمرو انسانا ما » والجزء المبأر هو « زيدا » وعلامة تبثيره تقديمه .

هذا النموذج مقتضب جدا لما يمكن أن نقوم به فى ترميم نظرية النظم غير أنه يوضح لنا أن عملية القراءة الجديدة تفيد أدرس اللغوى الحديث الى أقصى حدود الإمادة إذ أن المقارنة بين نظريتين (قديمه وحديثة) تؤدى الى ايجاد نظرية ثالثة لاهى بالاولى ولا هى بالثانية تضاف بل وربما تنسخ النظريات الموجودة : فترميمنا لنظرية النظم على ضوء الدلالة التوليدية ونظرية الكلام مكننا من وضع الاسس والمعالم الرئيسيه لنظرية جديدة لفعل الإنجاز القولى صالحة لدراسة « المقال » بوجه عام والمقال المنجز حسب النسق العربى بوجه خاص .

(9) - يمكن أن تكون معانى القاعدة ( أو المستوى العميق ) معانى نفسية أو معانى منطقية - دلالية كما هو الامر فى نموذج الدلالة التوليدية .

(10) - نقترح أن نقابل مؤقتا بمصطلح ( التبثير ) المصطلح الغربى La focalisation

لا يمكن ان تعتبر هذه القراءة لنظرية النظم نهائية لسببين :

— نسبيتها النظرية .

— استلزامها لعمليتين ضروريتين :

- عملية التحييص النظرى اى اعادة النظر فى المقولات التى تركز عليها النظرية بعد ان قرئت « من جديد »
- عملية التحييص العملى اى تمرير النظرية بمحك التجربة ليتبين ضعفها او قوتها كنموذج لغوى لدراسة الظواهر المتألية .



## المراجع

### أ - المراجع العربية :

- 1) عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، تعليق وشرح عبد المنعم خفاجى مكتبة القاهرة ، الطبعة الاولى ، مصر 1969
- 2) احمد احمد بدوى ، عبد القاهر الجرجاني ، سلسلة اعلام العرب .
- 3) احمد مصطفى المراغى ، علوم البلاغة ، المكتبة المصرية .
- 4) محمد مندور ، فى الميزان الجديد ، دار نهضة مصر للطبع والنشر
- 5) الدكتور تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، الهيئة المصرية للكتاب .

### ب - المراجع الاجنبية :

- 1) John Lyons : Introduction à la linguistique théorique, Larousse.
- 2) A. J. Greimas : Sémiotique structurale, Larousse.
- 3) . . . : Du Sens, Seuil.
- 4) N. A. Chomsky : Structures syntactiques, Seuil.  
    . . . Aspects de la théorie syntaxique, Seuil.  
    . . . Questions de sémantique, Seuil.
- 5) Katz et Postal : Théorie globale des descriptions linguistiques, Mame.
- 6) M. Galmiche : Sémiotique générative, Larousse.
- 7) J. L. Austin : Quand dire, c'est faire, Seuil.
- 8) J. R. Searle : Les actes de langage, Hermann.
- 9) O. Ducrot : Dire et ne pas dire, Hermann.

## مفهوم الأمية في القرآن

### دراسة مقارنة تحليلية في اللغات السامية

من صعوبات البحث — أي بحث — أن يكون بكرا لم تبتد إليه يد الباحثين ، ولا تعلمت إليه أعينهم الفاحصة . ومن صعوباته أيضا أن يكون مألوفا لم تعد تخفى مجاهله . وإن كانت في هذا البحث صعوبة . فهي من النوع الثاني . وقد حاولت التغلب عليها — حتى لا أكون تكرارا لها قيل — بالوقوف على الكلمات الرئيسية في الموضوع ، محاولا تحليلها ومقارنتها وجس معانيها المشتركة في اللغات السامية . وقد حاولت أيضا رصد هذه المعاني المختلفة لمثلئ أصل إلى مرحلتها التطورية الأخيرة التي جاء بها القرآن .

وردت كلمة أمى في القرآن مفردة وجمعا ست مرات ، مرتين مفردة (1) وأربع مرات جمعا (2) . فقد جاءت في سورة الاعراف صفتين للنبي ، وفي سورة البقرة صفة لطائفة من اليهود ، أما في سورة آل عمران فهي صفة للمشركين العرب . وجاءت بنفس المعنى في سورة الجمعة . وكاد المفسرون الاسلاميون أن يجمعوا على معنى واحد لهذه الصفات . فقد فسر القرطبي كلمة «أمى» في الآية « الذين يتبعون الرسول النبي الأمي ... » بأن « الأمي » « منسوب إلى الأمة الأمية التي هي على أصل ولادتها ، لم تتعلم الكتابة ولا القراءة » (3) . ونقل الرازي عن الزجاج أن « الأمي » « هو الذي على صفة أمة العرب ... فالعرب أكثرهم

1 — سورة الاعراف 156 و 158

2 — البقرة 73 ، آل عمران 19 و 74 الجمعة 2

3 — الحامع لاحكام القرآن ج 3 ص 2735

ماكانوا يكتبون ولا يقرؤون... والنبى كان كذلك، فلهذا وصفه بكونه أميا)) (4) وفسر المفسرون ايضا كلمة ((أمى)) فى الآية « فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى ... » بنفس المعنى ، وفسرها الطبرى (5) أنه الذى يؤمن بالله، وهذا التفسير لا يعتمد على أساس لغوى .

وورودها جميعا ايضا ، لم يتعد عندهم عن هذا المعنى . فقد نقل الطبرى فى شرحه للآية : «(ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أماني ...» ان المقصود بهم جماعة من اليهود ، لا يقرؤون الكتاب . ونقل عن ابن عباس « الاميون قوم لم يصدقوا رسولا ارسله الله ، لانهم يكتبون بأيديهم ثم يجحدون » ولكنه لم يقبل هذا التشرح لانه « غير مألوف عند العرب » (6) وشرح الكلمة فى الآية « وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين ءأسلمتم» بقوله : « الاميين الذين لا كتاب لهم من مشركى العرب (7)» . ويشرحها فى الآية «ذلك بانهم قالوا ليس علينا فى الاميين سبيل» (8) بمرادف هو العرب . أى ان أمى تعنى عنده فى هذه الآية مطلق العرب . فانما أنكر المعنى الذى نقله عن ابن عباس ، فان معنى الكلمة يصبح عنده فى جمل الآيات مرادفا للعرب الذين لا يقرؤون ولا يكتبون . وفسر الالوسى الكلمة فى الآية « هو الذى بعث فى الاميين رسولا » بان الاميين هم العرب « لان اكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤون (9) » مغليا الكل على الجزء .

وقد فسر الكلمة اللغويون الاقدمون(10)، بانها الجهل بالقراءةوالكتابة، وفسروها أيضا بالغبلة والجهالة وقلة المعرفة (11) ، والامى عندهم : العى الجلف الجافى القليل الكلام (12) . وراوا أنها نسبة الى الامة الامية، او أم القرى — مكة — او الام . وقد كان هذا التردد فى نسبتها الى احدى

4 — التفسير الكبير ج 15 ص 22

5 — التفسير ج 9 ص 59

6 — الطبرى البقرة الآية 73

7 — الطبرى آل عمران 20

8 — آل عمران 75

9 — روح المعانى ج 28 ص 82

10 — اللسان مجلد 1 ص 105 : القابوس المحيط ج 4 و 105 .

ومعجم الاصطهائى ص 20

11 — معجم الاصطهائى ص 20

12 — اللسان مجلد 1 ص 105

الالفاظ المذكورة ناتجا من كونها كلمة اسلامية استفيد شرحها اما من القرآن « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك » 47/29 أو الحديث « انا أمة أمية لا تكتب ولا تحسب ... »

ولم يقبل المهتمون بالدراسات الاسلامية من المستشرقين (13) تفاسير المفسرين واللغويين لكلمة «أمي» مفردة وجمعا. فهي عندهم لا تعنى الذى يجهل الكتابة والقراءة (14) ، ولكنها تعنى الوثنية . يرى P.H. Lammens أن لفظة «أمي» لا تعنى الجاهل بالكتابة

والقراءة Illetre ، ولكنها تعنى الوثنى Gentil ، وهو فرد من جماعة بدون كتاب موحى به ، ويضيف ، وقد سمي القرآن محمدا نبي الاميين ، يعنى نبي العرب ، لان العرب لم يكن لهم كتاب منزل (15) .

وفي مادة «أمي» من دائرة المعارف الاسلامية ، يرى R. Paret أن كلمة «أمي» لقب للنبي ، وأنها ترجع من بعض الوجوه الى كلمه «أمة»! وان معانى الآيات التى وردت فيها مفردة او جمعا تدل على أن المراد بها هو الوثنية . ويشعر Paret بأن هذا الشرح لا يتفق واسناد

المصفة الى النبي « النبي الامي » فيختار تفسيراً سهلاً لا ندري من أين أتى به وهو أن «اطلاق محمد على نفسه اسم النبي الامي» راجع «الى أن محمدا ربما لم يكن على بينة مما تدل عليه كلمة أمي عند اليهود» أو (ربما جعل (النبي) لهذه الكلمة معنى جديداً (16) » ونشعر بأضطراب Paret

في شرحه للكلمة حيث كاد يسلم بأن أميين في سورة البقرة (لومهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أماني) مطابقة لمعنى الذين لا يقرأون ولا يكتبون، ثم يعود في آخر المقال ليقول بأنها تعنى الجاهلين للكتب المنزلة، وأنها لاتعنى الجهل بالقراءة والكتابة (17) . ورغم أنه يعترف « بأنه يصعب الجزم بالمعاني المختلفة التى كان يقصدها محمد في كلمة أمي » فإنه سرعان ما يستنتج: «والحقيقة أن كلمة أمي لا علاقة لها بهذه المسألة (الجهل بالقراءة والكتابة) (18) . أما Blachere فيرى ان قضية أمية النبي

Weil. Mahomet savait-il lire et écrire ? P. 357-66

(13)

IV Congrès orientalistes. Florance 1880

Supplément في « أم » أنظر Laïque — Dozy الكلمة « أمي » — أنظر La Mecque P. 123

14 — ترجم Dozy الكلمة « أمي » — دائرة المعارف الاسلامية مادة أمي

15 — دائرة المعارف مادة أمي .

16 — نفس المرجع ، أنظر التعليق في نفس المادة

ترتبط بالتاريخ العام لمناطق معينة في الجزيرة العربية : فشمال الجزيرة العربية كان على علم بالقراءة والكتابة منذ القرن السادس م، ووجود المفردات الدالة على الكتابة وأدواتها المذكورة في القرآن، تدل على أن معرفة العرب لدلول هذه الكلمات كان أقدم من استعمال القرآن لها . ويرى أن مكانة وموقع قرى مثل مكة والطائف يفرضان أن تكون الكتابة مألوفة عند ساكني هذه الديار (19) . وبعد هذا المدخل التاريخي ، ينتقل Blachère الى مناقشة امية النبي ، ويذكر أن القول بأميته اتى من رأى شائع يشرح كلمة « أمي » بأنه الذي لا يقرأ ولا يكتب . واللفظة التي تقابل كلمة « أمي » عند Blachère هي وثني Gentil لان الآية « الذي بعث في الاميين رسولا .. » تؤكد هذا المعنى — طبعا حسب رأيه — وينقل ما نقله الطبرى عن ابن عباس : « الاميون أى الذين يكتبون ويجحدون » ولكنه لا ينقل استدراك الطبرى : « وهذا (المعنى) غير مألوف عند العرب » . ويجزم Blachère بأن الكلمة تعنى الذين لم يتلقوا اية بعثة ، ويعيشون في جهالة للقانون السماوى (20) ، وأن النبي الامي معناه الوثنى . ويريد Blachère من خلال بحثه ان يصل الى نتيجة معينة، وهى أن النبي لم يكن يجهل الكتابة والقراءة ، وأن المسلمين فسروا الكلمة بالامية لاثبات معجزته (21) . ويستدل على أن النبي لم يكن أميا بقضيتين اثنتين : اولهما ، قضية صلح الحديبية ، لان النبي غير في الوثيفة بيده . وثانيهما ، امر النبي باحضار دواة وثىء يكتب فيه عندما كان على فراش الموت، وكنيجة لاستنتاجاته اللغوية ، والتاريخية فانه لم يترجم لفظى امي وأميين في القرآن — (22) illetrés illetré بل ترجمهما في كل الآيات — جمعا، صفة للنبي وصفة للعرب أى أن Blachère لما رأى أن المنطق العقلى يرفض أن تقع صفة « أمي » بمعنى وثني « النبي الوثنى » فانه تصرف في ترجمته ، وبذل أن يحتفظ بالنص « النبي الامي » فانه غير هذا النص، فأصبح « نبي الاميين » (23) . وعلى هذا تصبح عنده الايتان

19 — 6 مى Introduction

20 — نفس المرجع ص 7

21 — نفس المرجع

22 — ترجم الكلمة أحد لميش وأبن داود في ترجمتهما للقرآن بـ Illtré (s)

وترجمها أحد التجاني و Pesle — Inculé , Illetré (s) وقد

نعم الكلمة بهذا المعنى كل من Montet Kaurimırkı - Amari

23 — انظر الترجمة . سورة الاعراف 2، 157 — 158

في سورة الاعراف هكذا : « الذين يتبعون الرسول نبى الاميين »  
 « فآمنوا بالله ورسوله نبى الاميين » وهذا مخالف لنص القرآن بطبيعة الحال . ومهما يكن ، فان اختياره لترجمة الكلمة بـ *Gentils* وثنيين ، يعتمد — بالاضافة الى ما قلنا — على تقاليد يهودية ومسيحية كما سنبين .

ويحسن بنا أن نلقى نظرة على ترجمة الكلمة في احدى الترجمات العبرية للقرآن (24) ، لنرى مدى تشابه ترجمة *Blachère* وهذه الترجمة العبرية ، أى مدى تأثير العقلية المسيحية واليهودية في ترجمة القرآن . فقد ترجم أهارون بن شمس ، «أمى» في سورة الاعراف بـ *הַבְּנֵי הָעַמִּים* (هنفى هعمى) وكلمة *עַמִּים* (عمى) تكاد ترادف شعبى أى المنسوب الى الشعب ، أى طبقة معينة من الناس . والكلمة (عمى) استعملت في الآداب العبرية التلمودية (25) بمعنى غير اليهودى ، ولاشك أن المترجم قد اختار هذا المعنى . وترجم الكلمة في الآيات « ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا امانى » البقرة 78 « هو الذى بعث في الاميين رسولا » الجمعة 2 « وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين ءاسلمتم » آل عمران 20 بـ *עַמִּי אֲרָצָתָא* (عمى أرضوت) شعوب الاراضى . ونسبة الشعب الى الارض جاءت في اللغة العبرية بصيغتين : الصيغة الاولى هي *עַם אֶרֶץ* (عم أرض) : شعب الارض ، ومعنى الاستعمال في العهد القديم أولا : عامة اليهود باستثناء الاحبار (26) ثانيا . غير اليهود بصفة عامة (27) .

وجاءت العبارة في التلمود (28) بمعنى اليهودى غير المتعمق فى الدراسات الدينية ، او غير المتشدد في القيام بالوصايا المتعلقة بالتشبيث بالارض . وعكس هذا اليهودى ما يسمى عندهم بالحفصر *חֲפֵצֵר*

24 — *הַקְרָאן הַקְדוּשׁ* (قرآن هكدوش : ترجمة أهارون بن شمس 1971)  
 25 — من المعروف ان بعض مفردات التلمود واستعمالاته اللغوية تخالف بمعنى مفردات العهد القديم واستعمالاته اللغوية . وذلك لان احبار اليهود قد شخّصوها بمعان جديدة اجتماعية ودينية غيرت من دلالاتها اللغوية الاولى .  
 26 — زكرياء اصحاح 7 آية 5 .  
 27 — عزرة اصحاح 10 آية 2 .  
 28 — *אבות. ב. ה.*

أما الصيغة الثانية فهي עַם הָאֲרָצָה (عم هارصوت) :  
شعب الاراضى ، ولم يرد هذا الاستعمال في العهد القديم ، بل جاء في  
لغة أحبار اليهود ، ويعنى : أولا المتكبرين ، ختسينى الطباع ، ذوى  
الفظاظلة . (29).

ثانيا : الامية (30).

ومن الصعب معرفة أى معنى اختاره المترجم ، إلا أننا نكاد نجزم  
أنه اختار معنى الصيغة الاولى עַם אֲרָץ (عم أرض) في مفهومها الثانى أى  
غير اليهودى ، وذلك لانه ترجم « آمين » في الآية « ذلك بأنهم قالوا ليس  
علينا في الاميين سبيل » (آل عمران 75)، بعبارة واضحة في معناها وهى :  
מִי שֶׁאֵין בּוֹ אֱמוּנָה (مى شايىو بن امونتو) : من لا ينتسب  
الى دينهم . وهذا يعنى ان المترجم تصرف في دلالة الصيغتين العبريتين،  
فاعطى احدى دلالات الصيغة الاولى ، الى الثانية . فتكون ترجمته لأمى  
وأميين ، شبيهة بترجمة Blachère لهما (31).

والسؤال الذى يتبادر إلى الذهن هو : لماذا شرح المفسرون  
واللغويون الاسلاميون كلمة «أمية» بأنها الجهل بالقراءة والكتابة ، ورفض  
المستشرقون هذا القترح؟ ويمكن الجواب على هذا في أن اليهود  
والمسيحيين الى ما بعد الاسلام ، كانوا يقسمون العالم الى قسمين (32)  
يهود وغير يهود بالنسبة لليهود، ومسيحيين وغير مسيحيين بالنسبة  
للمسيحيين. فقد جاء في رسالة بطرس الرسول الاولى ، من الاصحاح  
الثانى ، الآية 12 « وأن تكون سركم بين الامم حسنة لكي تكونوا فيما  
يفترون عليكم كفا على شر » .

29 - معجم قجيان مادة امى وجاءت امى بهذا المعنى في اللسان مجلد 1 ص 105

30 - معجم قجيان

31 - وقد اختار هذا المعنى من الباحثين العرب مؤلف : معجم اللفاظ والاعلام  
الغرائية . مادة ام ويحمد السيد طنطاوى في كتابه : بنو اسرائيل في القرآن  
والسنة ج 2 ص 262 ، وأنظر أيضا ناصر الدين الأسد في كتابه مصادر  
الشعر الجاهلى ، والرد الذى رد به عليه د. عبد الحى حسن القراموى في مجلة  
الوهم الاسلامى عدد 138 . يوليو 1976 . والمفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام  
لجواد على ج 8 ص 120

32 - العقاد الاسلاميات 2 ص 200

وجاء في انجيل مرقس الاصحاح السابع الآية 26 ، في موضوع المرأة التي كان بابنتها روح نجس « وكانت المرأة أممية في جنسها فينيقية سورية » (33). ونجد نفس التقسيم في العهد القديم ، ففي الاصحاح العشرين من سفر اللاويين الآية 23 : ولا تسلكون في رسوم الشعوب الذين أنا طاردهم من أمامكم « وفي الآية 24 «أنا الرب الهكم الذي ميزكم عن الشعوب » . وفي سفر التثنية الاصحاح الثالث والعشرين الآية 20 « لا تقرض أخاك بربا ... للأجنبي تقرض بربا ... » . وعلى هذا فان المستشرقين عند ما ترجموا الكلمة ، فانهم لم يستطيعوا ابعاد تقاليدهم الدينية ، مسيحية ويهودية ، ففهموا الكلمة ثم ترجموها ، وكانهم يترجمونها من التوراة أو الانجيل . وبينما ارجعها المفسرون واللغويون الى أم ، أو ام القرى أو أمة ، فان هؤلاء المستشرقين لم يرجعوها الا الى لفظة أمة فقط . فـ Paret يرى أن كلمة أمي ترجع من بعض الوجوه الى كلمة أمة (34) . ولا ندري ماذا يقصد بعبارة (بعض الوجوه) . ثم يقول (وهناك عوامل لغوية تجعل من الصعب أن تقول أن كلمة أمي) معناها الذي لا يكتب ولا يقرأ ، فلا المعوية أمة ولا العبرية אמא (أما) ولا الآرامية « أميتا » تدل على الأمة فسي حالة الجهالة (35) . ويتبع Blachère نفس النهج في تحليله . فصفة أمي عنده مشتقة من أمة . وإذا كان Paret يرى أنها ترجع اليها من (بعض الوجوه) فان Blachère يرى أنها ترجع اليها من كل الوجوه (Irès certainement) (36) . وقد اعتمد كل من Paret و Blachère في اعطائه معنى الوثني والوثنية ، لكلمتي أمي وأممية ، على بحث سابق لـ (37) Horvitz ، الذي يرى أنه توجد في اللغة العبرية عبارة تقابل لفظة أمية ، بمعنى وثنية ، وهذه العبارة هي אמנת העולם (أموت هعولام) : أمم العالم ، التي كان اليهود يطلقونها على غيرهم — في رأى Horvitz . فعلى رأى

33 — جاءت كلمتي أمم (رسالة بطرس) وأممية (انجيل مرقس) مترجمة في احدى الترجمات hible V2 Par les moins des Maredsous Belgique des paiens, paienne .

34 — دائرة المعارف الاسلامية مادة : أمة

35 — نفس المرجع

36 — ص 8 Blanchère introduction

37 — انظر ملاحظة Blachère في نفس المرجع حيث اثار الى :  
Koranische Untersuchuns : Horvitz



الباحثين فان يهود المدينة (38) هم الذين اطلقوا لفظي «أمي» و «أمين» على النبي والعرب (39) ، انطلاقا من هذه للعبارة ، ويقصدون بها :

les gentils فما المدلول الحقيقي لهذه العبارة **אמרת העולם** أموت همولم ) ؟ العبارة غير واردة في العهد القديم ، فهي استعمال تلمودي ، وتعني لغويا « أمم العالم » ونجدها في عبارة مثل **והגליתכם לבין אמרת העולם** (40) (وهكيتخم لئن أموت همولم) : وأجليتكم بين أمم العالم . والحقيقة اللغوية للعبارة خالية من كل تفرقة دينية في مستواها الدلالي الاول . فاذا كانت هناك تفرقة ، فانها لم تأت من الاستعمال اللغوي ، بقدر ما أتت من التقاليد اليهودية التي شخصت العبارة ويعني هذا أن اللذين أعطوا اللفظة العربية «أمي» معنى وثني - اخذا من هذه الجملة - يعني أنهم تناسوا المدلول اللغوي للفظ ، وأعطوها معنى آخر دينيا أتى من العبارة كلها في استعمال النص التلمودي . ويتضح خطأ هؤلاء عندما تذكر أن أمي في نسبتها العربية لم تنسب الى « أمم » . لان القاعدة النحوية ترفض النسبة الى الجمع ، فبالاحرى النسبة الى العبارة كلها **אמרת העולם** وحتى لو فرضنا أن أمي ( أمين ) نسبت الى جزء فقط من الجملة هو « أمة » مفردة . فان هذا لن يعطيها مدلول الوثنية ، وذلك لان للكلمة كل المعاني الا معنى الوثنية . فقد جاءت كلمة أمة في القرآن في أربع وأربعين موضعا بمعنى الجماعة ، وجاءت في موضعين بمعنى الحين (هود 8 ويوسف 45) وفي موضعين بمعنى الدين (الزخرف 22 و 23) وجاءت مرة واحدة بمعنى القدوة ( النحل 120 ) بالإضافة الى مجيئها جمعا في مواضع متفرقة (41) . وجاءت عند العرب بمعان متعددة بالإضافة الى المعاني القرآنية . منها : الملك، القائمة، معظم الوجه، معظم الطريق (42) الطاعة ، العالم (43) .

38 — سورة الاعراف التي وصف فيها النبي بالامي نزلت بمكة أي قبل هجرة النبي الى المدينة .

39 — دائرة م سادة أمي والمشيء لبلاشير ص 8

ברכות 2.

41 — معجم الفاظ القرآن الكريم مادة « أمة » .

42 — اللسان مجلد 1 ص 103

43 — مفردات الاصمعياني ص 19

قد يقال : ربما جاء الكلمة هذا المعنى من إحدى اللغات السامية .  
ولكن بالرجوع الى المادة في هذه اللغات يتبين أن لا أثر لهذا المعنى المزعوم .

فـ « أمت » في اللغة الاوغاريتية تعنى العائلة . و : אמה (أما)  
في العبرية تدل على : أمة ، جنس ، شعب ، قبائل (44) . وفي الآرامية  
والسريانية אמה أو אמתא (أما ، أمتا) تعنى أمة .  
ودلت كلمة « أمت » في الحبشية (تجرية) على : أمة ، قبيلة ، شعب .  
و « أم » في العربية الجنوبية تعنى قاعدة ، قانونا (45) . وفي اللغة  
الأكادية صيغ متعددة تدور حول هذا المعنى ، ومنها :

1 - « أمان » : ومعناها شعب ، جيش (46)

2 - « أما » : حاضر ، مدة (47) - وهذا المعنى موجود في لغة  
القرآن .

3 - « أمان » وهو الذى يسير على رأس الجيش (48) ، وتقرب مسن  
الامام والقُدوة في اللغة العربية .

4 - « أمت » اسم مدينة كانت في منطقة ما بين النهرين (49) .  
وتوجد في العربية أيضا « أم القرى » و « أم » اسمان أما مكة أو لمطلق  
مدينة . هذه هي المعاني المختلفة للفظ « أمة » في الساميات ، ولم يرد  
من بين معانيها ما يشير الى الوثنية لا من بعيد ولا من قريب .

وقد أرجع اللغويون الاسلاميون كلمة أمة الى « أم » بل جعلوها  
مرادفا لها (50) . وقد نهج نفس النهج (51) Foure d'olivier  
حيث اشتق من אם (أم) في العبرية المعانى الآتية : الاصل ،  
الارومة ، المدينة ، الامة ، العائلة (مخذ)، القاعدة، أى جل المعانى  
التي سبق أن رأيناها لكلمة أمة .

44 - اعداد الاسحاح 25 آية 15

45 - 23 Dictionnaire des racines p

46 - نفس المرجع

47 - معجم أكادى عبرى ص 38

48 - نفس المرجع

49 - نفس المرجع

50 - اللسان مطب 1 ص 102

51 - 13 La langue hébraïque restituée

والغريب أنه لم يعجب Blachère و Paret أن تكون  
لفظة أمة عربية فالاول يقول بأنها ( «Très certainement» ) مأخوذة  
من العبرية . אמרת העולם (أموت هعولم) (52). والثاني يرى أنها  
ليست مشتقة من الكلمة العربية « أم » بل هي دخيلة مأخوذة من  
العبرية אמא أو من الآرامية אמא ، ويضيف « وقد تكون الكلمة  
الاجنبية دخلت لغة العرب في زمن متقدم بعض الشيء (53) » . وقد  
وقع الباحثان في خطأ علمي فادح . أولا ، كلمة « أمة » ليست  
عبرية أو آرامية فقط . بل هي لفظة مشتركة في جميع اللغات السامية.  
يعنى أنها كانت لفظة فى اللغة السامية  
الام – وهى احدى هذه اللغات – أو في لغة أم ضاعت من الوجود .  
والباحثان المحترمان اختارا العبرية والآرامية دون الاخرى ، وبدون  
أن يقدموا أية حجة علمية لاختيارهما . ثانيا لم يتوصل علماء الساميات  
لحد الآن (54) الى اللغة الاسبق من هذه اللغات .  
– . و Parte و Blanchère يرجعان الكلمة الى العبرية  
أو الآرامية وكان علم الساميات قد نفى يديه من هذا البحث وأثبت  
ان العربية جاءت متأخرة عن اللغتين المذكورتين (55).

وإذا اختار هؤلاء لفظة «أمى» بمعنى وثى ، التى اشتقت من أمة بناء  
على معناها العبرى – وهذا غير مؤيد في اللغات السامية – فما المراف  
الحقيقى للفظه وثى ( غير يهودى ) في اللغة العبرية ؟

جاءت العبارة التى تعنى وثى في العبرية ، بعبارتين في لغة  
التلمود ، وهما : עובד אללים ( عوفد الليم ) : عابد الاوتان .  
עבדה זרה ( عوفد زره ) : العبادة الغريبة .

52 - مقدمة بلاشير ص 8

53 - دائرة المعارف مادة « أمة »

54 - انظر : ص 93 - 94

Renan : Histoire générale et système comparé des langues  
Sémitiques

COHEN : Le système verbal sémitique ص 1

وانظر أيضا مقالة د. باكرة رنيق حلى : العربية أمل و العبرية نزع في مجلة  
الجمع العلمى العراقى جلد 26 - 1975

55 - وقع Blachère في نفس الخط عنها أرجع أسماء أدوات الكتابة الى اللغتين  
المذكورتين - المقدمة ص 5

وقد أوجد الاحبار الصيغة الاولى من اسم الفاعل **לָבַד** (عابد)  
**אֱלֹהִים** (وثن) (56) . وقد جاء اللفظ **אֱלֹהִים** (إله) في العهد  
القديم بمعنى وثن ، أى جاء اسما ولم يأت وصفا ، أى وثنى كما يريد  
المستشرقون كما فى الآية : « **לֹא תַעֲשֶׂה לָכֶם אֱלֹהִים** » :  
(لا تتخذوا لكم آلهة) (57) وقد استعمل العهد القديم مرادف وثنى  
(غير يهودى) ، صفة ، كالآتى : **נִכְרִי**  
(58) (نخري) اجنبى . ولفظة **גֵר** (59) (كر) :  
غريب و **גֵר** (60) (كوي) غير يهودى ، و **הַעֲמִי** (61) : شعوب  
و **עַרְלָה** (عرل) (62) غير مختون . ومن هذه الامثلة ، يتضح لنا أن  
وثنى أو وثنية ، التى جعلنا **Blachère** و **Paret**  
نعتمد أنها من العبرية ، لا علاقة لها مطلقا بكلمة **אֱמָה** (أمة)  
العبرية ، وأن العهد القديم الذى « يحسن » العبرية أكثر من  
الباحثين ومن **Horvitz** نفسه ، لم يستعمل لفظة غير يهودى  
اشتقاقا من كلمة « أمة » ولا اشتقاقا من صيغة « أموت هعولم »  
لان هذا الاستعمال أى «(أموت هعولم) استعمال عام يمكن أن يستعمله  
اليهودى والمسيحى والمسلم وأصحاب الديانات الاخرى ، والملاحدون ،  
ومعناه يبقى دائما نفس المعنى ، أى « أمم العالم » ، فلماذا يريد الباحثان  
ومعهما **Horvitz** أن يعطوه معناه اللينى مطبقا على اللفظة العربية  
« أمة » وبالتالي يرجعون اليه لفظتنا العربية أمة ؟

ويجدر بنا هنا ان نعيد السؤال الذى سبق أن طرحناه : ما الذى دعا  
هؤلاء وأمثالهم الى التنقيب الدقيق فى استعمالات العبرية البعيدة والقريبة  
لتشرح كلمة أمى « أمين » ؟

- 
- 56 — **הַמְלִיךְ הַחַדָּשׁ** . من ج — 1 ص 95  
57 — سفر اللاويين 26 — 1  
58 — تنبيه 23 — 20  
59 — اللاويين 20 — 1  
60 — اللاويين 20 — 7 . جمع كوي وكوييم ويلفظها يهود المغرب : كوييم « صفة لغير  
اليهودى » .  
61 — نفس الامحاح 24  
62 — اصول الثاني 1 — 20 . وقد أخذت بعض المعاجم الحديثة اللغات المذكورة  
مترجمتها بـ **gentil** انظر **Dic Français - Hébreu la Rousse - Paris**

انهم يريدون أن يثبتوا أن النبي كان قادرا على القراءة والكتابة . وليست مهمتنا أن نرد هذا الزعم ، لان هناك من هم أولى مما بالاجابة ، ولان بحثنا لا يخرج عن أن يكون بحثا لغويا . ومع ذلك ، فإننا نسأل ما الجديد الذي اضافته هؤلاء الى البحوث الاسلامية بزعمهم هذا ؟ . ليس هذا الموضوع استكشافا استثنائيا ، بل هو موضوع درسه المسلمون الاقدمون والمحدثون في كثير من مؤلفاتهم . وإذا كان الشائع أن العرب كانوا أميين ، فإن اميتهم لم تكن أمرا عاما بل كانوا على علم بكتشاف اسرار الحروف ، واستخدام القلم . ذكر القلقشندي في صبح الاعشى عند حديثه عن الاصناف التي كانت تستخدم للكتابة عند الامم السابقة من صين وهند وفرنس : ان العرب كانوا على علم بطرق الكتابة وأدواتها يقول : « والفرس يكتبون في اللخاف ... وفي النحاس والحديد ونحوهما ، وفي عصب النحل ... وفي عظم اكلاب الابل والغنم . وعلى هذا الاسلوب كان العرب لقربهم منهم ، واستمر ذلك الى أن بعث النبي (ص) ونزل القرآن والعرب على ذلك (63) » فهو نص صريح تحدث عن معرفة العرب لسر القلم وكان الامر لا خلاف فيه . وكما تحدثوا عن امية العرب ، ناقشوا أيضا امية الرسول . فقد تطرق الالوسي الى هذا الامر ، وأشار الى قضية صلح الحديبية ناقلا ما قيل من أن النبي كان يعرف الكتابة والقراءة ، واستعمل الالوسي (قيل) وبين أن من الممكن أن يكون اسناد الكتابة اليه مجازا ، ونقل أن النبي مامات حتى قرأ وكتب (64) . وكان هذا الامر مثار رد وجدل في الاوساط العلمية الاسلامية في القديم ، فقد الف القاضي سليمان ابو الوليد بن خلف الباجي تـ 494 ، رسالة اسمها « تحقيق المذهب » بين فيها أن النبي كان يكتب (65) ، ولم يسلم من انتقاد معاصريه مثل ابي بكر بن الصائغ الذي كفره . وخصص بعض الباحثين فصولا كاملة في الموضوع في كتبهم . ففي كتاب التراتيب الادارية فصل كامل عنوانه « هل كتب عليه السلام بنفسه شيئا وأمضى بعض كتبه بيمينه الشريفة أم لا ؟ (66) » . ونقل المؤلف جل الاقوال التي قيلت في

63 — صبح الاعشى جـ 2 ص 475

64 — روح المعاني الاعراب 1 157

65 — الديباج المذهب ص 121

66 — التراتيب الادارية ص 173

الموضوع ، مؤيدة ومعارضة . فقد تعرض للباجى المذكور ، ونقل عن الحافظ الذهبي : « ما كل من عرف أن يكتب اسمه فقط بخارج عن كونه أميا ، لانه لا يسمى كاتباً . وجماعة من الملوك قد ائمنوا على كتابة العلامة وهم أميون ، والحكم للغلبة لا للصورة النادرة » . والحافظ الذهبي يرى أنه لا يمنع أن يتعلم النبي كتابة بعض الجمل من كثرة ما أملى وليس هذا بمخرج له من الامية (67) . وينفل أيضا صاحب التراتيب عن القطب الخيضرى فى خصائصه نصا ينفي الكتابة عن الرسول و « أن الوحي كان يكتب له كتابة » (68) . فهذه الاقوال تبين أن الموضوع لم يكن جديدا ، وأن المستشرقين لم يكتشفوا جديدا . وهذه الاقوال تبين أيضا أن العرب والاسلاميين قد ادلوا بدلوهم ، وباسهاب فى الموضوع ، فقد حاول الفريق الاسلامى ارجاع الامر الى مجاز لغوى أو حادثة لا يقاس عليها ، ( الحديدية ) ووقف الفريق الآخر فريق المستشرقين عند معنى وهمى لكلمة « أمى » الذى استخرجه من جملة ( أموت هعولم ) .

قد يقول قائل : وماذا نفعل بفعل قرأ فى الآية « اقرأ باسم ربك » (المعلق 69) ، فالامر أمر للنبي بالقراءة ، وكيف يطلب منه شيء يجهله ؟ اليس هذا مؤيدا للذين شرحوا كلمة « أمى » بوثنى ؟ . وفعلا ، فقد لمح Blachère الى هذا الفعل فى مقدمته (69) . ولكن حديث بدء الوحي المروى عن عائشة ينفى بصراحة معرفة النبي للقراءة . ثم ان الفعل هنا لا يعنى القراءة المعروفة لدينا ، رغم ما نقصه بعض الآثار من « أن جبريل جاء الى النبي وهو بحراء بنمط من ديباج مكتوب فيه اقرأ » (70) . وقد شك الالوسى نفسه فى هذا الخبر . وفى اللسان : و (معنى قرأت القرآن لفظت به مجموعا ... وكل شيء جمعته فقد قرأته . وسمى القرآن لانه جمع القصص والامر والنهى ... (71) ) . وفسر الزمخشري « اقرأ » بقوله : « اقرأ مفتتحا باسم ربك ، قل باسم الله ثم اقرأ » (72) .

67 — تذكرة الحفاظ ج 2 ص 172

68 — نفس المرجع

69 — المقدمة ص 8 — 9

70 — روح البعائى ج 30 ص 179

71 — اللسان ج 3 ص 42

72 — الكشف ج 4 ص 775

وحقيقة الامر ان الزمخشري لم يشرح الفعل ، ولم يتحدث عن باء باسم ربك . وفسره القرطبي بقوله « أى اقرا ما أنزل اليك من القرآن مفتتحا باسم ربك وهو أن يذكر التسمية في ابتداء كل سورة (73) » .

ولم يفدنا اللوسى في تفسيره كبير فائدة . بل نكاد نقول بأنه لم يفسر الفعل . يقول : « والمعنى : اقرا مبتدأ ومفتتحا باسم ربك ، أى قل باسم الله ثم اقرا (74) » . ولم يزد الطبرى نفسه — رغم نقله الاخبار والاحاديث الكثيرة في سبب نزول السورة — على أن قال في تفسيره « اقرا يا محمد بذكر ربك (75) » . وقد وقف الرازى وقفة اطول في شرحه للآية ، فبعد أن نقل قول أبى عبيدة في الباء ، وأنها زائدة قال : « اقرا باسم ربك أى أنكر اسمه » ويطلق ، وهذا قول ضعيف . والرازى هنا يعود الى حديث بدء الوحي المثار اليه أعلاه ، فيذكر ان جواب النبى (ما أنا بقارىء) لا يتفق والتأويل « اذكر اسم ربك ويذكر أن هناك قولاً ثانياً في معناه يقول : « ان المراد من قوله « اقرا » أى اقرا القرآن اذ القراءة لاتستعمل الا فيه (76) » وهذا تفسير لا تفسير فيه . ويحاول ازالة الإبهام في شرحه « باسم ربك » ، فيبين أنها تحتل ثلاث معان :

1 — اقرا القرآن مفتتحا باسم ربك أى قل باسم الله ثم اقرا .

2 — اقرا القرآن مستعينا باسم ربك كأنه يجعل الاسم آلة فيما يحاول من أمر الدين والدنيا ... اقرا باسم ربك أى استعن باسم ربك واتخذة آلة في تحصيل هذا الذى عسر عليك .

3 — اقرا باسم ربك أى اجعل هذا الفعل لله وافعله لاجله (77) .

ورغم هذه التأويل المختلفة فإن فعل قرا في الآية بقى غامضاً . ونلاحظ من خلال هذه التفاسير ان المفسرين لم يرتاحوا الى تفسير

73 — الجابج لاحكام القرآن جـ 8 ص 7209

74 — روح المعانى جـ 30 ص 179

75 — التفسير جـ 30 ص 161

76 — التفسير الكبير جـ 31 ص 13 — 19

77 — نفس المرجع ، انظر ايضا البحر المحيط لابی حيان جـ 8 ص 491

هذا الفعل . لذلك مر عليه بعضهم دون شرح (78) . وبعضهم حاول شرحه لكنه بقى عنده غامضا . والحقيقة أن صعوبة شرح المفسرين للفعل أتت لسببين اثنين :

أولهما تاريخي، وقل ديني إذا أحببت . وثانيهما نحوي لغوي .  
أولا : إذا كان النبي أميا - وهو اعتقاد إسلامي - فكيف نفهم فعل « قرأ » وهو مناقض للامية .

ثانيا : أن الفعل « قرأ » متعدد، وقد جاء في الآية لازما - رغم افتراض مفعول محذوف . ثم ماذا نفعل بالباء ؟ . ووقف المفسرون حيارى أمام هذا الفعل .

وبمقارنة لغوية بسيطة يمكننا الخروج من هذه الصعوبة التي اعترضت المفسرين .

من المعلوم أن في القرآن الفاظا دخيلة لا يمكن نكرانها . ومن المعلوم أن لغة القرآن هي لغة العرب جميعا بعد أن هذبت في لغة قريش . ومن المعروف أيضا أن القرآن استعمل الفاظا عربية جاهلية وأعطاهها معنى جديدا . فإذا ليس من المستبعد أن يحافظ القرآن على معان عربية كانت معروفة في اللغة العربية قديما ثم ضاعت فأحيى القرآن مواتها ومعناها الضائع (79) . ومن الممكن أن يكون فعل « قرأ » مثلا صالحا لهذا الأحياء اللغوي . ولايضاح الأمر ، يحسن بنا أن نقارن بين فعل قرأ في العربية والعبرية .

قرأ فعل سام مشترك على الأقل في أربع لغات :

الأوغاريتية ، العربية ، العبرية، الآرامية (80) ومعناه العام مشترك في هذه اللغات المذكورة . أما معانيه الفرعية والاشتقاقية فتختلف من لغة إلى أخرى ، نتيجة لتباعد هذه اللغات أثناء تطورها .

78 - الجواهر ج 25 ص 204

79 - قد يكون للنظة عدة معان ، وخلال تطورها ، قد تضيع بعض معانيها . وإذا كانت هذه اللفظة مشتركة في لغتين أختين أو أكثر ، فغالبا ما يبقى المعنى الذي ضاع من إحدى هذه اللغات موجودا في واحدة من أخواتها أو في أكثر من واحدة

80 - המלון החדש מר ص 2395



ففي العربية قرا يقرأ ويقرأ، 1 — الكتاب و نطق بكلماته ، 2 — الكتاب  
التي النظر عليه وطالعه ولم ينطق بكلماته 3 — الشيء جمعه وضم بعضه  
الى بعض ، 4 — قرأت المرأة : ولدت ، بالإضافة الى معانيه الاشتقاقية .  
وتتعدد معاني الفعل في العبرية أيضا.

- 1 — קרא (قرا) الكتاب : ויקרא ברוך בספר  
את דברי ירמיהו ( ويقرأ باروخ في السفر كلام ارميا ) (81).
- 2 — קרא رفع صوته ، صرخ : ויקרא הוציא כל  
איש מעל ( وصرخ : اخرجوا كل انسان غنى ) (82) .
- 3 — קרא : نادى : أعلن ויקרא לפניך אברך  
(ونادوا أمامه اركعوا) . (83).
- 4 — קרא دعا : ותלך העלמה ותקרא את אם הילד  
(وذہبت الخادم ونالت أم الطفل) (84).
- 5 — קרא سمي : ויקרא אלהים לאור יום (85)  
(ودعا الله النور يوما)
- 6 — קרא درس التوراة، وهو معنى تلمودي (86). وعلى  
هذا ، فالفعل العبري يدل على : قرا ، نادى ، تكلم بصوت مرتفع ،  
رفع صوته، دعا، سمي، درس، بالإضافة الى معنى آخر هو غظ (87)  
وبالمقارنة بين الفعلين العبري والعربي، نجد أن المشترك بينهما هو معنى:  
قرأ الكتاب جهرا وسرا ، والمعنى التلمودي ، اي درس وتعلم . وانفردت  
العربية بـ بمعنى 1 — ضم الشيء بعضه الى بعض . 2 — قرأت  
الحامل ولدت . وانفردت العبرية بمعنى 1 — صرخ 2 — نادى ،  
أعلن 3 — سمي ، دعا .

81 — ارميا اصحاح 36 آية 10

82 — تكوين أم 45 1

83 — تكوين أم 41 1 43

84 — اعداد أم 2 2 8

85 — تكوين أم 1 1 5

86 — המלון החדש את סגדה قرا من 2395

87 — معجم قجسان من 834

وحسب التطور اللغوي الذي بمقتضاه يمكن للمفردة أن تكتسب معنى جديدا لم يكن لها ، وكذلك قد تضع معنى قديما أمضى لعدم الاستعمال . يمكن أن تكون معاني قرأ - سواء التي انفردت بها العربية أو التي انفردت بها العبرية - قد كانت مشتركة في اللغتين معا . وعلى هذا فإن فعل « قرأ » في الآية « اقرأ باسم ربك » يكون قد احتفظ بمعنى قديم ضاع من العربية وبقي في اختها العبرية (88) ، وهو اقرأ أى ناد ، ادع ، أعلن ، أى «اقرأ باسم ربك» معناه ادع وناد باسم ربك الناس الى الاسلام ، أعلن الاسلام في الناس باسم ربك (89) . وبهذا المشرح يمكن ازالة الصعوبتين اللتين اعترضتا المفسرين : الصعوبة التاريخية (امية محمد) ، ومشكل تعدية الفعل . وقد كاد بعض المفسرين أن يجدوا هذا المعنى ، عندهما فسروا الفعل باذكر . فاذا ثبت بالمقارنة اللغوية أن فعل « قرأ » في الآية يحتمل معان أخرى ، فعلى الذين رأوا فيه نفى الامية عن النبي أن يعيدوا النظر في رأيهم .

وبعد ،

فاذا ثبت أن « أمى » و « أمين » من خلال هذه المقارنة اللغوية - لا تدل على وثنى ، وثبت أن فعل « قرأ » لا يمكن أن يفسر بالقراءة المعروفة ، وثبت أن «أمة» لا ترجع الى لغة غير العربية فماذا يعنى الموصفان ، أمى وأميون في القرآن ؟

سبق أن رأينا أن اللغويين المسلمين قد أرجعوا الموصف مفردا وجمعا الى أم، أم القرى ، أو أمة ، وقد رفض العقاد هذه النسبة ، بل رأى أن الذين قالوا هذا القول يجهلون ما في الكتب اليهودية (90) . وهو يلخص المشكل في أن كلمة الاميين عند أهل الكتاب تعنى غير اليهود ، وبالتالي أمى ، تعنى الجهل بالقراءة والكتابة على سبيل الاستعارة فقط .

88 - ترجم Blachère النعل في الآية المذكورة — Prêcher وهو أحد المعانى العبرية ، أما أهارون بن شمس في ترجمته العبرية فقد ترجمها ، أو بالآخرى تركها قرا متنبها الى المعانى المحتملة في لغة التوراة : هقرآن هقدوش ص429  
89 - يجب أن نذكر هنا أن الالوسى شك في الاثر الذي يروى أن جبريل جاء بنمط الى عاز حراء ... الى آخر القصة « نجاهه الملك فقال اقرأ فقال ما أنا بقارئ »  
90 - الاسلاميات 2 ص 201

والعقاد لا يرجع نسبة « أمى » الى أم ، او أم القرى ، أو أمة .  
والحقيقة ان رفض العقاد نسبة الكلمة الى « أم » ربما فيه نوع من  
اهمال لجانب لغوى تعنيه كلمة « أم » في اللغات السامية ، أو على الأقل  
فى اللغة العربية والعبرية .

(( فأم )) لفظة سامية مشتركة وجدت على الأقل  
فى اللغة الاوغاريتية ، والاكادية ، والارامية والعربية  
والعبرية . ومعناها الاول ما كان اصلا لوجود شىء . . أو مبدئه (91)  
أو أرومته (92) ، ثم تفرعت عن هذا المعنى معان أخرى ، منها فى  
العبرية ، 1 : أم : الوالدة وقد جاءت بكثرة فى العهد القديم . 2 - الأم  
الكبرى لقبيلة أو شعب . وقد جاءت فى التلمود (93) . 3 - رحم ، أصل  
وهو استعمال تلمودى أيضا (94) . 4 - مدينة وتطلق على المدينة  
الرئيسية فى مجموعة مدن أو مجموعة قرى، وقد وردت بهذا المعنى فى  
العهد القديم (95) . 5 - قاعدة ، مبدأ ، وقد وردت فى شروح العهد  
القديم (96) . 6 - أصل ، سبب . وقد وردت فى لغة الفلاسفة اليهود  
فى القرون الوسطى (97) .

أما معانيها فى العربية مفردة ومركبة فغزيرة (98) ، وتشارك مع  
العبرية فى :

أ - أصل كل شىء . 2 - أم الولد . 3 - مدينة (99) . والذى  
يعنينا فى موضوعنا هو المعنى : « أصل » ، وهو عربى لا شك فى عروبه  
وعلى هذا تكون الصفة « أمى » « أمين » التى جاءت فى القرآن تعنى  
الذين لازالوا على أصلهم ، وتكون عربية وعبرية فقط ، رغم ادعاءات

91 - مفردات الاصفهانى ص 18

92 - ص 13 La langue hébraïque restituée

93 - ברכות, ט, א.

94 - ברכות, ד, ד.

95 - עיר ואם בישראל

96 - סוכה, ו.

97 - המלון החדש مادة « أم »

98 - اللسان مادة « أم »

99 - وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها رسولا ( القصص 59 )

Paret و Blachere وغيرهما عندما أرجعوا الكلمة الى العبرية أو الارامية . وتكون نسبتها صحيحة الى «أم» - بهذا المعنى - رغم رفض العقاد لهذه النسبة . فاذا كان «أم» الشيء أصله ، فالقرآن عندما وصف هؤلاء العرب ، كان يعنى أنهم على أصل خلقتهم - دون ارجاع النسبة الى الام الوالدة - فاناس بدون كتاب ، بدون دين ، هم على أصل خلقتهم . وذلك لان الدين تغير وتوجيه للفعل الانسانى . بل هو مراقبة للسلوك الفريزى الذى سلكه الفرد فى حياته . الدين اخراج لهذا الفرد من حالته الفريزية بمجموع القوانين المكتوبة والمحفوظة فى الديانات السماوية ، وعندما لا يوجد دين أو قوانين يصح ان ذاك أن نصف الفرد ، أو الجماعة بأنه «أمى» أو «أمين» . أى على أصلهم فى تصرفاتهم الفطرية وسلوكهم الفريزى . ومن هذا المعنى العربى القديم أوجد الاسلام معنى جديدا عربيا أيضا - أسماه العقاد استعارة (100) للفرد « أمى » . فالندين هو الانسان الذى أحدث فيه كتاب سماوى تغيرا جذريا فى تصرفاته ومعارفه ، والكتاب أى الكتابة هى التى أحدثت هذا التغير - سواء كان هذا الفرد قارنا أو غير قارئ - فالامى هو الذى لا يعرف كتابا سماويا حقيقة ، أى بقى على طبيعته الاصلية دون تهذيب . والامى هو الذى يجهل الكتابة والقراءة استعارة ، ولكن المعنى القرآنى حوله الى معنى حقيقى .

واذا رفض المستشرقون (101) - ومن تبعهم - عروبة اللفظة ، ورفضوا معناها الذى هو : « من على أصل خلقته قبل التهذيب الدينى حقيقة ، والذى لم يكتسب معارف انسانية بالكتابة والقراءة استعارة ثم حقيقة فى المعنى الاسلامى ، وأرجعوها الى صيغة عبرية متوهمة ، فذلك راجع لاسباب عقائدية وليست لغوية . من هذه الاسباب :

100 - الاسلاميات مجلد 2 ص 202

101 - رفض المستشرقون - المشار اليهم - هذا المعنى بدعوى انه لم يكن معروفا فى اللغة العربية قبل الاسلام . وهل كل المعانى المعروفة فى العربية كانت معروفة فى اللغة الجاهلية ، حتى نرفض المعنى الجديد الاسلامى للفظه أمية ، فنرجعها الى أصل غير عربى ؟ مع ان اللغة العربية مليئة بمعان جديدة ولا من يدعى نسبتها الى غير العربية . وللعربية الحق ككل اللغات فى أن تكتسب معان جديدة كى أن لها الحق أيضا فى أن ترفض معان قديمة أبحت بعد استعمال .

أولا : عندما فهم أولئك الكلمة ثم ترجموها ، فانهم لم يستطيعوا ابعاد التربية الدينية اليهودية أو المسيحية التي تغلغلت في اعماقهم — وأن ادعى بعضهم أنه لا يهتم بالدين — ، يعنى أنهم فهموا اللفظة العربية الاسلامية — عربية قرآنية — بذهنية خبرية كهوتية . مقسمين ناس الأرض الى مسيحيين أو يهود وغيرهما .

ثانيا : انهم لم يستطيعوا فهم اللغة العربية على حقيقتها مهما درسوها ، لان اللغة احساس ، وشعور ، وتربية ، وكيان يتكون وينمو مع عقل المفكر به ، وقد افتقدوا هذه الميزات ، فجاء فهمهم لها ناقصا ، وان ادعوا أنهم يستخدمون المقاييس العلمية للبحث !

ثالثا : أنهم عندما درسوا الحضارة العربية والفكر الاسلامى ، فانهم كانوا يدرسون بحكم مسبق ، وبذهنية كانت توجه الدراسات — عن ارادة أو غير ارادة — ولهذا أباحوا لانفسهم — وعقدة الاستعلاء تغلف ذهنيتهم — ان يتصرفوا في معانى العربية ، وأن يجلبوا لها معانيها من لفات أخرى . والمؤسف أن بعض باحثينا قبلوا بأبحاثهم — وهى قيمة في حد ذاتها — دون أن يفكروا في اعادة النظر فيها ، لان الابوية في الدرس والمعلم تقتل المنهج العلمى الباحث عن الحقيقة .

## مراجع البحث

- 1 - القرآن طبعة الشركة التونسية للتوزيع ط. 1969 .
- 2) Coran, traduction R. Blachère G.P. Maisonneuve 1972.
- 3) Le Coran, traduction Ahmed Aïmeche et B. Ben Daoud. ed. Heintz freres. ORAN.
- 4 - הקראן הקדוש ( هقرآن هقدوش )  
אהרון' בן שמש ( اهارون بن شمس )  
מסדה طبعة 1971  
الكتاب المقدس  
1 - الكتاب المقدس الطبعة الثانية فيينا 1932  
תורה נבאים וכתבים  
London 1962  
La bible l'ancien Testament version de la Pleiade Gallimard 1956.  
La Bible. Version. Par les moines des Maredsous - Blegique. (4) -

## تفسير

- 1 - الالوسى شهاب الدين . روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - الطبعة المنيرة .
- 2 - ابو حيان الغرناطى : البحر المحيط : طبعة الرياض
- 3 - الفخر الرازى : التفسير الكبير الطبعة الاولى
- 5 - الطبرى : التفسير الطبعة الامرية
- 6 - طنطاوى جوهرى : الجواهر في تفسير القرآن الكريم ، طبعه البابى الحلبي مصر .
- 7 - القرطبى ابو عبد الله محمد بن احمد الانصارى : الجامع لاحكام القرآن

## معاجم لغوية

- 1 — ابن دريد . الاشتقاق تحقيق عبد السلام هارون مصر 1958
- 2 — نراعيب الاصفهاني . معجم مفردات الفاظ القرآن  
دار الكتاب العربي 1972
- 3 — الفيرو زيادي : القاموس المحيط طبعة القاهرة
- 4 — محمد اسماعيل ابراهيم : معجم الالفاظ والاعلام القرآنية  
طبعة ثانية دار الفكر العربي 1968 بيروت
- 5 — اسن منظور : لسان العرب طبعة بيروت — دار لسان العرب
- 6 — مجمع اللغة : معجم الفاظ القرآن الكريم ، جزاءان طبعة ثانيه 1970

1) - David Cohen : Dictionnaire des racines sémitiques. Fas.1. Paris Monton. La troy 1970.

2 - R. Dozy - Supplément aux dictionnaires arabes. Beyrouth 1968.

3) - Nouveau dictionnaire Français - hébreu - Larousse - Paris.

- 4 — قاموس عبري عربي : ي قوجيان مكتبة المحتسب 1970
- 5 — معجم عربي عبري الطبعة السادسة اورشليم 1972
- מלון אכדי עברי : ערך יעקב קליין 1973  
معجم اكادي عبري يعقوب قليين

المعجم الحديث ( في 7 اجزاء ) ابراهيم بن شوثن القدس 1971  
המלון החדש : אברהם אבן שושן, ירושלים 1971/

## مراجع عربية مختلفة

- 1 — الذهبي الحافظ : تذكرة الحفاظ دار احياء العلوم بيروت
- 2 — عبد الحى بن شمس : التراتيب الادارية والمعاملات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التى كانت على عهد تأسيس المدينة الاسلامية الرباط 1946
- 3 — العقاد عباس محمود : المجموعة الكاملة المجلد السادس الاسلاميات. 1974(2)
- 4 — ابن فرحون الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب مطبعة السعادة مصر 1329
- 5 — القلقشندي : صبح الاعشى القاهرة 1331 — 1913
- 6 — د. محمد سيد طنطاوى: بنو اسرائيل فى القرآن والسنة، بيروت 73
- 7 — دائرة المعارف الاسلامية : ترجمة محمد ثابت الفندى وآخرين 1933

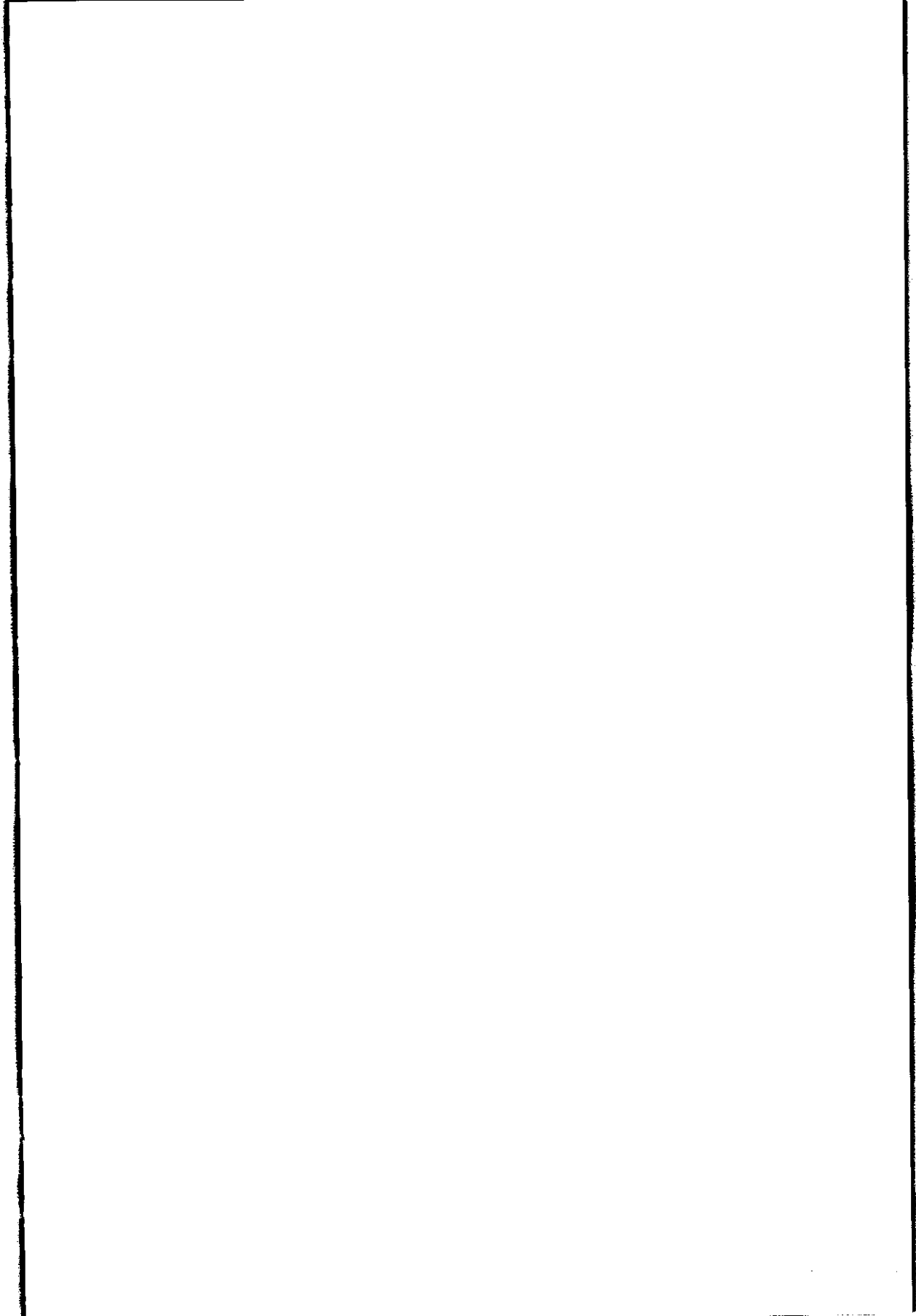
## مراجع مختلفة اجنبية

- 1) - R. Blachère. Introduction au Coran. Paris 1947.
- 2) - Cl. Gazet : Du mode de filiation des racines sémitiques .et de l'inversion. Paris maisonneuve et Cie. 1882.
- 3) D. Cohen et H. Zafrani : Grammaire de l'hébreu vivant. P.U.F. Paris 1968.
- 4) - M. Cohen : Le système verbal sémitique et l'expression du temps édition. E. Leroux 1924.
- 5) - P.H. Lammens : La Mecque à la veille de l'hégic - Beyrouth. 1924.
- 6) - S. Mondelkern : Concordant tiae, hebraicae Atque Caldaicae - Jérusalem. 1971.
- 7) - F. D'Olivet : La langue hebraïque restituée. éd. L'age d'homme 1975.
- 8) - E. Renan Histoire générale et système comparé des langues semitiques éd. Colmann et Leoy - Paris 1928.

## مجلات

- 1 — مجلة الجمع العلمى العراقى مجلد 26 1975
- 2 — مجلة الوعي الاسلامى السنة 12 عدد 138 يونيو 1976 الكويت





## تحليل المنطق للعبارات اللغوية وصياغته الصورية لها

عندما يحاول المنطقي نقل عبارات من « لغة الناس » الى « لغة المناطق » فانها يقوم بعمل لا يختلف في جوهره عن عمل المترجم الذي ينقل معانى لسان ما الى لسان آخر . واذا كان عمل هذا الاخير يمر بمراحل معينة فما هي مراحل النقل المنطقي ؟

يحلل الناقل المنطقي العبارات اللغوية ليصل الى دلالتها اذا خلت من الالتباس . ويميز بين هذه الدلالات اذا تعددت ، اما اذا اتفقت فانه يجمع بينها . ويعتمد في ذلك على درايته باللغة وفهمه لمضامين عباراتها وبنائها كما هو الشأن بالنسبة للناقل الاديب .

ويقوم بهذا التحليل في اطار كأويلي معين . فقد يقتضى مجال القول أن يشير في الصياغة الناقلة الى امور ما كان ليشير اليها لو أن المجال اختلف . فاذا اراد ان ينقل مثلا العبارة التالية : « بطق الانسان » وكان مجال القول لا يشمل غير البشر . فانه آنذاك يستغنى عن ذكر « الانسان » في الصيغة المنطقية المقابلة بينما يكون ملزما بذلك لو أن مجال القول تعلق بالاحياء جميعهم أو الاشياء كلها .

بعد هذا التحليل ، يضع صيفا منطقية سليمة تكون لها نفس الدلالة التي لعبارات اللسان وذلك في اطار امكانات النسق المنطقي الذي بين

يديه ، الا ان هذه الصيغ المنطقية ليست تصويرا أو نسخا للجهل المنطوقة بحيث يقابل كل رمز في الصورة المنطقية لفظا في الجملة وكل رابط بين الرموز علاقة بين الالفاظ ، بل ان هذه الصيغ قد تختلف اختلافا كبيرا عن البنية السطحية ومقولاتها النحوية : فقد تتضمن أصنافا اضافية لا تظهر على سطح العبارة ولكن يشترطها السياق أو مقتضيات التعبير الرمزي .

وشروط نجاح هذه الصيغة المنطقية هو تطابق شروط صدقها مع شروط صدق العبارة الاصلية : وإذا اتفق للمنطقى هذا النقل اتفق له معه تحديد سلامة التعبير اللغوى بسلامة التعبير المنطقى وتحديد دلالاته بدلالاته .

يتضح من هذا أن البنية التى نريد تأسيسها بنية دلالية وأنها بنية عميقة . فما هى العناصر التى تدخل فى تركيب هذه البنية ؟ سوف تستند بنيتنا فى صياغتها للعبارات اللسانية إلى منطق أو لغة حساب المحمولات . ولكن لماذا الاعتماد على اللغة المحمولية ؟ تعتمد منطق المحمولات لأنه باب من أبواب المنطق التى اثبتت قدرتها على الصياغة الصورية للنظريات العلمية ( مثلا نظرية العدد . نظرية المجموعات ) . هذه الصياغة التى تطورت أساليبها فى اقتران بالرياضيات وامتنح المناطق خصائصها امتحانا نهائيا .

### أولا : نحو اللغة المحمولية

تتركب اللغة المحمولية التى نستند اليها فى انشاء بنيتنا العميقة من :

#### أ - أبجدية :

وتتضمن هذه الأبجدية :

#### 1 - الحروف الشخصية (1)

— المتغيرات الشخصية :

سم ، ع ، ف ، ص ، سم ، ع ، ف ، ص ، ...

(1) نترجم لفظة « شخص » هنا بالمقابل الاجنبى Individu أى الفرد (إيا كان ولها فى اللغة العربية هذا المعنى وقد استعملها فيه المنطقة العرب قديما .

وكل متغير منها يرمز الى اى فرد أو موضوع ولا يكتسب قيمته  
الا باحلال اسم علم محله أو بحصره . وأمثاله في اللسان : ضمير  
الغائب : هو . هي . هم ...

### — الثوابت الشخصية :

س ، ع ، م ، ص ، ن ، ج ، ف ، م ، ...  
وهي في اللغة أسماء الاعلام : زيد ، عسرو ...  
ولنرمز للحرف الشخصى سواء كان متغيرا أو ثابتا بـ : **س**  
(س مضعفة) وللمتغير الشخصى أيضا كان بـ : **هـ** (س مضعفة ومسكنة )

### 2 — الحروف المحمولية :

— المحمولات الواحدة : ك<sub>1</sub> ، ل<sub>1</sub> ، م<sub>1</sub> ، ن<sub>1</sub> ، ...  
وتدل على الصفات مثل طالب ، ناطق ...

— المحمولات الاثنائية : ك<sub>2</sub> ، ل<sub>2</sub> ، م<sub>2</sub> ، ن<sub>2</sub> ، ...  
وتدل على العلاقات القائمة بين شخصين مثل ضرب ، وجد ..

— المحمولات الثلاثية : ك<sub>3</sub> ، ل<sub>3</sub> ، م<sub>3</sub> ، ن<sub>3</sub> ، ...  
وتدل على العلاقات القائمة بين اشخاص ثلاثة مثل أعطى ، أعار ،  
أهدى ...

— المحمولات النونية : كن ، لن ، من ، نن ، ...  
وتدل على العلاقات القائمة بين عدد نونى من الاشخاص.

ولنرمز للحرف المحمولى أيضا كان : **ك** (ك مضعفة)

### 3 — الروابط القضية :

— الرابط الواحدى : وهو الرابط الذى يدخل على العبارة  
نفسيا وهو النفي ، ومثاله : « ليس زيد قائما » و « لا أحد قائم »  
ورمز النفى هو **و** ونتفق على أن نعطيه اسما وهو **و** (س مضعفة)  
— الروابط القضية الاثنائية : ونقتصر منها على الروابط  
التالية :

— الوصل : يدل عليه فى اللغة واو العطف : « قام  
زيد وعمرو » . ورمز الوصل : **∧**

— الفصل : تدل عليه فى اللغة «أو» : « قام زيد أو عمرو »  
ورمزه :  $\wedge$

— الشرط مثاله : « اذا عاهد زيد وفى » « ونرمز اليه  
بـ :  $\subset$

— التشارط : او الشرط وعكسه . ورمزه :  $\equiv$  .  
وسنرمز للرباط القضوى ايا كان بـ  $\star$  .

#### 4 — الاسوار :

— السور الكلى : يفيد الاستغراق ويدل عليه اسم « كل » ،  
مثاله : « كل شيء بقدر » و « كل نفس ضائقة الموت » . ورمزه :  $\Delta$   
— السور البعضى : معناه : « واخذ على الاقل » ومثاله :  
« بعضهم لبعض عدو » . ورمزه :  $\nabla$

وسوف نتفق على الرمز لاي من السورين بـ :  $\text{سا}$

#### 5 — الاقواس :

منها الفاتح والخاتم وهى الالهة : ( ) . والمعتقات : [ ] ،  
والحاضنات : { } .

يتبين اذن ان للغة المحولية ابجدية كما للسان المنطوق ابجدية.  
واذا كانت الحروف الهجائية تتركب فيما بينها لتألف منها الالفاظ  
ولتألف العبارات من الالفاظ ، فكذا الامر بالنسبة للابجدية المحولية  
فان عناصرها يوالى بعضها البعض فينشأ عن هذه الموالاة (2) كلمات  
او عبارات اى متواليات ، الا ان قسما كبيرا من هذه المتواليات قد  
يكون معتل التركيب ولا تقبله لغتنا المحولية كما ان من الفاظ اللسان  
ما هو مهمل ومن الكلام ما فيه لحن ، واعتلال التركيب المحولى كاعتلال

(2) نقترح لفظة « الموالاة » لترجمة Concaténation ( وهى . رياضيا ، صلبة  
داخلية تجميعية لا تبديلية ) مستندين فى ذلك الى الاستعمال القديم لها عند النحاة  
( الجرجاني ) والمناطق : يقول العارابى فى كتاب الحروف ( ط . در المشرق ص. 137 )  
« فيضطرون ( أى الناطقون ) الى تركيب بعضها ( أى الحروف ) الى بعضها بموالاة  
حرفا حرفا فتحصل فى الفاظ من حرفين وحروف »

لتركيب اللغوى ينتج . مثله عن اخلال بالقواعد النحوية . فما هى  
اذن القواعد النحوية التى تخل بها التراكيب المحمولى المعئلة ؟

### ب - القواعد النحوية :

1 - اذا كانت **س** ... **س** حروفا شخصية وكانت **ك**  
حرفا محمولىا . فان **ك** (**س** ... **س**) عبارة سليمة التركيب ،  
مثال : **ك** ( **س** . **ع** . **ق** ) .

2 - اذا كانت **ب** ( **ب** مضعفة ) عبارة سليمة التركيب فان  
**ب** عبارة سليمة التركيب . مثال : **ب** ( **ك** ) .

3 - اذا كانت **ب** و **ج** ( **ج** مضعفة هى أيضا ) عبارتين سليمتي  
لتركيب فان **ب** و **ج** : عبارة سليمة التركيب . مثال :  
**ك** ( **ب** ) **ج** ( **ق** ) .

3 - اذا كانت **ب** عبارة سليمة التركيب وكانت **ج** متغيرا شخصيا  
فان **ب** سليمة التركيب ، مثال : **ك** ( **س** ، **ع** ) .  
- اذا كانت **ب** عبارة سليمة التركيب وكانت **ج** متغيرا شخصيا  
فان **ب** سليمة التركيب ، مثال : **ك** ( **س** ، **ع** ، **ق** ) .

4 - لا عبارة سليمة الا بمقتضى القواعد الثلاث المذكورة (3)  
نلاحظ ان القاعدة الاولى تحدد العبارات المحمولىة السليمة الاولى  
او مجموعة العبارات البسيطة وتسمى هذه القاعدة بقاعدة الابتداء .

اما القاعدتان الثانية والثالثة بقسميهما فتمكنان من تركيب  
عبارات سليمة جديدة ابتداء من عبارات اخرى وانطلاقا من عناصر  
المجموعة الجزئية الاولى . وتعرف هاتان القاعدتان بقاعدتي التوليد .

واما القاعدة الرابعة فهى تنص على ان اية عبارة لا تنتمى الى  
مجموعة العبارات المحمولىة السليمة الا اذا كان هذا الانتهاء تحده

(3) من الممكن اختصار الصياغة الحولىة بحذف العدد الذى يشير الى الحروف الشخصية  
التي يربط بينها الحرف المحمولى وكذلك الاقواس التى تدخل عليها فنكتب مثلا :  
**ك** ( **س** ، **ع** ) او **ك** **س** **ع** أو نقط **ك** **س** **ع** بدل العبارة **ك** ( **س** ، **ع** ) .

القواعد ( 1 و 2 و 3 ) . فهي التي تحصر مجموعة العبارات السليمة  
لذا تعرف بقاعدة الختم .

وعليه فان هذه القواعد تشكل تعريفا استقرائيا بالمنى  
الرياضي (4) لمجموعة العبارات السليمة اي طريقة تقتضي القيام  
بعمليات معدودة وحسب نستطيع بعدها ان نبث بمدى سلامة العبارة  
المضروحة او اعتلالها مهما بلغ طولها .

وزيادة في اثبات السبغة النحوية لقواعدنا نقوم بصياغتها على  
طريقه النحو الجديد الذي كاد ان يؤثر في كل المدارس النحوية المعاصرة  
ان لم يكن قد فعل . وهو نحو المدرسة التحويلية وعلى رأسها  
شومسكي (5) .

نعلم أن لهذا النحو بنية تتكون من :

— **معجم** : يتألف هذا المعجم من حروف مساعدة بثابة مقولات  
نحوية ومن حروف أخرى هجائية . والابجدية المحولية بثابة المعجم  
التحويلي .

— **قواعد تركيبية** : قواعد سهمة تقضى بأن ننسخ على يسار  
السهم ما كتب على يمينه . والقواعد المحولية تقابل هذه **القواعد**  
التوكيدية .

— **مسلمة** : كل عبارة تنطلق منها لاجراء القواعد التركيبية عليها .  
ومن الممكن ان نعيد كل عبارة محولية سليمة حتى نجرى التحليل  
عليها .

— **الموالة** : عملية جبرية داخلية تجميعية . وقد رأينا ان حروف  
الهباء المحولية تخضع لهذه العملية ، ونرمز اليها بالعلامة : +

بعد هذا : يطرح السؤال كيف نحو لغتنا المحولية صياغة  
توليدية ؟ او بالاحرى كيف نحول قواعدنا النحوية الى قواعد تركيبية  
على طريقة التوليديين ؟

---

Définition réursive (4)

Chomsky (5)

عب ان « ب » ( ب مضفنه ) هي السلسلة . فيمكننا آتدك ان  
نكتب القواعد التالية :

$$\begin{aligned} \text{ب} &\leftarrow \text{كن} + \text{س}_1 + (\text{س}_2) + \dots + (\text{س}_n) \text{ مع } n \leq 1 \\ \text{ب} &\leftarrow \text{سا} + \text{ب} \\ \text{ب} &\leftarrow \text{ح} + \text{ب} \\ \text{ب} &\leftarrow \text{ب} + \star \\ \text{س} &\leftarrow \{ \dots \} \\ \text{كن} &\leftarrow \{ \dots \} \\ \text{سا} &\leftarrow \{ \Delta, \nabla \} \\ \text{ح} &\leftarrow \{ \text{ـ} \} \\ \star &\leftarrow \{ \equiv, \subset, \vee, \wedge \} \end{aligned}$$

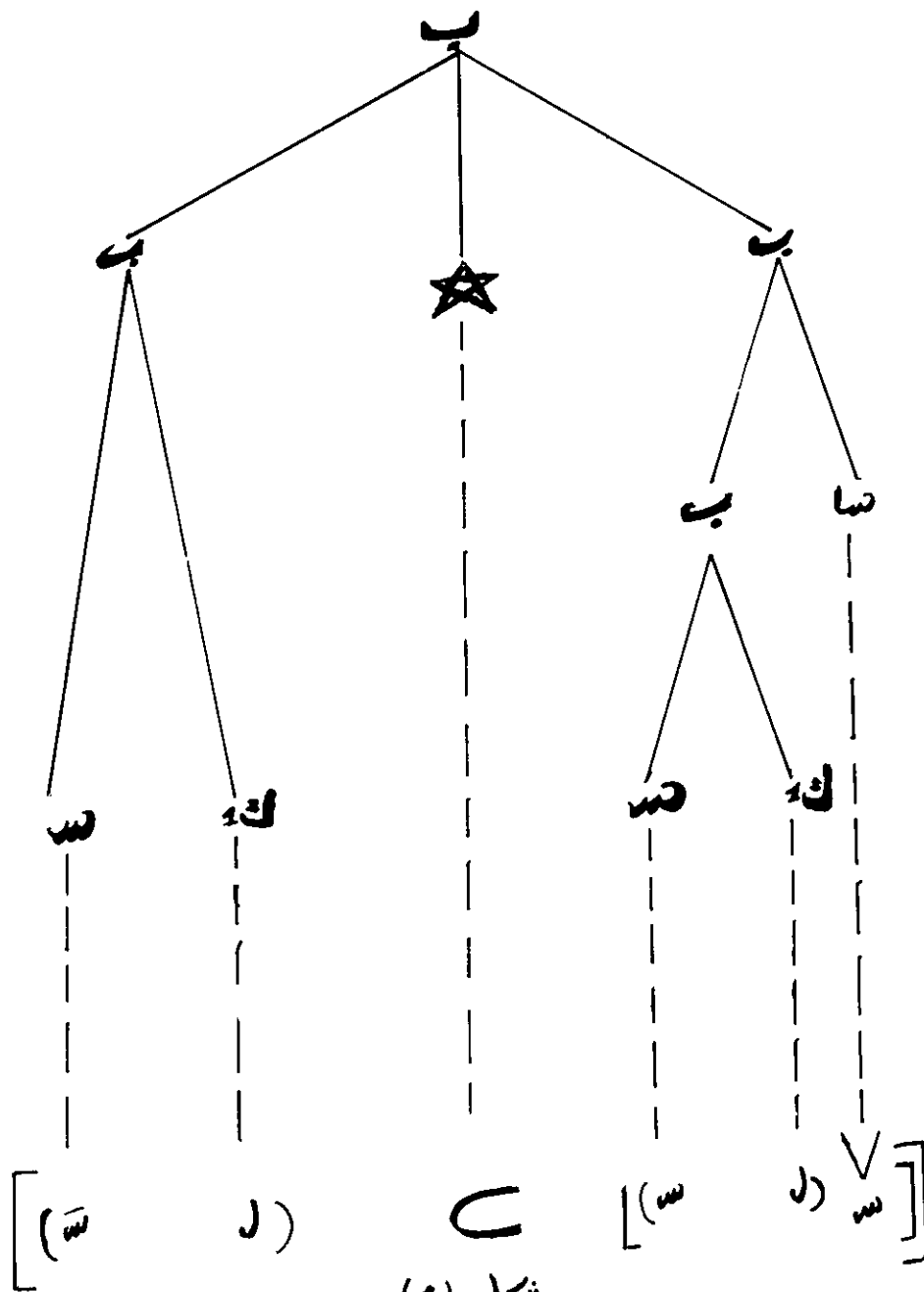
وعلى أساس هذه المجموعة من القواعد نستطيع ان نشق اية  
عبارة محمولية شئنا ولتكن :  $\nabla \text{ لـ } (\text{س}) \subset \text{لـ } (\text{س})$  ،  
ويتم هذا الاشتقاق في صورة تشجير للعبارة ( انظر الشكل 1 ) .

يتضح اذن ان العبارات المحمولية قد تشتق من النحو التوليدي  
الموسوع .

ولا يقف التماثل عند هذا الحد فقد يحتوى النسق المحمولي  
على قواعد استدلالية تسمح باشتقاق العبارات الصحيحة من عبارات  
صحيحة أخرى هي المسلمات . ومن الممكن ايضا صياغة القواعد  
الاستدلالية نفسها في شكل قواعد تحويلية التي هي بمثابة العمليات  
التي تطبق شجرة في أخرى (6) .

وبعد ان بنينا لغتنا المنطقية بناء نحويا لنتمكن الان قدرتها على  
النقل الصوري للعبارات المتداولة . وقد اخترنا لذلك بعض الامثلة التي  
يكثُر استعمالها في اللغة العربية .





شکل (1)

## ثانيا : الصياغة الصورية للعبارات اللفوية

### 1 - أقسام الكلمة :

#### 1 - الفعل :

- يعتبر الفعل محمولا :

- من الأفعال ما هو لازم : « قام زيد »

نصوغ هذا المثال كما يلي : ك ( س ) : قام س ، س : زيد ،  
اذن ك ( س ) ( 7 ) .

- ومنها ما هو متعد : « ضرب زيد عليا » .

ك ( س ، ع ) : س ضرب ع ؛ س : زيد ، ع : علي ؛ ك ( س ، ع ) ( 8 )

لكن المتعدى المنطقي يجاوز المتعدى النحوي ولا يقتصر على  
الفاعل والمفعول به ، بل يشمل المجرور وغيره :

« كتب زيد عمرو » : ك ( س ، ع ) : س كتب لـ ع ؛ س :  
زيد ، ع : عمرو ؛ ك ( س ، ع ) ( 9 )

« تزاور زيد وعمرو » أي زار زيد عمرو وزار عمرو زيدا

ك ( س ، ع ) : س زار ع ؛ ك ( س ، ع ) : ع زار س ؛ س : زيد ،  
ع : عمرو ؛ ك ( س ، ع ) ( 10 )

#### 2 - الاسم :

- المفرد النكرة : « قام رجل » ،

ك ( س ) : س قام ، ل ( س ) : س رجل ؛ ل ( س ) ( 11 )

- المفرد المعرف بال :

- ال التي تفيد الاستغراق : « الانسان ضعيف »

ك ( س ) : س انسان ، ل ( س ) : س ضعيف . ل ( س ) ( 12 )

- ال التي تفيد شخصا معروفا : « عصي فرعون الرسول »

ك ( س ، ع ) : س عصي ع . ل ( ع ) : ع رسول ؛ س : فرعون ،  
م ( ع ، ع ) : ع هي ع ،

7 سوف تتبع نفس الطريقة بالنسبة لكل الامثلة التي ننقلها الى اللغة المحولية

$$\{[a \cdot b \in c] \wedge [a \wedge b = c]\} \vee$$

— المتنبی . " جاء اخوان فزید "

تحت إشراف: د. محمد عبد الحليم عبد الله

سید ہوئے ۔ ان کے پاس : سید جاء ، ان کے پاس : سید جاء ۔

[ ك ا ب ج د ه ز ح ط ق ف غ ص ي ر ]

— الجمع المذكور : " اقتنى الطلبة كتباً "

ك : ا : ع : هـ : اقتنى : ح : ط : ز : ج : د : طالب : م : ن : و : ي : ك : كتاب :

---

$$[\bigvee_{\alpha \in A} \alpha, \bigwedge_{\beta \in B} \beta] \subseteq \bigwedge_{\beta \in B} [\bigvee_{\alpha \in A} \alpha, \beta]$$

— الجمع المعروف : " المؤمنون اخوة "

اَللّٰهُمَّ : اِنِّىْ مُؤْمِنٌ ، اَلْاِسْمَ . ع . اِسْمَ الْاُخُو . ع .

$\wedge \quad \wedge$

[ا ك هـ ح ل م ن و ز ]

— الاسم المضاف ، الى مضاف اليه معرف : "حسب أخو زيد"

الإضافة هنا بمثابة التعريف . إذ المقدود من : «أخو زيد » هو

ان لزيد اخ واحد فحسب وان هذا الاخ حنسر . فهناك وجـود

ووجدانية لاخي زيد . ك . سم . عا : سم اخو ع ، ك . اف . عا : غ اخو ع ،

الاسماء : سعد بن حمزة . م . ا . ع . س . ا : ف هو س . ع : زيد .

V {ك (سا ، ع) ل (سا) ا هـ [ك (ا، ب، ج، د، هـ) ح (ا، ب، ج، د، هـ)]

ما بالنسبة للضمائر المتحصل منها والمنفصل وكذلك أسماء الإشارة

فمقد تقوم مقام أسماء الإعلام .

ب - أقسام الجملة :

1 - الجملة الخبرية :

— حمله ذات موصول واصله : " جاء من طلبته " ای ان کل من

خلدته جاء .

ك اسـ : عا : سـ طلب ع : ل (سا) : سـ جاء . سـ : اسا .

^ (ك) تـ : عا : ل (عا)

— الجملة الظرفية :

— ظرف المكان : «ذهب زيد الى حيث يريد» . مجال القول

يفترض هنا الاسباب والمكان .

ك اسـ : عا : سـ ذهب الى ع : ل (سا : عا) : سـ يريد ع :

سـ : زيد : عـ : المكان : (ك) تـ : عا : ل (سا : عا) .

— ظرف الزمان : حج زيد قبل أن يموت . مجال القول يقتضى

الانسان والزمان :

ك اسـ : عا : سـ هو الوقت الذى حج فيه ع : ل (عا : عا) : عـ هو الوقت

الذى مات فيه عـ : م اسـ : عا : سـ قبل عـ : عـ : زيد

^ (ك) اسـ : عا : ل (عا : عا) : م اسـ : عا : ل (عا : عا) : عـ

[ك] اسـ : عا : ل (عا : عا) : عـ

— الجملة الاستثنائية : «حضر الطلبة ما خلا المخربين»

ك (سا) : سـ حضر : ل اسـ : سـ طالب . م اسـ : سـ مضرب

^ { [ل اسـ : م اسـ : ك اسـ] ل (سا) : م اسـ : ك اسـ } (سا)

— الجملة المرتبطة بـ « لان » : «تغيب زيد لانه مريض»

لاحظ المنطقة ان العلاقة هنا علاقة سببية بين الجملتين وانها

تم لا بين فردين وانما بين واقعيتين . عميروا الواقعة عن الافراد التى

هى الموجودات الوحيدة في مجال قولنا (8) .

ك اسـ = سـ تغيب : ل اسـ : سـ مريض : [ل اسـ] \* (ح) =

حالة كونه مريضاً ( تشير \* الى الواقعة ) : [ ك (سا) ] \* (ح<sub>2</sub>) =  
 حالة كونه متغيباً م (ح<sub>1</sub> ، ح<sub>2</sub>) : ح<sub>1</sub> سببت ح<sub>2</sub> ، ته زيد  
 $\left\{ \begin{array}{l} \text{[ل (تسا)]} * (ح_1) \text{ } \wedge \text{ [ك (تسا)]} * (ح_2) \text{ } \wedge \text{ م (ح_1 ، ح_2)} \end{array} \right\}$   
 — جملة ذات فعل من افعال القلوب : «ظن انه ناجح» ، تدل  
 «ظن» على وجود واقعة الا انها واقعة خيالية، لذلك نضيف الى السور  
 الوجودى الرمز خ للدلالة على انه خيالى .  
 ك (س ، ح) : سـ ظ ح ؛ [ ل (سا) ] \* (ح) : انه ناجح او حالة  
 كونه ناجحاً . ته : زيد ؛  $\left\{ \begin{array}{l} \text{[ك (تسا)]} * (ح_1) \text{ } \wedge \text{ [ل (تسا)]} * (ح_2) \end{array} \right\}$   
**2 — جمل غير خبرية :**

— حاول المنطقة رد الجمل الامرية والاستفهامية الى جمل خبرية  
 باظهار الامر او السؤال فيها : كأن نصوغ الامر « تأخر ! » :  
 «أمرك ان تتأخر» ، ونصوغ الاستفهام «هل تأخرت ؟» : «أسألك عما  
 اذا تأخرت» ، ونشير هنا الى أن العرب طبقوا هذه الطريقة فى اعراب  
 الجمل الندائية مثال : « يا عبد الله » اذ قدروا فيها فعلاً هو انادى  
 او ادعو .

وارتأى بعض المنطقة أن يدخل عاملاً جديداً لصياغة الاستفهام  
 وهو علامة الاستفهام . مثال : «من الطارق ؟»  
 ك (س) : سـ طارق ؟ ك (س) .

### ثالثاً : تاويل اللغة المحولية

ولكن هذه اللغة المحولية بعباراتها السليمة لا تزيد عن كونها  
 تراكيب سليمة انما خالية من المضمون ، ولا فائدة من ورائها بالنسبة  
 للمتعبير اللسانية التى تنقلها الا اذا اكتسبت دلالة ، ولا تكسب هذه  
 الدلالة الا اذا وضعت لها قواعد ، وهذه المرة ، قواعد تأويلية .

#### ١ — الدلالة المصدقية وقواعد التقويم المصدقى

##### 1 — الدلالة المصدقية

راينا ان اللغة المحولية رموز شخصية ومحمولية وإن الرمز  
 الشخصى يشير الى الشخص والرمز المحمولى الى مجموعة من

الأشخاص إذا كان صفة وإلى علاقة تقوم بينهم إذا تعدد الأشخاص المرتبطون بها . ويمكن اعتبار هذه الحالة الرمزية دلالة ، ونلاحظ أنها دلالة أشخاص تصفهم أو تربط بينهم .

لذا نقول عنها أنها دلالة ماصدقية . أي دلالة تقوم على ماصدق أسماء العلم و ماصدق الصفات و ماصدق العلاقات .

فلابد إذن لتأويل اللغة المحولية تأويلا ماصدقيا **أ** ، ( ا مضغفة ) من مجال غير فارغ من الأشخاص **ج** ( ج مضغفة ) ترتبط به رموز اللغة المحولية ارتباطا يسند لكل منها قيمة ماصدقيه معينة ، نرمر إلى هذا الإسناد القيمي ب **ق** ( ق مضغفة ) ، فما هي أدن قواعد التقويم الماصدقي للعبارات المحولية إذا اعتمدنا التأويل **أ** : **ج** ، **ق** ؟

## 2 - قواعد التقويم الماصدقي :

( ا ) - تصدق **ق** ( **ق** ) ، ... ، **ق** ( **ق** ) إذا كانت وفقط إذا كانت ( **ق** ) ، ... ، **ق** ( **ق** ) حيث  $n \leq 1$

( ب ) - تصدق **ق** ( **ب** ) إذا صدقت **ق** ( **ب** ) أو صدقت على الأقل **ق** ( **ب** ) حيث لا تختلف **ق** عن **ق** إلا في القيمة التي تسندها إلى **ق** ( أي لا تختلف عنها قط في القيم التي تسندها إلى الحروف الأخرى )

- تصدق **ق** ( **ب** ) ، إذا صدقت **ق** ( **ب** ) و صدقت كل **ق** ( **ب** ) حيث لا تختلف **ق** عن **ق** إلا في القيمة التي تسندها إلى **ق** .

( ج ) - تصدق **ق** ( **ب** ) إذا كذبت **ق** ( **ب** )

- تصدق **ق** ( **ب** ) إذا صدقت **ق** ( **ب** ) ، **ق** ( **ب** ) حيث أن **ق** ( **ب** ) و **ق** ( **ب** ) في مجموعة الصدق والكذب كما تحدده جداول الصدق للروابط الاثنائية (10)

(9) تصطلع على اختزال التركيب « إذا ونقط إذا » في شكل « إذا » كما هو الشأن في اللسن الأجنبية : الفرنسية . ssi والانجليزية iff والالمانية gdw  
(10) يصدق الوصل إنما صدق الموصولان معا والفصل إنما صدق منقول واحد على الآخر والشرط إنما كذب فعل الشرط أو صدق جوابه والشرط إنما صدق فعل الشرط وجوابه معا أو كذبا معا .

لنعالج بعض الامثلة في اطار هذا التأويل الماصدق :

x « قام زيد » : ك ( ٣ )

إذا كان ج في التأويل أ هو عالم الاشخاص فإن ق ( ٣ ) عنصر

ينتمى الى هذا العالم أى شخص من الاشخاص وق (ك): مجموعة  
الاشخاص الذين يصدق في حقهم القيام أى أن ق (ك) عنصر من مجموعة  
ج أى من مجموعة تطبيقات مجموعة الاشخاص على مجموعة القيم  
الصدقية .

وتصدق الصيغة ك ( ٣ ) في التأويل أ إذا كان وفقط إذا كان  
زيد شخصا من الاشخاص القائمين أى يشمل ما صدق المحمول .

فالدلالة اذن بالنسبة للمعبارة « قام زيد » هو أن يكون زيد واحدا  
من القائمين .

xx « حضر الطلبة » :  $\Delta$  [ ك (س) ل (س) ]

فكل من ق (ك) (س) وق (ل) (س) في التأويل أ عنصر من  
مجموعة  $\Delta$  ويشترط لصدق الصيغة  $\Delta$  [ ك (س) ل (س) ]  
أن تكون كل عناصر ماصدق ك عناصر في ماصدق ل :

أى ان الدلالة بالنسبة للمعبارة « حضر الطلبة » أن يكون الطلبة  
جميعا من بين الحاضرين .

يتبين اذن أن الدلالة بالنسبة لنسقتنا المحمولى هى اسناد  
ماصدقات للحروف المحمولية وتقويم العبارات بناء على هذه الاسنادات  
الماصدقية .

وبالتالى يكون تأويلنا لعبارات اللسان الطبيعية المنقولة الى  
اللغة المحمولية تأويلا ماصدقيا ، والسؤال الذى يطرح نفسه علينا  
الآن هو الى أى حد يمكن ارجاع الدلالة اللسانية الى الدلالة الماصدقية؟  
وهل تقوم دلالة الجمل الطبيعية فقط في الدولوات الخارجية التى تحملها  
وصفاتها والعلاقات القائمة بينها ؟

لننظر في العبارات المتداولة التالية :

× « يظن زيد أنه بطل »

عندما نفوه بهذه العبارة فأننا لا نستنتج منها بطولية زيد وأنما اعتقاده فيها ، ومعنى هذا أن زيدا يسلم بعالم غير عالم الواقع ، فقد يكون زيد جبانا أى «زيد بطل» كاذبة في الواقع لكنها في عالم زيد الاعتقادي صادقة ، هذا العالم الذى يتطابق فيه زيد والشخص البطل.

×× « من الواجب أن تكون الرباط هي الرباط »

ما من شك في أن هذه العبارة صادقة باستمرار والرباط هي عاصمة المغرب لكن إذا استبدلنا الموقع الثانى للرباط بعاصمة المغرب فإن العبارة الناتجة « من الواجب أن تكون الرباط عاصمة المغرب » كاذبة فقد نتصور عالما لا تكون فيه الرباط عاصمة للمغرب .

××× « عمرو زميل سابق لزيد »

لنفرض أن زيدا هو الآن استاذ الفلسفة بحيث أن ماصدق زميل زيد هو ذاته ما صدق استاذ الفلسفة ، ولنفرض أن ماصدق « زميل سابق لزيد » : مجموعة من الأشخاص يندرج تحتها عمرو فإذا استبدلنا «زميل زيد» في العبارة : «زميل سابق لزيد» بالتركيب الذى له نفس الماصدق وهو «استاذ الفلسفة» فأننا نحصل على العبارة التالية : «استاذ الفلسفة السابق» ، لكن ماصدق هذه العبارة لا يتضمن عمروا ، فقد يكون زيد زاول مهنة أخرى قبل تدريس الفلسفة وكان عمرو زميله فيها .

وكل هذه الامثلة تبين عدم كفاءة المعيار الماصدق في التقويم الدلالى للعبارات وأن ما صدقها لا يتعلق فقط بما صدق أجزاءها

## ب - الدلالة المفهومية وقواعد التقويم المفهومى

### 1 - الدلالة المفهومية

حاول كثير من المناطقة منذ مطلع الستينات (11) أن يضعوا أسس تأويل يختلف عن التأويل الماصدق أى تأويل لا يتقيد بالمعالم

(11) Kanger, Kripke, Davidson, Hintikka, Scott, Montague Lewis, Creswell , Thomason.



الخارجى الذى يحتوى الافراد والوقائع انما يتعداه الى عالم آخر هو عالم الامكان .

وسوف تصبح العبارة الدالة دالة بالنسبة للعالم الواقعى وحده بل دالة أيضا بالنسبة لكل العوالم الممكنة .

لو قلنا مثلا « الانسان ناطق » فهذا القول يفيد فى الاطار الدلالى الجديد انه بالضرورة اذا كان ع عالما ممكنا فان الانسان ناطق فيه اى :  
ع (ع عالم ممكن  $\subset$  الانسان ناطق فى ع ) .

اما قولنا « الانسان كاتب » فيعنى انه من الممكن أن يكون الانسان كاتباً اى ع (ع عالم ممكن  $\supset$  الانسان كاتب فى ع ) .

وانطلق علم التأويل الجديد من نظرية كارناب فى التمييز بين الماصدق والمفهوم (12) .

فلو قلنا مثلا «كنت هنا البارحة» ، فهذه القولة ترتبط بمقام اى تقتضى لتصديقها أو تكذيبها تحديد قائلها وزمانها ومكانها بابعاده الثلاثة ومقتضيات حالية أخرى ...

فهناك اذن ارتباط بين ماصدق العبارة **ب** وبين السياق أو العالم الذى وردت فيه بحيث لا تصدق ولا تكذب الا اذا عرف هذا العالم ، وهذا التقيد لما صدق مص العبارة بالعالم هو الذى يشكل مفهوم **ب** ، العبارة **ب** ، بالنسبة لهذا العالم بحيث **ب** (ب) (ع) = مص **ب** (ب) ، ع) فالمفهوم اذن دالة مجال تعريفها مجموعة العوالم الممكنة **ع** (ع مضغفة) ومجال تقويمها الماصدق فى هذه العوالم .

وعليه فمفهوم الحرف الشخصى دالة ذات مجال تعريفى هو **ع** وذات مجال تقويمى هو مجموعة الاشخاص **ج** (ج مضغفة) وهى التصور الشخصى .

ومفهوم الرمز المحمول دالة من **ع** الى مجموعة جزئية من **ج** اى عنصر من ( **ج** ) **ع** وهى الخاصية .

(12) نستعمل « مفهوم » لترجم بها اللفظة الاجنبية « intension » المقابلة

extension ( = الماصدق ) ، انظر Carnap, Meaning and Necessity, The University of Chicago Press.

ومفهوم العبارة دالة من  $\hat{E}$  الى مجموعة القيم الصدقية اى  
عنصر من  $\{0, 1\} = 2$  . بمثابة الكذب و 1 بمثابة  
الصدق) وهى القضية .

وهن هنا يتبين أن الاسناد القيمي فى التأويل المفهومى غيره نفسى  
التأويل الماصدقى ، فاذا كان الاسناد القيمي فى هذا الاخير دالة تدخل  
على الرمز الشخصى او المحمولى وحده فانها فى التأويل المفهومى تدخل  
على هذا او ذاك وعلى العالم الممكن الذى يقترن بهما .

وعليه فالاسناد القيمي بالنسبة لحرف محمولى ك لن يكون فقط  
مجموعة عناصر مرتبة من مجال الاشخاص اى ن =  $\langle \dots, \dots \rangle$   
كما هو الامر فى الاسناد الماصدقى لذات المحمول وانما عناصر مرتبة من  
مجموعة الاشخاص والعوالم اى ن + 1 =  $\langle \dots, \dots, \dots, \dots \rangle$   
حيث  $\dots, \dots, \dots$  سن و ع و ع و ع .

واذا كانت بنية التأويل الماصدقى تتركب من عنصرين ع و ق  
فان بنية التأويل المفهومى تعتمد اكثر من عنصرين :

ا - مجموعة العوالم الممكنة ، ع :  $\{1ع, \dots, \dots, \dots\}$

ب - علاقة الامكان النسبى ( او التماكن ان صح هذا الاشتقاق)  
J ( ل مضعفة ومفتوحة) مجال تعريفها ع ، وهى علاقة اثنائية  
انعكاسية وقد تكون متعددة بل وتناظرية بحسب الانساق المفهومية .  
فاذا دلت ع<sub>1</sub> و ع<sub>2</sub> على عالمين فان العلاقة بينها : ع<sub>1</sub> J ع<sub>2</sub> تدل على  
أن ع<sub>2</sub> ممكن بالنسبة لـ ع<sub>1</sub> او «متماكن» معه بحيث كلما صدقت عبارة  
فى ع<sub>2</sub> تكون ممكنة ايضا بالنسبة لـ ع<sub>1</sub> .

ج - مجموعة الاشخاص : ج :  $\{1ج, \dots, \dots, \dots\}$

د - الاسناد القيمي : ق

فهذه البنية رباعية :  $\langle \dots, \dots, \dots, \dots \rangle$

وتأتى قواعد التقويم المفهومى للعبارات المحمولة كما يلى :

2 - قواعد التقويم المفهومى :

أ - تصدق ق (لكن) (هم ... ٠ ٠ ٠ سن) ، عء) اما صدقت

(ق) (هم) ، ... ، ق (سن) ، عء) < دق (لكن)

ب - تصدق ق (لبي ، عء) اما صدقت ق (ب ، عء) او  
صدقت على الاقل ق (ب ، عء) حيث لا تختلف ق عن ق الا فى القيمة  
التي تسندها الى الله (اى لا تختلف عنها قط فى القيم التي تسندها  
الى الحروف الاخرى)

- تصدق ق (ب ، عء) اذا صدقت ق (ب ، عء) وصدقت  
كل ق (ب ، عء) حيث لا تختلف ق عن ق الا فى القيمة التي تسندها  
الى الله

ج - تصدق ق (ب ، عء) اما كذبت ق (ب ، عء)

- تصدق ق (ب \* ج ، عء) اما صدقت

ب ق (ب ، عء) ، ق (ج ، عء) حيث ان \* تطبيق ق (ب ، عء)  
و ق (ج ، عء) فى مجموعة القيم الصدقية كما تحدده جداول  
الصدق للروابط الاثنائية .

ومن الممكن اضافة قاعدتى الوجوب ( ورمزه □ ) والامكان  
ورمزه ◇ )

د - تصدق ق (□ ب ، عء) اما صدقت ق (ب ، عء)  
بالنسبة لاي عالم كان: عى د ع بحيث عء ل عى

- تصدق ق (ب ، عء) اما صدقتا ق (ب ، عء) بالنسبة لعالم  
واحد على الاقل: ع د ع بحيث عء ل عى

يتبين من التأويل المفهومى ! ومن القواعد التقويمية المبنية عليه  
ان مجال الاشخاص يظل واحدا فيها بحيث تكون القيمة الاستادية  
للحرف الشخصى عنصرا من هذا المجال اى ق (هم) = ج و ج د ج

ولكن من الممكن تأسيس تأويل نعتيد فيه مجالات من الاشخاص  
تختلف باختلاف العوالم بحيث يقترون كل عالم بمجموعة جزئية من مجال  
الاشخاص

ويصير بهذا نموذج هذا التأويل **إ** بنية خماسية **ع ، ل ، ج ، ف ، ق** تقوم فيه **ف** بإسناد مجموعة من أشخاص المجال التي كل عالم أي أن **ف** دالة تدخل على عنصر من مجموعة العوالم وتتقوم بمجموعة جزئية **ج** من مجال الأشخاص أي **ف** (ع) = **ج** (13) .

### 3 - نموذج للصياغة الصورية وتأويلها المفهومي :

قام مونتيفيو (14) - احساساً منه بضرورة التأويل المفهومي للغة الطبيعية بتأسيس نظرية لغوية جديدة وتخريجها تخريجاً رياضياً عالياً لا سبيل لغير الاختصاصيين إلى ادراكه ، وذلك في مقالات شهيرة منها « اللغة الإنجليزية من حيث هي لغة صورية » و « النحو الكلي » و « معالجة خاصة للأسوار في الإنجليزية العادية » .

يأسف مونتيفيو للرأي الشائع والقائل بتمايز اللغة الصورية واللغة الطبيعية ، ويرى أن الوسائل العلمية لمعالجتهما واحدة ، وأن اللسان المنطوق في نحوه وتأويله قابل كل القبول لمعالجة رياضية لا تختلف في دقتها وصوريتها عما هو عليه الأمر بالنسبة للغة المحوئية ، وينتهي إلى أن ما تقوم به المدرسة التوليدية ( مع شومسكي ) مشكوك في مستقبله العلمي .

ونعتقد - نحن - أن الصياغة الصورية المنسقة للعبارات اللسانية وتأويلها المفهومي ابتدأت مع مونتيفيو ، لذا نريد هنا أن نمثل عليها بمثالين نراعى فيهما المقتضيات النحوية للغة العربية ، والمثالان هما :

ث<sub>1</sub> : « نطق زيد » ، ث<sub>2</sub> : « طالع زيد كتاباً » .

تقتضى طريقة مونتيفيو مراحل مختلفة :

- المرحلة الأولى : صياغة البنية النحوية ، تعتمد هذه البنية :

(13) نكتفي بهذا القدر ولا ندخل في تفاصيل القواعد المفهومية التي يمكن وضعها في هذا الإطار التأويلي الجديد . انظر Hughes & Cresswell.

Modal Logic, Methuen and CO LTD, 1973

(14) نشأت حول Montague مدرسة Los Angeles Kaplan, Kaplan, Kamp, Cocchiarella..... من أمثلتها

— مقولتين أصليتين : مقولة القضية الحملية ( اى العبارة الصادقة او الكاذبة ) ص ، ومقولة العبارة الشخصية ( اى ذات مدلول وجودى ) ، ش .

— مقولات فرعية : مقولات نحوية مشتقة من المقولتين الاصليتين ص و ش .

— مقولة الفعل اللازم ، **ل** ( ل مضعفة ) التى تقترن بالمقولة الاصلية الشخصية ش لتكون المقولة الاصلية القضويه ص ونكتبها : **ل** هي ص/ش .

— مقولة الحد **ح** ، التى تقترن بمقولة الفعل اللازم الفرعية **ل** ، لتكون ص ونكتبها **ح** هي ص/**ل** ( ح مضعفة )

— مقولة الفعل المعتدى ، **م** ( بتضعيف م ) التى تقترن بالمقولة الفرعية **ح** لتكون **ل** ونكتبها : **م** هي **ل/ح** .

— مقولة اسم الجنس ، **ن** ( بتضعيف ن ) التى تقترن هي ايضا ب « ش » لتكون « ص » ، ونميزها عن المقولة **ل** التى تعمل مثل عملها وأن كانت تختلف عنها دلالة بأن نفصل ش التى تقترن بها عن ص التى تنتج عن هذا الاقتران بخطين مهائلين فنكتب : **ن** هي ص//ش. وانطلاقا من ش و ثو يمكننا ان نعين العبارات الاساسية **س** ( بتضعيف س ) التى تنتمى لكل مقولة **و** ( بتضعيف و ) من المقولات الفرعية المذكورة **س** :

**سل** : { نطق } . **سج** : { زيد ، هو } ؛  
**سم** : { طالع } ؛ **سن** : { كتاب }

ومن هذه الالفاظ الاساسية ننشئ مجموعة من التراكيب تدرج تحت هذه المقولة **و** او تلك فنكتب **ور** ، الا ان هذه التراكيب المختلفة تحددتها تمام التحديد قواعد نحوية . ( ر ضعفة )

وتنص كل قاعدة منها على الانتماء المسمى لكل التراكيب ، وكيفية اقترانها ، والتركيب الناتج عن هذا الاقتران ، بحيث اذا رمزنا الى التركيب ب ، **و** ، والى المقولات ب ، **و** ، **وى** ، ... ( بتضعيف و

وى ( والى الاقتران ب د (د. مضعقة ) فان الصورة العامة للقاعدة النحوية عند مونتيغيو تأتى هكذا :

إذا أدرواى وب درى فان د ( ا ، ب ) **درو** .

وعلى مثل هذه الصورة نصوغ القواعد النحوية التى نحتاج اليها :

قائ : إذا أدرواى فان د (ا) **درو** حيث ان د<sub>1</sub> (ا) هى ال «أ» ( أى اسم جنس معرف ) .

قائ : إذا أدرواى وب درى فان د<sub>2</sub> ( ا ، ب ) **درو** حيث ان د<sub>2</sub> ( ا ، ب ) هى ب<sub>1</sub>

قائ : إذا أدرواى وب درى فان د<sub>3</sub> ( ا ، ب ) **درو** حيث ان د<sub>3</sub> ( ا ، ب ) هى أ<sub>1</sub> (بالنصب) إذا لم تكن ب ضميرا أو أه إذا كانت ب ضميرا ( = هو )

قائ : إذا أدرواى وب درى ( بتضعيف ص ) فان د<sub>4</sub> ( ا ، ب ) **درو** ص ، حيث ان د<sub>4</sub> ( ا ، ب ) هى ب<sub>1</sub> ج<sub>1</sub> إذا كانت هى هى ب ج و ب هى ب<sub>1</sub> ب<sub>2</sub> وأبدلت ب<sub>2</sub> ب<sub>1</sub> ( ا منصوبة )

x نحصل على ث<sub>1</sub> بتطبيق قائ<sub>2</sub> ،

د<sub>2</sub> ( زيد ، نطق ) = نطق زيد

x x نحصل على ث<sub>2</sub> بتطبيق قائ<sub>1</sub> قائ<sub>3</sub> قائ<sub>4</sub> على التوالى ،

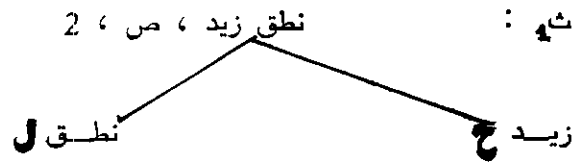
د<sub>1</sub> ( كتاب ) = الكتاب

د<sub>3</sub> ( طالع هو ) = طالع

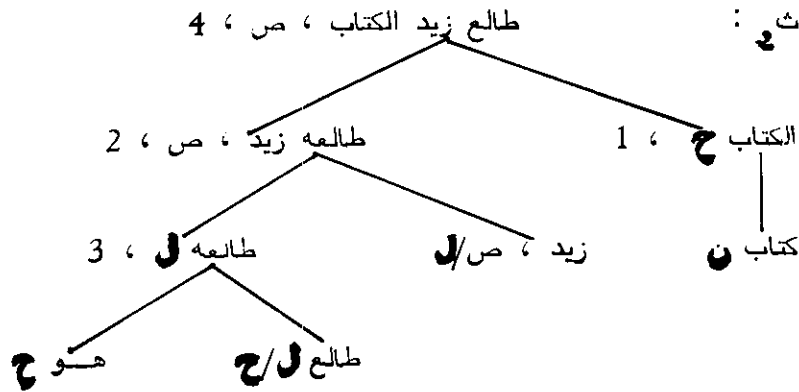
د<sub>2</sub> ( زيد ، طالع ) = طالع زيد

د<sub>4</sub> ( الكتاب ، طالع زيد ) = طالع زيد الكتاب .

وتشجير ث<sub>1</sub> و ث<sub>2</sub> هو كما يلى :



شكل (2)



شكل (3)

وقد أصبحت كل عبارة ، في التشجيرين ، بالمقولة النحوية التى تنتمى إليها وبالقاعدة التى تتكون بها إذا كانت مركبة كما سجلت فى نهاية الفرعين المشتقين عنها العبارتان اللتان تحصل منهما .

المرحلة الثانية : يضع مونتغيو اللغة المنطقية المحمولىة كما يضع قواعد التأويل المفهومى ابتداء من قواعد النحوية (15) .

وينطلق بناء هذه اللغة المحمولىة المفهومية من مقولات مفهومية أصيلة وهى الاصناف الدلالية (16) كما ينطلق بناء اللغة الطبيعية من مقولات نحوية أصلية وأخرى فرعية .

وهذه الاصناف الدلالية الأصلية هى :

(15) لن ندخل هنا فى تفاصيل بناء هذه اللغة وتأويلها ، انظر لذلك؛

Formal Philosophy ed. Thomason. R.H., 1974. pp. 256-260 Types (16)

ش : صنف الاشخاص

ص : صنف القيم الصديقة

م : صنف ثالث يتحدد به المعنى ( وهو هنا صنف العوالم الممكنة )  
وتتحدد مجموعة الاصناف الدلالية ، صد ، كما يأتى .

أ - ش ، ص ➔ صد

ب - اذا أ ، ب ➔ صد فان < أ ، ب > ➔ صد حيث إن الاشياء ذات الصنف < أ ، ب > دوال من أ الى ب أى دوال مجال تعريفها الاشياء التى من صنف أ و مجال تقويمها الاشياء ذات الصنف ب .

ج - اذا أ ➔ صد فان < م ، أ > ➔ صد حيث إن اشياء الصنف < م ، أ > دوال تنطلق من اشياء الصنف م وتتقوم بأشياء الصنف أ ، ويشكل الصنف < م ، أ > معانى أو مفاهيم الاشياء التى من الصنف أ

وهكذا فان الصنف < م ، ش > يقابل الدالة التى تعين موجودا أو شخصا واحدا بالنسبة لكل عالم ممكن ، فأشياء هذا الصنف هى التصورات الشخصية أو مفاهيم اسماء العلم ، كما أن الصنف < م ، ص > هو صنف القضايا .

والصنف < م ، > < م ، ش > ، ص > هو صنف خصائص التصورات الشخصية وصنف خصائص الخصائص هو < م ، > < م ، > < م ، ش > ، ص > ، ص > وهكذا ...

المرحلة الثالثة : يقوم مونتيغيو بنقل عبارات اللسان الطبيعى الهبنى الآن بناء نحويا ( كما فعلنا بالنسبة لـ ش و ش ) الى عبارات اللغة المفهومية حتى يتأتى تطبيق التأويل المفهومى عليها . فكيف اذن ننقل ش و ش الى اللغة المفهومية ؟

يقتضى هذا النقل خطوات ثلاث :

x ننقل المقولات النحوية لـ ش ، ش الى الاصناف الدلالية ، وهذا النقل بمثابة تطبيق ط للمقولات النحوية فى الاصناف الدلالية بحيث

ط ( ش ) = ش



ط ( ص ) = ص

$$\langle (u) \rangle^p, \langle (v) \rangle^p \rangle = (v/u)^p = (v/u)^p$$

×× ننقل عبارات كل مقولة نحوية و إلى عبارات مفهومية من  
الصف ط ( و ) ، وهذا النقل بدوره تطبيق ، ه ، منطلقه هو  
مجموعة العبارات الأساسية ( وهى بالضبط هنا « نطق » ، « طالع » ،  
« كتاب » ) وقيمة ثوابت مفهومية من الصف المقابل للمقولة النحوية  
التي تندرج تحتها هذه العبارات ، بحيث إذا كانت و مقولة نحوية و أ  
عبارة أساسية تدخل تحتها فإن ه (أ) ثابت من الصف ط ( و ) وقد  
نصطح على كتابته بوضع فتحة على العبارة لاساسية أى أ .

أما العبارات الأساسية الأخرى وهي «زيد» و «هو» و «الكتاب» فقد نقلت إلى اللغة المفهومية نقلاً خاصاً يعكس الدور المنطقي الخاص الذي تقوم به ، فما هو هذا النقل ؟

يرى مونتيغيو أن الحد سواء كان اسم جنس أو اسم علم يعبر عن خاصية تندرج تحتها خصائص المفهوم أو التصور الشخصى أى

خاصية من الدرجة الثانية أي من الصنف المفهومي «د» ، «د» ،  
«د» ، «ش» ، «ص» ، «ص» أو بتعبير آخر الحد هو مجموعة خصائص  
المفهوم الشخصي .

وعليه فإن المنقل الخاص لحد « زيد » هو ك { ٨ ز } حيث  
 ٨ ز ( باخخال شدة مقلوية على ز ) تدل على المفهوم الشخصى لزيد  
 وك على خاصية و ك ( بوضع ضمة أفقية عليه ) على مجموعة كل  
 هذه الخصائص التى يتصف بها التصور الشخصى لزيد ، كما ان « هو »  
 تنتقل الى ك { بـ } حيث بـ ( بوضع نقطة تحت بـ ) متغير يرمز  
 الى التصور الشخصى ويتم نقل « الكتاب » الى ك { ٧ بـ } ( كتاب  
 بـ ) = بـ = ٨ ك { بـ } ( وتدل الفتحة الموضوعة على « كتاب »  
 على الثابت المفهومى الذى نقل اسم الجنس « كتاب » ) ، وتفيد هذه



ونعلم أن لزيد ترجمة خاصة هي ك { ٨ ز }  
 ونحصل في مقابل ش على العبارة المفهومية التالية :  
 ك { ٨ ز } ( ٨ نطق )

وتفيد هذه الصيغة أن خاصية النطق هي إحدى الخصائص التي  
 يجمع بينها التصور الشخصي لزيد .

×× نقل ش : « طالع زيد الكتاب »  
 ننقل هذا المثال بتطبيق القواعد النقلية ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ على  
 التوالى :

١ : طالع ( ٨ هو )

٢ : زيد ( ٨ طالع ( ٨ هو ) )

٣ : الكتاب ( ٨ زيد ( ٨ طالع ( ٨ هو ) ) )

ونعلم أن للعبارات : « الكتاب » و « زيد » و « هو » ترجمات  
 خاصة هي على التوالى ك { ٨ } [ ٨ كتاب (ب) = ب = ع ]  
 ٨ ك { ع } و ك { ٨ ز } وأخيرا ك { ب } .  
 والآن نكتب الصياغة المفهومية التامة لـ ش :

ك { ٨ } [ ٨ كتاب (ب) = ب = ع ] ٨ ك { ع } ( ٨ ك { ٨ ز }  
 ٨ طالع ( ٨ ك { ع } ) )

المرحلة الرابعة : لكي يصبح هذا النقل المفهومي للمثالين ش و  
 ش تأويلا لهما يمكن أن نشترط بعض الشروط لصدق هذا النقل ولصحة  
 الاستنتاجات التي قد تكون منطلقا لها .

من هذه الشروط أن نعتبر مجموعة الخصائص لتصور شخص هي  
 الشخص ذاته وكل خاصية من هذه الخصائص هي صفة نستدعها إلى  
 الشخص فيكون الفعل اللازم بمثابة خاصية تنطبق على الشخص زيد  
 أى ل { ش }

أما الفعل المتعدي فعلاقة مفهومية م تربط بين شخصين أي

$$\cdot \{x, -\}_n$$

كما أن التركيب « طالعه زيد » خاصة من خصائص الكتاب

وعليه نصوغ هذه الخاصية :  $\hat{e}_m \in \{s, e\}$ .

ومادام الكتاب خاصية الخصائص كلها فاتنا نكتب : ن

$$\cdot \left\{ \left\{ \begin{matrix} \cdot \\ \cdot \end{matrix} \right\} \cdot - \right\}$$

وقد لا نكفى بهذا ونريد ان نستجيب لمصادقية أسماء الجنس والانفال اللازمة والمتعدية فنعتبر خصائص التصورات الشخصية محمولات واحدة أو مجموعات ينتمى إليها الأشخاص والعلاقات الفهمية محمولات اثنائية أو مجموعات من الأزواج المرتبة .

وللدلالة على هذا التحويل الماصدق لثوابت اللغة المفهومية نضع نجمة \* تحت الثابت المفهومى ، وبهذا نحصل على الصيغ النهائية للمثالين ثم وث :

ش : نطق\* ( ز ) .

ش : ٧ Δ { [ كتاب \* (ب) = س = ع ] ٨ طالع \* (ز ع) }

وهكذا يتم تأويل المثالين عن طريق العبارتين المفهوميتين اللتين  
نقلا اليهما .

بعد بياننا للصياغة الحمولية للغة وتأويلها المصدقى والمفهومي  
كما وضع أسسها المناطقية والمهتمون منهم بأمور اللغة فما هسى  
الاستنتاجات العامة التي نخرج بها ؟

نعم لقد اثبتنا الصياغة المحولية كومسيلة لوصف العبارات المنطوقة فهل معنى هذا اننا نقصد ان اللغة المحولية في شكلها الحالي هي النموذج الامثل لهذا الوصف اللساني ؟

ما من شك أن الصعوبات التي تعترض سبيل الصياغة المنطقية غير قليلة نذكر منها :

: التحليل المنطقي للعبارة اللغوية غير محدد ،

نقصد أن العلاقة التي تقوم بين العبارة اللسانية والعبارة المحمولية ليست علاقه واحد بواحد أى علاقة تقابلية .

فقد تسند لعبارة طبيعية واحدة ، سواء تعددت معانيها أو لم تتمدد ، صيغ محمولية كثيرة .

— ومن جهة أخرى فقد نؤدى صيغة محمولية واحدة بتعبيرات لسانية متعددة .

وعليه فالعلاقة القائمة بين اللغة الطبيعية والمحمولية علاقة كثر بكثير ( أى بتعبير رياضى ليست دالة ) .

ولم توضع الى حد الآن قواعد محددة وقابلة لنقل اللغة الطبيعية الى النسق المنطقي باستثناء المحاولات الجزئية لمونتيفيو والموفقه الى حد بعيد . ويرى بعضهم أنه من المستحيل وضع مثل هذه القواعد متعللا بالتباس اللغة واضطرابها وتعقدها وارتباطها بالسياق .

: الاختلاف عميق بين النسق المحمولى والنسق اللسانى ،

وأوجه الاختلاف متعددة انما نذكر بعضها على سبيل المثال .

من الادوات التي نركب بها الجمل واو العطف . فهذا الواو فى اللغة يقابل رمز الوصل فى حساب المحمولات كأن نقول « قام زيد وعمرو » أى (ك) (تـ)  $\wedge$  ك (تـ) الا أن الوصل يتمتع بخصائص رياضية لا تماثلها الا الخصائص المناقضة للعطف .

— خاصية تساوى القوة : فيمكن ان نكتب فى اللغة المحمولية

(ك) (تـ)  $\wedge$  ك (تـ) أى « قام زيد وقام زيد » واذا صغنا هذا فى تعبير اسلم نقول « قام زيد وزيد » : الشئ الذى يتبادر معه الى الذهن أن زيدا هنا تدل على شخصين مختلفين يعرفهما السامع وهذا ما لا يتفق مع التأويل المنطقي .

— خاصية التبديل : ثم اذا قلنا « قام زيد وخرج » فان السواو

هنا يفيد الترتيب الذى لا يعمل به الوصل المنطقي ، فمن الممكن أن نكتب

(ل (س) ٨ ك (س) ) او بتعبير اللسان «خرج زيد وقام» اى جملة غير مفيدة .

— رد الروابط الى رابط منع الوصل : ثم ان الوصل اذا اجتمع مع التثني او (منع الوصل) يمكن ان يعبر عن كل ادوات الربط الاخرى بينما صيغة ليس ... ولا ... (اولا ... ولا ... وما) التى تقابلها يستحيل ان تعبر عن « ثم » و «ف» وغيرها من ادوات تركيب الجمل العربية .

واذا لم تكن الجمل المنطوقة متوفر التعبير عنها كلها فى لغتنا المحولية فكذلك الصيغ المحولية ، منها ما لا يمكن ايجاد عبارات لسانية مقابلة لها مثل ذلك :

ك (س) و  $\sqrt{\text{ل (ع ، ف) و م (س ، ع)}}$  وذلك لانها تحتوى متغيرات شخصية مطلقة . واللغة لا تعرف الا المتغيرات الشخصية المقيدة بسور .

ولكن بالرغم من هذه العقبات ومن صعوبة تجاوزها بالوسائل المنطقية المتوفرة ، فان الصياغة الصورية للعبارات اللغوية اطلعتنا على خصائص ما كنا لتبينها لولا هذه الصياغة ونجملها فى النقاط التالية وهى :

— لا تمايز فى البنية المحولية للجملة اللسانية بين بنيتها النحوية وبنيتها الدلالية .

— لا تمايز فى البنية المحولية العميقة بين أقسام الكلمة : الاسم والفعل والصفة .

— لا تقابل ضرورى فى البنية المحولية بين محمولات الصياغة الصورية وبين الوحدات اللفظية للجملة .

— بنيتنا العميقة أكثر تجردا من البنية النحوية التوليدية وأعمق منها .

وهذه النقطة الاخيرة تجعلنا نقسم عن أسباب هذا الاختلاف بين التصور المنطقى للبنية العميقة والتصور التوليدى لها ؟

## رابعاً : المنطق وعلم اللسان

### 1- المنطق والنحو التوليدي

نعتقد أن شومسكى لم يستفد من المنطق على مستوى الواتعة اللسانية نفسها قدر استفادته الصريحة منه على مستوى بناء النظرية العامة للبنية اللغوية .

فنجِد عنده مستويين :

— مستوى تركيب بنى العبارات من عناصرها ، ويتم هذا التركيب عن طريق قواعد مطلقة لا تقتيد بالسياق وأخرى مقيدة به .

— مستوى تركيب الجمل فيها بيها واشتقاق بعضها من بعض عن طريق قواعد تحويلية ( مثال تحويل صيغة الفاعل الى صيغة المفعول ) .

وهذان المستويان لا يختلفان عما رأينا : فالمستوى الاول بمثابة التركيب المنطقي والثاني بمنزلة الاستدلال المنطقي .

وتأثير المنطق على النظرية العامة عند شومسكى لا يقف عند حد البنية النحوية للمنطق بل يتعداها الى البنية التأويلية .

انه يستعمل نفس الطريقة المتبعة في المنطق لتقويم العبارات المركبة انطلاقاً من القيم المسندة الى عناصرها : وهو تطبيق لما يعرف بـ الارتباط القيمي .

فشومسكى يطبق نفس المبدأ على مستوى معنى العبارة فيبنى هذا المعنى او هذه القراءة التأويلية كما يقول انطلاقاً من المعانى الجزئية أو القراءات التأويلية لعناصرها عن طريق ما أسماه بقواعد الإسقاط (17) فبالنسبة لدلالة العبارة « طالب مجتهد » تقوم القاعدة بتركيب مجموعتين من السمات الدلالية . مجموعة «طالب» ومجموعة «مجتهد» فتسند اتحادهما الى العقدة الشجرية التى تشرف عليها أى أن قواعد الإسقاط تبتدىء من لتوالية النهائية على اطراف الفروع للرسم الشجرى وتترج صاعدة في التقويم الدلالي للعقد الى ان تنتهى الى اصل الشجرة المقلوبة وهى الجملة أو المسلمة .

بل انا نعتقد أن الانفصال الذى حققه شومسكى عن البنيوية اللسانية الأمريكية يرجع الفضل فيه بالضبط الى المنطق الرياضى والوسائل التقنية التى مكنه منها حتى يصوغ نموذج التحويلي صياغة دقيقة .

اما على مستوى الظاهرة اللسانية ذاتها فقد قصر شومسكى وأبخر حق المنطق فيها بل تعمد طى المنطق ان لم نقل تليسه وهنا بيت القصيد : لان كثيرا من البنى العميقة النحوية التى وضعها شومسكى لبعض الجمل لا تختلف عن البنى العميقة المنطقية .

ودون ان ندخل فى تفاصيل التحليل القديم والمنطقى للقولية الشهيرة وموقف شومسكى منها وهى : « خلق الاله الباطن العالم الظاهر » (18) التى تنحل الى « خلق الاله العالم » و « الاله الباطن » و « العالم الظاهر » ، يمكن أخذ مثال آخر شبيه بالأمثلة التى ترد فى النحو التوليدي :

« الطالب الذى القى العرض ، طالع كتابا ألفه الاستاذ »

فتحليل اللسانى لهذه الجملة ورسمه الشجرى لها لا يختلفان فى شئ، عن تحليل المنطق لها اذ تصبح الجملة هى : ان الطالب ( أ ) - الطالب القى العرض (ب) - طالع كتابا - ألف الاستاذ الكتاب (ج) فالجملة (ب) تدرج تحت (أ) والجملة (ج) تدرج تحت التركيب الاسمى « كتابا » .

وتعصير شومسكى ازاء المنطق على مستوى الظاهرة اللسانية المنطوقة نفسها هو الذى يفسر فى رأينا الانتقادات التى وجهت الى نظريته فى صلبها .

— نعلم ان القاعدتين الاساسيتين اللتين ينطلق منهما النسق الشومسكى هما القاعدتان المقوليتان :

— ج ← ز س + ز ف ابتضعيف ج . ز ، س ، ف ،





## - ز ف + ز س

( حيث ج = جملة ، ز س : زمرة اسمية (19) ، ف : فعل ، ز ف : زمرة فعلية ) .

ورائنا أن هذا الترتيب لعناصر الجملة لا ينطبق على اللغة العربية وربما لا ينطبق على غيرها وحتي إذا انطبق فينطبق على الجهل الاسمية من هذا النوع : « زيد كتب » و « زيد كتب رسالة » : وهذه جمل ليست هي إلا شيع ولا هي الا سلم في التعبير العادي .

— ثم من ناحية أخرى نرى أن التعريفين الذين يعطيها شومسكى لوظيفتي الاسم النحويتين وهما الفاعل والمفعول لا ينطبقان ههنا أيضا على العربية اذ يعرف الفاعل المفعول به بينيتين مرتبتين :

— الفاعل : [ ز س ، ج ]

— المفعول به : [ ز س ، ز ف ]

أى يعرف الفاعل بالبنية التي تشرف فيها عقدة الجملة على الزمرة الاسمية بمعنى أن الفاعل يكون في الرسم الشجرى على يمين الزمرة الاسمية اذا طبقنا القاعدة على اللغة العربية ( وعلى يسارها في لغة أخرى ) .

كما يعرف المفعول به بالبنية التي تشرف فيها الزمرة الفعلية على الزمرة الاسمية بمعنى أن المفعول به يكون في الرسم الشجرى على يسار الزمرة الفعلية في اللغة العربية ( على يمينها في لغة أخرى ) .

ومراعاة الترتيب في تحديد الوظيفتين النحويتين : الفاعل والمفعول به غير مقبول وغير معقول .

وفوق هذا نعلم أن التمييز بين الفاعل والمفعول به لم تبق له فائدة على مستوى البنية المحولية التي وضعناها .

---

(19) يستعمل بض اللسانيين المتأخرين مصطلح « الزمرة (Groupe) » بدل لفظة التركيب « Syntagme » التي استعملها شومسكى .

ولو التزم شومسكى بالمنطق فى الصياغة النحوية للظاهرة اللسانية لكان أهدى وأوفق فى بناء نحو ينطبق على لغات مختلفة ( ومن جملتها اللغة العربية ) .

إذا كان هذا هو موقف شومسكى من المنطق ، فهل سيكون الأمر كذلك بالنسبة للمدرسة التى انشقت عنه وهى مدرسة التأويل التوليدي؟ وهلا يكون سبب الانشقاق هو بالضبط محاولة تدارك الجوانب المنطقية الهامة فى البنية اللسانية التى أغفلها شومسكى ؟ .

## 2 - المنطق والتأويل التوليدي

يمكن أن نؤكد من الآن أن اللسانى التأويلى (20) أدخل ما أخرج شومسكى تنكرا ، أدخل مقومات البنية المنطقية العميقة ، فقد أدخل الاسوار والمتغيرات ، فلو نظرنا فى الجملتين التاليتين :

— إنك تعز زيدا وزيد ذكى فأنت تعز ذكيا .

— إنك تعز بعض الناس وبعض الناس ذكى ، فأنت تعز أذكيا .

فلا نكاد نلاحظ على سطح العبارتين فرقا بينهما ، ولكن البنية المنطقية لها تميز بينهما وتعد الأولى عبارة صحيحة والثانية فاسدة ذلك أن الجملة « زيد ذكى » تصاغ : ك (مت) بينما تصاغ الجملة « بعض الناس ذكى » :  $\forall x [K(x) \supset L(x)]$  والصياغة الأولى صادقة والثانية لاتصدق إلا إذا وجد لها إسناد قيمى معين يحققها فى تأويل معين . فالسور لابد منه فى البنية العميقة حتى يتميز الصدق المطلق عن الصدق المشروط .

كما أن اللسانى التأويلى جمع على مستوى البنية العميقة بين الصفة والفعل فى صنف واحد ، وجمع بين الاسم والفعل فى فئة واحدة .

ولا نغالى إذا قلنا بأن مرد هذا التعميم الى المنطق والى الصيغة المحمولية التى تتألف من محمول ومعمولات لهذا المحمول .

(20) نستعمل لفظة « التأويل » هنا بالمعنى المنطقى لا غير أى Sémantique ولا نقصد منها ما يقصده اللسانيون حيث يميزون بين المدرسة الدلالية التأويلية (

(Katz-Fodor) والمدرسة الدلالية التوليدية ( Lakoff - Mc. Cawley )

(21) Fillmore, Bach, Cawley, Lakoff, G., Seuren...

وقد اعتبر اللساني بالفعل المحمول بمثابة الصنف الذى يشمل كل اقسام الكلام على مستوى البنية العميقة اما الفروق بينهما على مستوى **سطح العبارة** فمن الممكن أن تحددها قواعد التحويل (21).

كما انه أرجع اسم الجنس المعرف الى الموصول وصلته ، ففى المثال : « نجح الطالب » تصير « الطالب » « من هو طالب » وتصير الجملة كلها « نجح من هو طالب » أو « نجح الذى هو طالب » ( وهذا يلتقى تماماً مع التأويل العربى لاداة التعريف « ال » حيث إنها تكون اسم موصول فى جملة مثل « جاء الكاتب رسالة » أى جاء الذى يكتب رسالة ( المجيد الجزء الاول - محمد الانطاكى ص . 207 ) .

لم يقف اللساني التأويلى عند حد الاقتباس من المنطق بل يريد فك الحصار الذى فرضته عليه الرياضيات وتأسيس منطق جديد يستجيب لخصائص اللسان الطبيعى ولاساليب التفكير عند الناطقين . فهسا هو هذا المنطق الطبيعى أو هذا المنطق المنطوق ؟

موضوع هذا المنطق هو التصورات القائمة فى العبارات بكل أبعادها الدلالية والتحويلية وقبل التحديد الموضوعى والمنطقى لابعادها هي كما يقول ليكوف تصورات **عائمة** ، غير قارة ، فقد تتغير البنية المنطقية لهذه العبارة بحسب السياق : فقد تزداد منطقيتها أو تنقص بحسب القائل والمقول والقول : فيجب تمييز درجات فى السلم المنطقى للعبارات وبالتالي فى تطبيق القواعد عليها . وتدخل فيها الاقوال الانجازية أو الانشائية والتضمنية والاحالية والاشارية والاستدلالية (21)

الا ان هذا الاهتمام بخصائص اللغة الطبيعية لا يعنى الاقتصار على لغة معينة بل الغاية الاولى لهذه المدرسة أن تدرك من اللغات الخصائص المعنوية للتعبيرات الاصلية فيها : أن تدرك منها ما كان يدركه المنطق الرمزى لو أنه وجه منذ انطلاقة عنايته الى اللغة بدل الرياضيات ، فهادىء هذا المنطق ينبغى أن تنطبق على اللسان جميعها . وإذا كان المنطق الطبيعى يعالج تصورات ومعانى غامضة الحدود فلا بد له من منطق يختلف عن منطق القهتين ( الصدق والكذب ) الذى

(22) الانجازية أو الانشائية : «performatif» والتضمنية : «Présupposition»  
والاحالية «l'eférence» والاشارية «indexical»  
والاستدلالية «argumentation»

يتمتع عليه تحصيل خصائصها . فلا بد من منطق يعتمد قيمها كثيرة بل  
سلها متصلا من القيم ويستند الى التأويل الذى يقوم على نظرية النماذج  
فى تطورها الحديث مثل منطق الجهات وكما اعطينا صورة عنها .

لكن المستوى الذى عليه الدراسات اللسانية اليوم تجعل من  
هذه المبادئ آمالا فى الافق البعيد حقا لكنها ليست أبدا مستحيلة  
التحقيق .

وفى الختام نقول ان صياغة المنطق للتعبير اللغوية افادت  
اللسانى وسوف تفيده فى وضع نحو دقيق للنص اللغوى وتاويل له  
نفس الدقة .

واذا كنا نقول بضرورة اعتماد اللسانى على المنطق فنحن لا  
ندعو الى التطبيق المباشر والاعمى لمقولات المنطق على مقولات اللغة  
والانغلاق داخل نسق صورى معين بقدر ما ندعو الى التطبيق المحكم  
والتوسيع لجال المنطق نفسه وتطوير أدواته حتى تكون أنسب للواقائع  
الدلالية فى نطق الناس .

ولا ننسى أن اللسانى اذا كان يلتقى مع المنطقى فى تجديد قواعد  
للسياغة الدلالية للجملة المنطوقة ، فان عليه وحده أن يربط الصيغة  
الدلالية المجردة والمعقدة للجملة مع سطحها الذى قد يتباين معها ولن  
يتم له هذا الربط الا اذا وضع قواعد مضبوطة .

ولن نجازف . اذا قلنا ، ان وصل عمق العبارة بل عمق عمقها  
بسطحها هى المعضلة التى سوف يستقيم بحلها أمر النطق للسانيين .

10 أبريل 1976

## المراجع

- 1 --- Chomsky, N., Aspects de la théorie syntaxique, Ed. du Seuil.
- 2 --- Galiniche, M., Sémantique générative, Larousse, 1975.
- 3 --- Reichenbach, H., Elements of symbolic Logic, The Free Press, London, 1966.
- 4 --- Carnap, R., Meaning and Necessity, The University of Chicago, 1967.
- 5 --- Hughes & Cresswell Modal Logic, Methen and Co Ltd., 1973.
- 6 --- Thomason R., éd. Formal Philosophy, Selected Papers of R., Montague, New Haven and London, Yale University, Press, 1974.
- 7 --- Partee H. Barbara, éd. Montague Grammar, Academic Press, 1976.
- 8 --- Kutschera F.V. Sprachphilosophie, UTB, W. Fink, 1975.
- 9 --- Rohrer, C., Funktionelle Sprachwissenschaft und transformationelle Grammatik, Munchen, Fink, 1971.
- 10 --- Helmut. Schnelle, Sprachphilosophie und Linguistik, Hamburg, 1973.

مبارك ربيع  
في الشخصية وعوامل تكوينها

## دور اللغة العربية في تكوين شخصية المراهق

يفترض هذا الموضوع أن نتساءل أولا عن المراهقة : ما هي في أهم خصائصها ؟ ومن ثم كيف يمكن للغة العربية أن تساهم في تكوين شخصية المراهق أو كيف لا يمكن ؟ ذلك أن الموضوعية تفرض علينا أن نستعد لتقبل احتمال نتيجة سلبية فيما يخص هذه المساهمة ، ولو أن الموضوع في شكله مطروح بصيغة الإيجاب .

لكن قبل التعرض لكل هذا ، لابد من الإشارة الى بعض الإشكاليات التي من شأنها أن تنير طريقنا .

أهم هذه الإشكاليات ما يتعلق بعلم النفس ذاته(1) . فنحن نتحدث عن المراهقة ويمكن أن نتناولها بكيفية عامة بالنسبة لأي مراهق في أي بلد كان ، ونؤيد هذا الحديث بحقائق علمية ثابتة ، ويكون كلامنا مقبولا ، ومقنعا ، إلا أنه قد لا يكون كافيا ، لأننا إذا كنا نريد أن نستفيد فعلا بل ونقتنع فعلا ، فيجب أن نتحدث عن المراهق في المغرب . وهذا المطلب كما يجد تبريره العقلي والعلمي في الحاجة الأساسية الى المعطيات الصحيحة التي يجب أن نبني عليها مشاريعنا التربوية ، يجد كذلك تبريره الوجداني أو الوطني في الدعوة السائدة اليوم في البلاد السائرة في طريق النمو للخروج من طوق التبعية العلمية والثقافية التي هي نمط أصيل للتبعية الاستعمارية .

ولكن، لنفرض أن مثل هذا المطلب طرح في بلد متقدم مصنع ، وفرنسا أو أمريكا مثلا ، لنفرض أن عالما أو دارسا دعا الى نبذ الحقائق

السيكولوجية المتعلقة بالطفولة أو بالمرحلة التي توصل اليها جزل أو ايركسون مؤكداً على ضرورة دراسة المراهق الفرنسي ، واكتشافه بدون أحكام سابقة غير محلية ولو أنها علمية ، أو دعا الى الإقتصار على نتائج دوييس أو بياجى أو رازو (1) ماذا تكون النتيجة ؟ لاشك أنها ستكون انحصاراً لعلم النفس فى نطاق المحليات مما يصيبه فى الصميم كعلم . ويتضح ذلك اذا ما قارنا بما عليه الامر فى العلوم التجريبية مثلاً ، حيث لا يطرح هذا الاشكال بناتاً ، وحيث تتبنى كل حقيقة علمية وكل اكتشاف جديد على النطاق العالمى .

لكن هل يصح ، بناء على غيرتنا على علم النفس وخشيتنا عليه من التجزؤ أو الضياع فى المحليات أن نضحى بالميزات الخاصة التى تتميز بها جماعة عن جماعة ، والنتيجة أساساً وبالضرورة عن تميز أنماط الحياة الحضارية وتنوع الثقافات الاجتماعية ؟

فى سبيل إزالة هذا الاشكال، يجب ألا ننسى أن التدقيق فى مجال العلوم الانسانية ، وعيماً يخص علم النفس بالذات يذهب الى حد أننا لو حصلنا على خصائص المراهق فى مجتمع معين كالمغرب مثلاً ، فإن هذه الخصائص بعد شكلها الاولى الجزئى الخاص بالعينة التى ندرسها تصاغ فى الشكل العام الذى يجعلها وكأنها صادقة على جميع أفراد المجتمع المغربى ، فى حين أن هذا لا يمكن أن يصح على إطلاقه . وعلى نفس النحو يمكن أن يجد الاشكال الأساسى حله ، فتكون اذن محاولة علم النفس فى انتقاله من المخصص الى المعمم ، محاولة مشروعة وبالتالي يمكن تبني الحقائق السيكولوجية العلمية دون أن يتناقض هذا مع اعتبار الخصائص المحلية ، بل يمكن اعتبار التكامل بينهما من أهم إيجابيات علم النفس ويمكن أرجاع مبررات هذا الموقف الى ما يأتى :

أ - اختلاف الأنماط الحضارية الذى ينشأ عنه بالطبع اختلاف فى المتغيرات .

ب - تشابه - أن لم نقل تطابق - التكوين البشرى الفزيولوجى والذهنى فى المجتمعات المتحضرة ، مما ينشأ عنه تشابه فى الخصائص العامة للسلوك . وهذا ينشأ عنه اتفاق فى الاستعدادات العامة واختلاف فى الاتجاهات التى يمكن أن تأخذها تلك الاستعدادات تبعاً لأنماط الحضارة



والمؤثرات التربوية (2) . وهناك أمثلة توضح هذا تبين عنها مبدئيا بعض الاستبيانات التي تظهر ان سؤالاً يطرح على المراهق من قبل : ماذا تفعل بأول مبلغ مالى يتوافر لديك(3) يدور جوابه عند المراهق الفرنسى حول عدة مواضيع لا يحتل فيها قضاء الحاجة الجنسية المرتبة الاولى لكنه لا ينعهم، بينما تحتل هذه الحاجة مرتبة أولى بنسبة أعلى عند المراهق المغربى دون ان ينعهم التعبير عن حاجيات أخرى كثيرة منها ما لا يمكن ان يخطر ببال المراهق الفرنسى لان حضارته ذات متغيرات مخالفة .

ودلالة مثل هذه الحقائق قوية فى أنها لا تدل على اختلاف نوعى فى طبيعة الحاجيات التى تفرضها المراهقة بقدر ما تدل على اختلاف فى درجة تلك الحاجيات . فالرغبة الجنسية قوية عند جميع المراهقين ، وحاجة أساسية، إلا أنها تجد فى ظروف حضارة معينة طريقها للإشباع بغض النظر عن الأساليب والكيفيات فتتحسر عن الأسبقية المطلقة بالنسبة لباقي الحاجيات ويكون الأمر غير ذلك فى حضارة أخرى فتحتل هذه الرغبة درجتها الأولى على رأس سائر الحاجيات ، وثم أمثلة كثيرة من هذا النوع لا ضرورة للوقوف عندها . ولتحاول تحديد دور اللغة العربية فى رقعة التأثيرات التى يتعرض لها المراهق ، ونوعية ما تسهم به فى تكوين شخصيته .

إذا كان هناك من تأثير فيجب ان يلمس من خلال السمات العامة للمراهقة . وبما أننا نحاول ان نقرن الخاص بالعام فيمكن ان يؤكد مبدئيا على ان مفهوم المراهقة باعتبارها مرحلة بين الطفولة والرشد غير معروف فى البيئة المغربية . فهناك مفهوم البلوغ وهو شرعى ومفهوم العزوبة ( العزرى ) بل هناك مفهوم ( المراهق ) إلا أنه يستعمل بمعنى قدحى لا بالمعنى الوصفى المطلوب ، ومن هنا فهو يطلق حتى على غير المراهقين فى كثير من الأحيان .

وعلى العموم فالمراهقة المغربية مرحلة طويلة تمتد نسبيا من نهاية الطفولة الثالثة الى العشرين تقريبا، وتتميز بعدم الاستقرار ، بل بافتقار الاستقرار الذى كان مكتسبا فى المرحلة الأخيرة من الطفولة أو ما يسمى بالطفولة الهادئة .

وأصعب فترة فى المراهقة هى الوسطى ( 15 — 18 تقريبا ) بينما طرفها الأول أقرب الى الطفولة والإخير أقرب الى الرجولة ، وإذا غصصنا

الطرف عن المتغيرات الفزيولوجية في المراهقة باعتبارها عاملا ضمنيا في كل ما ستحدث عنه من مظاهرها فان ما يميزها فكريا هو ظهور الجانب التجريدى في العمليات الفكرية التى يقوم بها المراهق ، وقدرته على فهم القوانين العلمية القائمة بالطبع على المبادئ المنطقية ومقولات التفاهم ، وهذا الجانب يقابل ما كان يتوافر للمراهق قبل هذه المرحلة من ميل الى العمل والنشاط التطبيقي .

اذا كانت هذه هى الخصائص العامة لفكر المراهق فماذا تستطيع اللغة العربية ان تقدم من اسهام هنا ؟ الواقع ان علاقة اللغة بالتفكير علاقة اصيلة جدا ، وبغض النظر عن القضية ذات الطابع الفلسفى القائمة على التساؤل حول مطابقة اللغة للفكر او اسبقية اى منهما عن الاخر ، فان الثروة اللغوية من حيث الكم ومن حيث الكيف اى من حيث القدرة على التصرف فيها ، تعتبر دلالة اساسية على مستوى الذكاء . ونؤكد هنا ان اختبارات الذكاء على كثرة ما تتعرض له من انتقادات تبقى اللغوية منها على الخصوص، محتفظة بقيمة دلالية كبرى على مستوى الذكاء .

ان هذه السمة العامة لفكر المراهق والتى تتجلى في القدرة على التجريد ليست وظيفة مستقلة خاصة — ولو انه لا توجد قدرة او وظيفة مستقلة — بل هى جماع سائر القدرات والوظائف وثمره تفاعلها ونضجها. والواقع ان نوعية هذا التفاعل هى ما يميز اساسا فكر المراهق والراشد. اذن يكون من المنطقى ان تساهم اللغة العربية في تكوين شخصية المراهق عن طريق دورها في تكوين شخصيته اللغوية ، بل يمكن ان نقول ان قدرة المراهق على التصرف في لغته العربية هى مؤشر يدل على مبلغ النضج الفكرى في شخصيته . والتصرف في الثروة اللغوية ان هو الا تعبير عن عملية سيكولوجية هامة هى عملية الابداع ، الذى لا يعنى الخلق من عدم ، بل يعنى القدرة على التصرف في المواد التى تجعلها الطبيعة والبيئة الاجتماعية تحت تصرف شخص ما ، ولهذه العملية مستويات اعلاها ان يصل المبدع في نطاق اللغة الى ان يكون اسلوبه نموذجا ومثالا يحتذى كما نجد ذلك عند كبار المبدعين من الادباء والشعراء ، ولكن المستوى العادى لعملية الابداع اللغوى هذه ، هو ان يصل الشخص الى مستوى التصرف بثروته اللغوية للتعبير عن مطالبه واهدافه ، وهو بالطبع اقل ما يطلب من المراهق وهو ليس بالمطلب السهل رغم بدايته من جهة

كما أنه ليس بالسطحي أو الثانوي في دلالاته على مستوى نضج الشخصية . فالعجز عن التعبير اللغوي عن المقاصد والنوايا هو عجز أساسي في جانب هام من جوانب الشخصية . واختبارات الشخصية — عدا اختبارات الذكاء — تعتمد في جانب هام منها على تحليل الوان التعبير اللغوي للوصول الى فهم الشخصية .

وماذا تستطيع اللغة العربية أن تسهم به في بناء الجانب الوجداني من شخصية المراهق ؟ إن كلامنا عن مساهمتها في بناء الجانب الفكري عن طريق بناء الشخصية اللغوية ينعكس على الجانب الوجداني أيضا بناء على الحقيقة السيكولوجية المعروفة والتي مؤداها أن كل ما هو موضوع انفعالاتنا وعواطفنا وأهوائنا وبصفة عامة ما هو موضوع فعالية وجدانية هو موضوع معرفتنا (4) إن موضوعات المعرفة ليست ألفاظا ومسميات فقط ، بل معاني ممتدة بين الذات والأشياء وبالتالي فهي علاقات . فاللغة العربية عن طريق التعبير بها تجعل المراهق فكريا ووجدانيا في علاقة وطيدة مع موضوعات محيطه الاجتماعي وتساعد على تدعيم وجوده . والارتباط الوجداني بالموضوعات سلبا أو ايجابا هو سبيل المعرفة ، وهذا يتم بالنسبة للمراهق من خلال خاصية أساسية فيه ، وهي ما يتوافق له من قابلية الاتصال بالعالم الخارجي موضوعات وأشخاصا ، شريطة أن تتيح له اللغة — العربية هنا — امتلاك ما حوله . وهذا الامتلاك عن طريق اللغة ليس عبارة مجازية بل هو واقعة سيكولوجية واجتماعية (5) ، إذ التعبير عن موضوع ما عن طريق اللغة هو امتلاك له ، لكونه يصبح رهن إشارة الذات في التعامل به بشتى الكيفيات ، وعلى نحو اخصب وأقوى من مجرد الامتلاك الواقعي الموضوعي له .

وثمة خصائص أخرى لنفسية المراهق من الوجهة الوجدانية مثل ميله الى تكوين الصداقات مع الجنس الآخر خصوصا ، وكرمه في الحب مع نزعة مثالية معروفة ، وهذا مظهر لمعبء الرغبات الجنسية السدى ينوء تحته ، والذي يمكن أن يصرفه بنجاح عن طريق شخصيته اللغوية بواسطة الاعلاء وتحويل الاهتمامات في مجالات الانتاج والابداع اللغوي الشفاهي والمكتوب بشتى الطرق .

ولا حاجة الى الوقوف عند مساهمة اللغة العربية في تكوين الجانب الاخلاقي في المراهق . باعتبار ان ما يتوافر لها من مضمون أخلاقي كبير،

لا تجارى فيه .

وانا توجنا هذا بملاحظة أساسية وهى ان ما يظهر فى حديثنا من تقسيم وتحزيب لجوانب الشخصية اما هو التبسيط كما هو معروف ، اذ كل الجوانب متداخلة متفاعلة غير قابلة لاي فصل او انفصال ، فاننا نستنتج ان بناء الشخصية اللغوية عن طريق العربية فى المراهق يقدم مساهمة كبرى فى بناء الشخصية العامة ككل .

الى هذا الحد نكون منطقيين فى استنتاجاتنا مع معطيات علم النفس ومقتضيات نمو الشخصية والمبادئ التربوية العامة . لكن لسنا هنا متفائلين ؟ ! اعتقد اننا كذلك بالفعل ، بل واننا مبالغون فى هذا التفاؤل . ومن ثم يجب اعادة النظر برؤية جديدة ان كلنت بالطبع لن تعارض الحقائق العامة السابقة ، فان تلك الحقائق تبقى اطارا فارغا بدونها ، ذلك ان التأثير الذى رأينا أن اللغة العربية تحدثه فى شخصيه المراهق فكريا ووجدانيا وأخلاقيا ... يمكن ان يصدق على أية لغة أخرى ، بل يصدق على مواد دراسيه أخرى غير العربية ، وفى بعض جوابيه الخاصة يصدق بكل دقة على مواد بعيدة كل البعد عن المواد اللغوية كالمواد العلمية والفلسفية ، التى يظهر عليها بصفة أكثر طابع تدعيم التفكير المنطقى والتجريدى لدى المراهق . فلماذا اذن نخص اللغة العربية بهذا للامتياز ؟ أو لسنا عاطفيين فى هذا ؟

المواقع ان ربط اللغة العربية بتكوين شخصية المراهق هو مظهر الاصلة فى هذا الموضوع الذى نطرحه . لماذا ؟ لان اللغة العربية بالفعل ذات امتياز بالنسبة للمراهق فى المغرب . وامتيازها يتلخص فى كونها لغة المراهق الوطنية الاصلية او اللغة الام كما يقال ، وهذا الموقع يمنحها امتيازات أخرى أكثر فى نوعية تأثيرها وطريقة تدريسها مخالفة مخالفة مطلقة للغة الاجنبية التى يمكن ان يدرسها المراهق المغربى .

ففيما يخص نوعية التأثير، هناك الرباط الوثيق والعضوية الصميمية بينها وبين نسيج شخصية مراهقنا . انها حضارته وتاريخه ، ماضيه وحاضره ومستقبله ومحتوى ثقافته بالقوة . ومن ثم فالعمل على تكوين شخصية المراهق عن طريق اللغة العربية هو بلسان الاقتصادى السيكولوجية عمل أكثر مردودا وأقل مجهودا . انه مجرد تنمية استعدادات

وليس خلقا لمقابليات جديدة . وهو من نفس الرؤية مسيطرة لاتجاه  
الفاعلية النفسية الاصلية عند المراهق ، لا يطرح صعوبات المعاكسة  
والمعارضة التي تبدد الجهود والطاقات قبل أن تبلغ نتائجها . واننا هنا  
نغض النظر عن الاعتراض الممكن بأن اللغة العربية ليست لغة الحياة  
اليومية وذلك لان الدارجة عربية ثم هي مجرد لهجة لا تكاد تخلو منها أمة  
من الامم واخيرا لاننا نعتقد ان ارتفاع مستوى التعليم ونسبته وانتشار  
وسائل الاعلام كفيل في امد قصير بازالة الهوة بين الدارجة والعربية الفصحى  
بتقريبهما الى اقصى ما يمكن . لذلك نعتقد أن التأثير الفكرى والوجدانى  
والاخلاقى والاجتماعى يحدث حتما وبطريقه متسجمة مع فاعلية المراهق  
المغربى عن طريق اللغة العربية . لكن هذا التأثير لا يحدث اعتباطا ولا بد  
له من تخطيط وتصميم . وهنا نعود ونسأل من هو المراهق ؟ وما هي  
المراهقة ؟ قلنا انها مرحلة جديدة تتميز بتغيرات عامة فسيولوجية  
ووجدانية وفكرية ، ولم نقل انها ميلاد جديد كما يذهب الى ذلك البعض  
انها مجرد مرحلة . ومعنى ذلك انها مرتبطة بالسابق واللاحق . ولو كانت  
ميلادا جديدا لكانت الصعوبات اقل بالنسبة لموضوعنا المتعلق بمساهمة  
اللغة العربية في تكوين شخصية المراهق . معنى ذلك أن التأثير عن طريق  
اللغة العربية يجب أن يكون سابقا لمرحلة المراهقة حتى لا تكون القدرات  
قد اتجهت اتجاهها آخر ، وبالضبط يجب أن يتركز هذا التأثير فى المرحلة  
المعروفة سيكولوجيا بانها مرحلة الاستقرار اللغوى حوالى الثامنة من  
عمر الطفل وهى المرحلة التى يتشبع فيها المتعلم بثقافته على لغة معينة،  
والتي يصعب عليه بعدها - ولا نقول يستحيل - أن يتعلم غيرها . ومن  
ثم فان أى تخطيط لتعليم العربية للمراهق فى الثانوى يجب أن يرتبط  
عضويا بالتخطيط لهذا التعليم فى مرحلة الابتدائى ليحدث التأثير المرتقب .

هذه حقيقة علمية ومنطقية يجب أن نضعها نصب أعيننا ونحن  
نتحدث عن تأثير اللغة العربية فى شخصية المراهق .

ونعود فنسأل ما هو الجديد فى مرحلة المراهقة ؟ سيكون الجواب  
انها تغيرات جديدة أى بالتالى كفاءات جديدة تظهر ولا سيما فى الجانب  
الفكرى والوجدانى العام ، وهذا ما يجب أن ينعكس على التكوين اللغوى  
بالضبط أى يجب أن نواجه أساسا تنمية كفاءات جديدة فى النمو اللغوى  
للطفل أى القدرة على التصرف فى اللغة حسب الاهداف التى يستعد لها

المراهق ، ما هى هذه الاهداف ؟ يجب ان نأخذ في اعتبارنا هنا مستويات من الواقع والاهداف :

الواقع السيكولوجى : ان المراهقة آخر مرحلة في التطور نضطلع بعدها مباشرة بدورنا في الحياة .

الواقع الاجتماعى : ان المراهق المغربى غالبا ما يضطر الى الاضطلاع بدوره في الحياة أثناء المراهقة لصعوبات موضوعية او ذاتية تدعوه الى ان يتوقف عن الدراسة دون المرحلة الجامعية .

ان تحقيق اهداف ايجابية يتطلب بناء العمل والتخطيط على اساس المعطيات النفسية للمراهقة والمتلخصة فيما سبق من التفكير المنطقى العلمى وفي الرغبة الصادقة في الاندماج في الحياة الاجتماعية والخروج من دائرة الذات الضيقة الى موضوعات العالم .

والتأثير الاجتماعى للغة العربية يجب ان يستجيب لهذه المطالب لينسجم مع مقتضيات تكوين الشخصية السوية ، ومعنى ذلك تطويع اللغة العربية بحمولتها الحضارية والتاريخية والثقافية ومقتضياتها النحوية والبلاغية ، وتكييف ذلك تكييفا وظيفيا مع تلك المطالب . ولعل حديثنا عن الجانب الثانى من موقع الامتياز الذى تحظى به اللغة العربية بالنسبة للمراهق المغربى يوضح بعض جوانب هذا الموضوع في خطوطه العامة ألا وهو الامتياز الذى تحظى بمبادئ طرق تعلم اللغة العربية تبعاً لذلك . ففيمما يخص طرق تعليم اللغة العربية أنبه أولا الى أنى من ادخل في تفاصيل هذه الطرق ولكنى أشير هنا فقط الى ما يتعلق بمبادئها العامة :

— الملاحظة الاولى ان امتياز اللغة العربية بالنسبة للمراهق المغربى من حيث هى لغته الوطنية ، الاصلية يقلل من صعوبات تعليمها ، وبالتالي يجعل الجهد المبذول في الطريقة أقل نسبيا ولا يعنى هذا أننا يجب ان نبخل بجهودنا في البحث عن أحسن الطرق وأكثرها مردودا (6) ، بل انه يعنى بالضرورة عدم تقليد الطرق المستعملة في اللغات الاجنبية التى تدرس داخل بلادنا لأنها طرق تنطلق من أهداف خاصة ، ومواقع خاصة غير موقع اللغة العربية وأهدافها . أننا نسجل ان تعليم اللغة العربية أصعب من تعليم بعض اللغات الاخرى لصعوبات في الشكل

والاعراب مثلا ، ولكننا نؤكد على كون اللغة العربية لغة وطنية ، واملباز موقعها بالتالى هو ما نعول عليه فى تسهيل السهمة . ويمكن ان نضرب مثلا ببعض لغات الشرق الاقصى وصعوباتها التى لا يحد منها بالنسبة لابنائها الا كونها لغتهم الاصلية ، بينما هى بالنسبة للاجنبى يكاد يبلغ تعلمها حد الاستحالة .

— الملاحظة الثانية هى مبدأ التضافر بين الطريقة والمضمون ، هذا التضافر من شأنه تحقيق الهدف الاساسى الذى هو تفتح شخصية المراهق ، والوصول به الى الاستقلال والتميز اللذين هما أحد مطالبه ، وادماجه فى العالم الموضوعى والاجتماعى ليطلع بدوره ويحقق توازن شخصيته ، وهذا يفرض كما اشرنا الى ذلك فى نوعية لتأثير اعطاء اللغة العربية من حيث المحتوى والطريقة اتجاها وظيفيا .

وتبعا لذلك ، فالملاحظ فى كثير من المذكرات التوجيهية ومقدمات مؤلفى « كتب المطالعة » ان الهدف الذى يسعى اليه تعليم اللغة العربية هو تمرين المتعلم على الانشاء الكتابى ، وهنا نسجل ان هذا الهدف يرجع الى تراث تربوى يعود الى القرن السابع عشر ، ولعله منحدر عن طرق ومناهج تعليم اللاتينية (7) حقا ان التعبير الكتابى له دوره فى بناء الشخصية وهو مظهر هام من مظاهرها . لكنه ليس كل شىء . وفى تعليم اللغة بالذات فان تنمية الجانب الشفوى اى جانب التحدث والتخاطب اولى واسبق تربويا ومنطقيا ، او على الاقل يجب ان تكون العناية بهما فى نفس المستوى . وبدل التمارين التحريرية اللغوية الكثيرة يكون من الضرورى تخصيص تمارين قائمة بذاتها للمناقشات الشفوية حتى تحقق اللغة وظيفتها كلفة حياة يومية ، بدل ان نبذر تأثيرها فى المراهق من حيث هى لغة الكتب والمتاحف والمناسبات ، وبالتالى نبذر فيه تصورات من قبيل ان هذه اللغة شىء ثانوى بالنسبة لشخصيته .

هذا من حيث الشكل ، اما من حيث المحتوى فوظيفية اللغة العربية تحدث تأثيرها الايجابى فى شخصية المراهق يجب ان تتناول موضوعات العالم المادى والبشرى المحيط به لتحقيق تواصله به ، وهذا يتطلب تناول الموضوعات الجارية فى الحياة اليومية الواقعية بالمناقشة والتحليل ، بدل موضوعات الانشاء المعتادة ذات الطابع الكمالى والترفيهى ، وبدل

الوصف البلاغى وغير ذلك مما يجعل موضوعات الانشاء تساقى لاعتبارات شكلية كلاسيكية . اولا نرى ان موضوعات كوصف نزهة وحفلة عرس وحوار بين الباخرة والطائر او الحمار والدراجة وما شابهها ، لا تزال تحظى بالاولوية ؟ ! او ليس هذا ما يجعل الانشاء كحلة العيد يلبس فى المناسبات الخاصة ؟ ! وبدلا من ذلك يمكن التفكير فى قضايا الصحف اليومية والمجلات ، بل وقضايا المجتمع الحارية من اقتصادية وسياسية واجتماعية ومشاكل الانسان والعالم والمخترعات لتؤخذ كموضوعات للانشاء الكتابى والشفوى لتحقيق وظيفة اللغة العربية وبالتالي لتحقيق اندماجها الطبيعى الكامل والفعال فى شخصية المراهق ، وفى جعله يشعر بأنه يتقدم فى النمو والتكوين بقدر ما يتقدم فى اكتساب اللغة العربية والتعامل بها . وهنا نرى من المستحسن أن نفكر بجانب هذا التكوين اللغوى الوظيفى ( اذا اقتنعنا بأنه بالنسبة للبعض من ذوى المواهب والميول الادبية الابداعية لا يكفى ) باقامة أنظمة لغوية موازية ، لمثل هؤلاء المتعلمين ، وأن كنت مبدئيا غير مقتنع بأن التكوين الوظيفى وحده غير كاف لكل ذلك .

ولا يجوز أن نغفل النظر فى خاتمة هذا الحديث عن كثير من المعطيات المادية والمعنوية التى تقف عوائق اضافية ، تحول بين اللغة العربية وبين الدور الذى يجب أن تقوم به فى تكوين المراهق المغربى ، وأذكر منها :

1 - مناهج النحو العربى التى يجب النظر فيها من جديد واعادة صياغتها باعتماد الاساليب والتراكيب بدل جزئيات التعبير . ولابد من اعادة النظر تبعا لذلك فى ابواب النحو القديم والبحث لاكتشاف أبعاد لغوية جديدة أخرى غير أبعاد الشكل والاعراب .

2 - أسلوب الامتحانات الذى يؤدي فى صورته الحالية ، وفى انعكاساتها على اللغة العربية التى تهملها هنا ، الى أن نجاح التلميذ يقع بنا على معدل حسابى وهمى عام لا يعنى بالضرورة أن المتعلم حصل عليه موضوعيا فى اللغة العربية . فتأثير هذا المعدل الوهمى العام هام جدا فى شخصية المراهق ، يحدد علاقته باللغة العربية باعتبارها أساسية لتكوينه أو ثانوية ، ومن ثم يسهم أو لا يسهم فى تكوين الحافز الذاتى الذى يؤدي بالمتعلم الى الجد فى اكتساب اللغة العربية ، ولو كنا هنا



في إطار التعميم لقلنا ان هذه الظاهرة تهم جميع المواد الاساسية على قدر المساواة ، ونحن نرى كمبدأ للتفكير في حلها اعتبار امكان تكوين الاقسام الدراسية على أساس مستويات في المواد : سنة أولى عربية مثلا وتانية وثالثة ... ومثل ذلك بالنسبة لباقي المواد ويمكن أن نتصور أن التلميذ في هذا التقسيم يستطيع أن يدرس في مستويات مختلفة في نفس الوقت حسب ما يحققه من نجاح سنوي في كل مادة .

3 - ابتعاد اللغة العربية عن أن تكون لغة العمل اليومي في الإدارة والمصنع ... أي في المجال الذي سيقوم فيه المراهق بدوره الحقيقي في المجتمع وهذه عقبة كبرى تحول دون المساهمة الايجابية للغة العربية في تكوين حقيقي لجانب هام من شخصية المراهق ، وإذا كنا نؤمن بأن هذه المشكلة ستجد حلها مع الزمان فإن هذا يحتم علينا كمربين أن نقوم بأقصى ما يمكن في حدود استطاعتنا للتقليص من تأثيرها السئ : ولا سيما عن طريق تذليل كثير من العوائق الاخرى المتضافرة في هذا السبيل .

هذه بالأجمال بعض أبعاد موضوع أصيل وشائك أتمنى ان اكون قد أثرت فيه من الأسئلة أكثر مما أعطيت من الاجوبة .

## مراجع

- (1) V. R. Zazzo, Psychologie de l'enfant et méthode génétique, PP. 80 - 83, Delachaux et Niestlé.
- (2) Allport, Structure et développement de la personnalité, P. 153, Delachaux et Niestlé.
- (3) Pascon et Bentahar (Ce que disent 296 jeunes ruraux PP. 212, 217), Etudes sociologiques sur le Maroc, Publication du bulletin économique et social du Maroc.
- (4) Piaget, les relations entre l'affectivité et le développement mental chez l'enfant, P. 3, (les cours de la Sorbonne. Centre de documentation universitaire) Paris 5.
- (5) د. صالح الشماخ ، ارتقاء اللغة عند الطفل ص 99، 145، ط 3، دار المعارف — القاهرة .
- (6) V. Philip. Coombs, La crise mondiale de l'éducation, P. 154 P.U.F.
- (7) Louis Legrand, une méthode active pour l'école d'aujourd'hui, P. 87, Delachaux et Niestlé.

دراسات وعروض  
ببليوغرافية

## دو كامو

### إثراء هام للخزانة العربية

في سنة 1947 ، صدر كتاب « دو كامو » ، او الشخص والاسطورة في العالم الميلانيزي . ألفه الانتلوجي الافرنسي ( موريس لينارت ) ، 1878 - 1954 (1) ، لخص فيه مختلف دراساته وأبحاثه العديدة التي وصف فيها مختلف جوانب حياة شعب الكاناك ( Canaques ) وثقافته

ينتسب الكاناك ( أهل كاليدونيا الجديدة ) الى الشعوب الميلانيزية. وقد سعى هذا الكتاب الى أن يحصى مقومات التجربة البشرية كما يعيشونها ، وحاول أن يتجاوز ذلك الى فهم الذهنية الاسطورية التي هي . في نظر المؤلف . ذهنية الشعوب البدائية بصفة عامة .

لم يتأت لأحد ، قبل (لينارت) . أن يفهم ويدرس بنية الفكر الأهلي في كاليدونيا الجديدة مثلما مبّه ودرسه فأكد بأبحاثه عددا من النظريات المتداولة لدى الانتلوجيين ، وعدل أخرى ، كما ساهم بأفكار جديدة عن الطوطمية وعن الكيفية التي تتكون بها الشخصية وترتبط باللغة . . . ولكن أعظم ما أفاد به هو الطريقة الرائعة التي اتبعتها للنفوذ الى أعماق النفس الكاناكية . مكتشفا سير التفكير الكاناكى . و « البادئى » عامة . وبذلك بقى عمل (لينارت) ، كما قال ( غورفيتش ( G. Gurvitch ) « كصرح لا يتقطع الناس عن الرجوع اليه » (2) .

1) Maurice Leenhardt. Do Kamo. Paris, 1947, Gallimard.

نقله الى العربية الطاهر وعزيز ، مكتبة المعارف الرباط ، 1974 .

2 - نغزل دو كامو ص 74 ( النص العرس )

وبالفعل . كان لها كتبه ( لينارت ) عن اهل كاليدونيا الجديدة  
تأثير كبير في تحول أفكار ( ليفى برول Lévy Bruhl ) الذى اعترف  
بذلك في كثير من المناسبات . لقد تخطى ( برول ) . من جراء تأثير ابحاث  
( لينارت ) عليه . عن نظريته المشهورة التى تفرق بين « الذهنية البدائية »  
و « الذهنية المتحضرة » . ولم يعد ينكر وحدة الذهن البشرى التى  
تدل عليها عمومية الجوانب البدائية فى كل ذهنية (3) .

\* \* \*

ترجم الطاهر وعزيز هذا الكتاب ترجمة أمينة وعلق عليه تعليقات  
ضافية ، ووضع له مدخلا عاما ، كما اضاف اليه عشر ملحقات للتوضيح  
المسائل العويصة . ونشير بالاختص منها . الى الملحق الاول الذى يعطى  
نظرة مجهولة عن الاثنولوجيا الفرنسية . ان مجموع الكتاب يعد مدخلا  
لدراسات الاثنولوجية الحديثة . ومن هنا فهو اثره للخرانة العربية (4) .

بالرغم من مرور سنوات على وفاة ( لينارت ) لم تخصص له ، فى  
فرنسا ، أية دراسة وافية باستثناء ما كتبه عنه بعض تلامذته وأصدقائه  
فى بعض المجلات . وباستثناء الاشارات المختصرة فى عدد من الكتب (5)  
ويرجع ذلك لعدة اسباب حاول المترجم تبينها فى القسم الاخير من المدخل .  
هكذا يعتبر العمل الذى قام به الطاهر وعزيز الدراسة الواسعة  
الوحيدة التى حظى بها كتاب « دو كامو » الذى يقدم لنا نموذجا رائعا  
للتحليل العلمى للغة البدائية .

استطاع مؤلف الكتاب ، بطرائق متنوعة وخاصة : ان ينفذ الى  
بنيات الفكر الاهلى بكاليدونيا الجديدة . وهذا مكتسب لا تخفى فائدته  
وقيمته الكبرى فى الاثنولوجيا وفى الفلسفة الحديثة . ولم يفت المترجم  
ان يوضح اهم التحليلات والنتائج التى وصل اليها المؤلف ، ورغبة فى  
التوضيح ، اعتمد على امثلة من اللغة العربية .

لقد خصص المترجم الجزء الاكبر من المدخل لبيان منهج ( لينارت )  
من جهة ، ولإبراز الانكار الاساسية التى تشكل المحور العام لكتاب

3 - نفس المصدر ، ص. 400

4 - يقع الكتاب ، الترجمة العربية ، فى 430 صفحة .

5 - نفس المصدر ، ص. 7

(دوكامو) . فبالرغم من تصريح المؤلف نفسه ومما اكده بعض تلامذته من انه لم يكن له في الحقيقة منهاج . . تمكن الطاهر وعزيز من أن يجلى بدقة منهاج المتبع في (دوكامو) . انه منهاج مركب من عدة تقنيات تنحو نحو هدف واحد هو فهم الاهلى الكاليدوني فهما عميقا . وقد حصر المترجم هذه التقنيات - الطرائق - في عشر ، يمتاز من بينها التحليل اللغوي بصفته بنية اساسية . يتطلب هذا التحليل معرفة كاملة باللغة . الفاظا وتراكيب ورموزا ، في ميدانها الخرافى . والثقافى عامة . فالتحليل اللغوى في (دوكامو) . تاريخ للذهنية الكاليدونية ، ماضيا وحاليا فى الممارسات اليومية . لقد استطاع (لينارت) أن يتصور مفاهيم (الكناك) ومجموع بنياتهم ، من خلال لغتهم . هكذا . لا توجد في (دوكامو) صفحة لا تعتمد من قريب أو بعيد على معنى الكلمات الحقيقى والمجازى للوصول الى فهم التفكير الميلانيزى (6) . ومن الامثلة البارزة على ذلك ، تحليل المؤلف ، في الفصل الاول . لاختلاف الاسماء التى يعبر بها (الكناك) عن التفكير . ان تفكيرهم وجدانى اصلا . وقد تطور الى ان اصبح قادرا على صياغة المفاهيم . ان اول درجة في المعرفة هى معطيات الوجدان . وان (الكناك) يعرفون ، كما يحسون ، بباطنهم . فمن اعماق مؤادهم يتصاعد كل يقين ، فيدلون على الفكر بلفظ « البطن » (7) : « وهكذا تصف اللغة بالمحسوس طلائع التفكير الوجدانية هذه ، الطلائع المتماثلة لدى جميع الشعوب » (8) ثم يوضح المؤلف التدرج الذى حصل في الالفاظ الدالة على التفكير ويصعبه تكاثر الكلمات المجردة او الكلية (9) .

من الامثلة ، كذلك : استخلاص مفهوم الزمان من اسماء الساعات والشهور ، او من طريقة حساب الايام ، او من الادوات النحوية الدالة على الزمان . اذ لا يوجد عند الكناكى مقياس دقيق للتعبير عنه : ان الزمان كيفى يتحدد بمحتواه . كما ان الكناكى لا يميز بين الماضى والحاضر والمستقبل (10) ، وانما يحيط بمجموع ذلك في نظرة واحدة ، وكأنه يعيش في ماض دائم او ديمومة لا تنقطع (11)

6 - نفس المصدر ، ص. 25

7 - نفس المصدر ، ص. 88

8 - نفس المصدر ، ص. 90

9 - نفس المصدر ، ص. 95

10 - انظر : « حينونة » عند م.ع. الحبابى

11 - انظر : « ديمومة » عند برجسون

يعد ( لينارت ) اول من طبق طريقة الاثنولوجيا اللغوية « او الملاحظة اللغوية » : كما سماها هو . انها طريقة تقوم على اعتبار أن اللغة تعكس في بنيتها الخاصة ذهنية المجتمع .

ومن بين طرائق ( لينارت ) التي كان له السبق في استعمالها : الوصف الفينومينولوجي . فكما يقول جان بوارىي ( J. Poirier ) « يعد عمل ( لينارت ) في هذا الميدان من جملة الاعمال الناجحة نجاحا يصعب تكراره كثيرا . فقد ترك الذهنية البدائية تشرح بمسها اسكاتها وحركات مكرها دون ان يفرص عليها تفسيرات واحكام قيمة خاضعة لمقتضيات الفكر الغربي . انه من اولئك الذين حاولوا أن يفهموها . لا ان يفسروا (12) » .

\* \* \*

بعد هذا العرض الوجيز لمنهج ( لينارت ) ولما بذل الطاهر وعزيز من جهود ليلوره . ننتقل الآن الى العناصر المحورية في ( دوكلو ) .

أبرز المترجم مختلف النظريات التي استمدتها ( لينارت ) من السوسولوجيين والاثنولوجيين وارتكز عليها في دراسته ، وحاول أحيانا ان يعرضها على محك الواقع الكانكي . وأحيانا أخرى أن يدمج نفي اطارها ما لاحظته من وقائع .

لا يكتفى الطاهر وعزيز بالعرض والترجمة ، بل يشرح النص ويعلق عليه ويناقشه ، ويتخذ أحيانا مواقف مما يعطى للكتاب بعدا جديدا . فهو ، مثلا ، يخالف ما قاله ( J. Poirier ) ( تلميذ ( لينارت ) ومساعدته من « أن سوسولوجية هذا المفكر لا تنطلق من النظرية لصياغة الوقائع صياغة مذهبية » . وقد أكد المؤلف نفسه أنه انطلق من الصفر ، بقطع النظر عن كل فكرة مسبقة ، وتخلّى عن النظريات . هكذا لم يفت المترجم ، علاوة على اهتمامه بإرجاع تفكير ( لينارت ) الى أصوله ، أن يقوم كلما اقتضى الامر ، بمقارنة هذا التفكير بأحدث النظريات في الاثنوبولوجيا الثقافية .

عرض المؤلف في فصول الكتاب الاثنى عشر . تصور ( الكانك )  
للفكر . ولمفهوم الجسد . ولمفهوم الحى والميت والزمان والقول . كما  
شرح علاقة الطوطمية عندهم بالحياة الوجدانية . وعلاقة المجتمع  
بالنصب الطقوسية . ووضح أنظمة الرئاسة و أشكالها الاسطورية .

وينتهى الكتاب بفصلين هامين . يدرس الاول بنية الشخص فـى  
العالم اليلانيزى وتخلص الشخصية من الرباط الاسطورى . اذ يكون  
الشخص اول الامر شخصية مجتمعية . أى مجرد مجموعة من العلاقات  
المعشرية . بحيث لا يتحدد الا بالدور الذى يلعبه داخل حياة الاسرة  
والعشيرة ، وفى الاحتفالات الطقوسية . . . .

أما الفصل الثانى فيهتم بعلاقة التفكير الاسطورى بالتفكير العقلى  
ويتكاملهما : « ان الاسطورة نمط من المعرفة الوجدانية يوازى نمط  
معرفتنا الموضوعية التى ينبىها المنهاج . وهما نمطان غير متنافيين » (13)

\* \* \*  
مما يجدر ذكره ان المساهمة العلمية للطاهر وعزيز لم تقف عندما  
سبق ذكره . بل اعتنى كذلك بوضع بيانات . فى بداية الفصول .  
تلخيصا وابرارا لاهم ما جاء فيها . ولم ينس أن يوجه النقد لبعض  
أفكار المؤلف كلما اقتضى الامر . سواء فى المدخل العام او فى التعليقات على  
الكتاب ، وخصوصا الآراء الشائعة عن الذهنية « البدائية » والنسب  
تبناها المؤلف ، مثل « العجز عن التصنيف » و « ندرة المفاهيم العامة »  
و « عدم وعى مبدأ التناقض » . وفى كل هذه المواقف . اعتمد المترجم  
على المقارنة بأحدث النظريات الاثنولوجية .

بالرغم عن ركاكة الاسلوب . فى كثير من الصفحات ، ورغبا عن  
الاغلاط المطبعية العديدة فان الترجمة امينة . ودقيقة وذكية . وتمتاز  
التعليق بالدقة والاطلاع الواسع . تلك ميزات لا تتوفر الا للباحثين  
المجدين الذين يحترمون العلم ويقدررون القارىء .

بالكتاب ( النص العربى ) 430 صفحة : من 6 الى 75 بحث  
يقدمه الطاهر وعزيز كمدخل الى دراسة (دوكامو) ومن ص 77 الى

---

(13) - نفس المصدر ، ص . 377

379 ، ترجمة النص ، ثم يعطى المترجم عشر ملحقات (383 الى 424)  
ذيلًا وتكملة يحد عليها . وبالكتاب كذلك . خرائط وصور . ( دوكامو)  
يشرف الطاهر وعزيز . كما يشرف كلية الآداب بجامعة محمد الخامس .



## بعض المراجع حول المرأة والعائلة في العالم العربي والمغرب بصفة خاصة

الفهرس : صفحة

|                                                      |     |
|------------------------------------------------------|-----|
| 1 - المقدمة                                          | 196 |
| 2 - مراجع حول المرأة والعائلة في العالم العربي       | 198 |
| أ - المراجع بالعربية                                 | 198 |
| ب - المراجع بالفرنسية                                | 211 |
| ج - المراجع بالانجليزية                              | 214 |
| 3 - مراجع حول المرأة والعائلة والمواضيع المرتبطة بها |     |
| فنى المغرب                                           | 215 |
| أ - المراجع بالعربية                                 | 215 |
| ب - المراجع بالفرنسية                                | 220 |
| ج - المراجع بالانجليزية                              | 234 |

**\* مراجع حول العائلة والمرأة ( والمواضيع المرتبطة بهما ) في  
العالم العربى بصفة عامة والمغرب بصفة خاصة .\***

— محاولة لإبراز الدراسات الحديثة كالبحوث التى أجريت فى  
الكليات والمعاهد ... الخ  
— انجز طرف من هذا العمل تحت اشراف اللجنة الاقتصادية  
لأفريقيا للأمم المتحدة ، ضمن نشاط سنة المرأة التى قام به مركز  
أديس أبابا .

فاطمة الرئيسى

بمساعدة :

نجاه زرياح ( الفرنسية )  
فوزية بلشقر ( العربية )  
غلىرى أزرار ( الانجليزية )

**المقدمة :**

من الغريب أن العائلة كمجال للبحث العلمى فى العالم العربى  
لم تنل لحد الآن الاهتمام اللائق . فجل الاجتماعيين الذين يسعون فى  
فهمدى التغير فى مجتمعنا ينكبون على تحليل مفاهيم كالطبقة أو الحركية  
الاجتماعية مثلا من خلال مؤسسات سياسية كالحزب وقيادته أو من  
خلال مظاهر اقتصادية كالاستثمار ، أو الإصلاح الزراعى .. الخ .  
فتحليل عمليات أم موقف أم مؤسسات اقتصادية أم سياسية محضة تحتكر  
جل مجهودات الاجتماعيين العرب الراغبين فى فهم تيارات التغير التى  
تخوضه مجتمعاتهم . ويعتبر الكثير منهم أن ميدان كالعائلة هو ميدان  
ثانوى ، هامشى فيها يخص انعكاسدى التطور وعمق التغير . والجدير

بالذكر ان هناك فئة محافظة من المفكرين الذين يحاولون اقناع المواطن العربى بان بعض المؤسسات كالعائلة جامدة لم تتغير قط . مثل هذه المحاولات لها معنى ايدىولوجى محدد لا مجال لمباشرته هنا . المهم هو ان هناك تيارا هاما يتجلى فى بحوث ومقالات وبرامج تليفزيونية وريدىومونية عديدة تحاول ان تقنع القارئ او الناظر او السامع ان العائلة العربية مؤسسة رالكة جامدة لم تتحرك ، يعدونها نائية عن الصراعات، سلمية من التناقضات التى تمزق المجتمع العربى فى هذه المرحلة الحاسمة من تصنيعه . فهذه اللاتحة من المراجع مجهود لابرار من خلال ما نشر حول هذا الموضوع المشاكل المطروحة فى مجال العائلة .

من الملاحظات الاساسية حول ما نشر فى هذا الميدان هو ان مواجهة مشاكل العائلة اتخذت فى اوائل القرن مظهر نقاش حول وضعيه المرأة . ولكن لما يتمتع القارئ فى المناقشات الحادة التى طالما اتخذت مظهر اصطدايات عنيفة بين « التقليديين » و « العصريين » فى العشرينات والثلاثينات ، يرى ان مضمون النقاش هو طريق التغير التى يجب ان تنهجه العائلة العربية . لم تكن المرأة فى غالب الاحيان الا وسيلة لمباشرة الموضوع .

الملاحظة الثانية هو ان التغير داخل العائلة يعتبر ويباشر من طرف جل الكتاب كمسألة دينية واخلاقية محضة لا علاقة لها بتفكك البنيسة الاقتصادية . لهذا يجب تكميل ما نشر فى هذا النطاق بالبحوث الاحصائية التى قام بها جهاز الاحصاء ووزارة التخطيط فى المغرب التى تعطينا نظرة واضحة عن مدى التحام مشاكل العائلة بالمشاكل الاقتصادية كالهجرة والبطالة ... الخ .

هذه محاولة بدائية لتكوين لائحة سيعاد نشرها كل سنة او سنتين وذلك بعد اندماج الجديد من المنشورات . فالمرغوب من القارئ هو تزويد المجلة بالبحوث والمقالات التى تقوم بها المؤسسات او الاشخاص فى المغرب ( او فى العالم العربى ) فى هذا المجال حتى نتمكن من اعطاء الباحث الفنى وسيلة فعالة لشرع عمله .

## مراجع حول المرأة والعائلة في العالم العربي

**ملاحظة :** من الصعب تحديد مقياس لتصنيف الدراسات حول المرأة والعائلة الى دراسات وطنية من جهة وعربية من جهة اخرى .

فهذه محاولة بدائية تجعل رهن اشارة الباحث وثيقة لمساعدته في الاطلاع على ما جاء في الموضوع وخاصة الحديث منه . لكن عليه ان يعيد النظر في هذا التصنيف على ضوء تطلعاته لحتواه .

### ١ - المرأة :

ان التاريخ المشار اليه ليس بالضرورة هو تاريخ الطبعة الاولى .

### ٢ - المرأة والاسلام

— الابرشى محمد عطيه « مكانة المرأة في الاسلام » القاهرة ، دار الشعب 1971 .

— اجايف احمد (مترجم) « حقوق المرأة في الاسلام » القاهرة مطبعة الجمهورية ، 1905

- أحمد فؤاد عبد المنعم « مبدأ المساواة في الإسلام » الاسكندرية، شركة الاسكندر للطباعة والنشر ، مؤسسة الثقافة الجامعية 1973 ( الباب الرابع « مشكلة المرأة ومبدأ المساواة في الإسلام » من 181 الى 243 )
- الامغانى سعيد « الإسلام والمرأة » دمشق، مطبعة الترقى 1940
- بنت الشاطيء (عائشة عبد الرحمن) « نساء النبي عليه الصلاة والسلام » ط 4 ، بيروت ، دار الكتاب العربى لبنان .
- الجبالى احمد « المرأة في مجتمع الانبياء » طنطا ، مطبعة مؤسسة البنين — 1969 .
- حسين احمد « الإسلام محور المرأة » القاهرة ، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية . 1968 (دراسات في الإسلام — 88 السنة الثامنة — اكتوبر 68)
- حسين على ابراهيم « نساء لهن في التاريخ الاسلامى نصيب » القاهرة مكتبة النهضة المصرية ، 1970 .
- حسين قديرية « شهرات النساء في العالم الاسلامى » جزاين خاتكى عبد العزيز امين (تعريب) مطبعة السعادة 1924 .
- حنفى ناصف مجد الدين « تحرير المرأة في الإسلام » القاهرة ، مطبعة أبى الهول 1924 .
- الحمد عبد القادر شيبه « حقوق المرأة في الإسلام » القاهرة ، دار الكتاب العربى — 1952 .
- الخولى البهى « الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة » ط 3 (مزيدة منفحة) ، الكويت دار العلم د. ت.
- دورة محمد عزة « المرأة في القرآن والحكمة » بيروت المكتبة المصرية 1968

- راضى على عبد الجليل « المرأة المسلمة اليوم » ط. 1. القاهرة ،  
مكتبة الانجلو المصرية د. ت. 1954 .
- الراعى مصطفى « كتاب المرأة المسلمة » ط 1 القاهرة مطبعة  
الجلبة الشيوعية ، 1941 .
- سامى حسين « حقوق المرأة وواجباتها فى الاسلام » ، القاهرة  
المطبعة السلفية ، 1934 .
- النشيل حامد محمد « المرأة فى الاسلام » ، القاهرة المطبعة السلفية  
1967 — 1968 .
- عفيفى عبد الله « المرأة العربية فى جاهليتها واسلامها »  
القاهرة ، مطبعة المعارف ، 1930 — جزء فى  
مجلدين .
- عفيفى عبد الله « المرأة العربية فى ظلال الاسلام » ، دار الكتاب  
العربى .
- العقاد عباس محمود « المرأة فى القرآن الكريم » القاهرة ، دار  
الهلل 1959 . ( كتاب اللل — 103 ) .
- العقاد عباس محمود « المرأة فى القرآن » ط. 3. بيروت ، لبنان ،  
دار الكتاب العربى ، 1969 .
- كزاره عباس « الدين والمرأة وما ورد فى حقها » الآيات  
القرآنية والاحاديث النبوية ط. 1. مصر،  
مطابع كزاره ، 1953 .
- كماله عمر رضا « اعلام النساء فى علامى العرب والاسلام » ،  
القاهرة ، د. ن. 1940 ( 3 ج ، 3 ع ) .
- محمد عبد الحميد ابراهيم « المرأة فى الاسلام » ، الحوفى احمد محمد  
( تقديم ومراجعة ) . القاهرة الدار القومية  
للطباعة والنشر ، 1963 ، ( سلسلة من  
الشرق والغرب ) .

— المطرانى احمد الحمدانى « المرأة في نظر الاسلام الحق » تونس ،  
الشركة التونسية لعنوان الرسم .

— النووى عبد الله « المرأة المسلمة في المجتمع المسلم » القاهرة  
مطبعة السعادة ، 1970 .

— وافي على عبد الواحد « المرأة في الاسلام » ، القاهرة مكتبة غرب ،  
1971 .

— وجدى محمد فريد « المرأة المسلمة » القاهرة ، مطبعة الدقى ،  
1901 .

— وجدى محمد فريد « المرأة المسلمة » رد على كتاب « المرأة الجديدة »  
لقاسم امين ، مطبعة هندية بمصر ، 1912 .

#### ب — المرأة والعمل والانداماج في التنمية :

— الجامعة الامريكية بالقاهرة « المرأة العربية والتنمية القومية » ،  
خلفية ديموغرافية . نادر مرجاني ( اعداد )  
مركز البحوث الاجتماعية ، القاهرة .

— منظمة الامم المتحدة للاطفال « المرأة العربية في التنمية القومية »  
د. هدى بدران ( اعداد ) القاهرة ، سبتمبر  
1972 .

#### ج — المرأة والاحتجاب والفسفور

— الالبانى الساعاتى محمد نامر الدين « حجاب المرأة المسلمة فى  
الكتاب والسنة » لجنة الشباب المسلم ، القاهرة  
المطبعة السلعية ، 1954 .

— حرب طلعت « فصل الخطاب في المرأة والحجاب » القاهرة  
مطبعة الدقى ، 1319 هـ . 1901 م .

— زين الدين نظيرة « السفن والحجاب » (محاضرات ونظريات)  
بيروت مطابع توزما ، 1928 .

- الفلايينى مصطفى « نظريات فى كتاب السفور والحجاب المنسوب الى الانسة (نظيرة زين الدين) » ، بيروت ، مطابع توزنا ، 1928 .
- فخرى محمد « تحرير المرأة والسفور » القاهرة حسين باشا وحسين 1920 .
- مختار بن احمد « فصل الخطاب او تفليس ايليس من تحرير المرأة ورفع الحجاب » ، بيروت ، المطبعة الادبية 1901 .

#### د. المرأة ، دراسات عامة

- ابراهيم جبارك « نساء شهيرات » ، القاهرة ، دار المعارف للطباعة والنشر ، 1952 (اقرأ 119 )
- ابو الوفا عبد اللطيف « تهذيب المرأة والرجل بالامثال » الاسكندرية مطبعة السفير ، 1936 .
- الاتحاد النسائى المصرى « المرأة العربية وقضية فلسطين » القاهرة المطبعة الاميرية ، 1939 .
- امين قاسم « تحرير المرأة » القاهرة ، دار المعارف بمصر 1970 .
- امين قاسم « تحرير المرأة » عموم المكاتب بمصر والخارج ( بمناسبة مرور 20 سنة على وفاة الفقيد ، طبع هذا الكتاب تذكرا له )
- امين قاسم « المرأة الجديدة » القاهرة ، مطبعة المعارف ، 1900 ، مطبعة الشعب 1911 .
- البرقوتى عبد الرحمان « دولة النساء » معجم عن المرأة ، القاهرة دار النهضة المصرية ، 1945 .
- البستاني محرم « النساء العربيات » بيروت ، مكتبة صادر د. ت.



- البندارى محمد « المرأة ومركزها الاجتماعى فى الدول » القاهرة مطبعة خطاب. 1951 ( فى الاصلاح الاجتماعى )
- بيهم محمد جميل « فتاة الشرق فى حضارة الغرب » ( تطور الفكر العربى فى موضوع المرأة خلال القرن العشرين ) بيروت : د. ن. 1952 .
- بيهم محمد جميل « المرأة فى التاريخ والتشريع » بيروت 1921 .
- بيهم محمد جميل « المرأة فى التمدن الحديث (تطور القضية النسائية على وجه عام منذ القرون الوسطى حتى الآن ) » بيروت . مطبعة السلام . 1927 .
- بيهم محمد جميل « المرأة فى حضارة الغرب والعرب فى تاريخ المرأة » ط. 1 بيروت ، دار النشر للجامعيين . 1962
- ثابست محمد « نساء العالم » القاهرة ، المطبعة العالمية . 1954 .
- جمال الدين نجيب « حول المرأة » دراسة علمية اجتماعية تاريخية ، آراء ونظريات حديثة . 1947 .
- حجازى عرفات محمود « المرأة والانتخاب » القدس د. ن. 1956 .
- الحداد الطاهرى « امرأتنا فى التشريعة » النشرة الثانية. تونس مطبعة فاندى — الدار التونسية للنشر — 1972
- الحسنى الادهمى عبد القادر بن على « مرآة النساء فيما حسن منهم ونساء » القاهرة . مطبعة المحموديه التجارية 1934 — 1935 .
- حنفى ناصف مالك « النسائيات » ( مجموعة مقالات نشرت فى الجريدة فى موضوع المرأة المصرية . القاهرة . مطبعة الجريدة . 1910
- حاكى احمد « المرأة فى مختلف العصور » القاهرة . دار المعارف 1947 .

— الخماش سلسوى « المرأة العربية والمجتمع التقليدى المتخلف »  
ط 1 . بيروت . دار الحقيقة 1973 .

— الدفتى دار هاشم والزعبي محمد على  
« حياة المرأة فى السياسة والاجتماع » ط 1 .  
بيروت . دار الانصاف 1949 . الكتاب الاول

— رضا محمد رشيد « نداء للجنس اللطيف يوم المولد النبوى الشريف »  
القاهرة ، مطبعة المنار — 1932 . 1933 . الد

— رضوان حسن « المرأة بين الماضى والحاضر » بيروت مكتبة  
العلوم ، 1970 .

— الرمالى محمد عبد الحليم « بحث تحليلى فى قضية المرأة ومكانها  
الطبيعى فى المجتمع » القاهرة . مطبعة المنارة  
1943 .

— زناتى محمود سلام « اختلاط الجنسية عند العرب » الاسكندرية .  
دار الجامعات المصرية للطباعة والنشر 1959  
( دراسات حول وضع المرأة الاجتماعى والقانونى  
فى العصور القديمة — 3 )

— السابق مسروان « المرأة فى القرن العشرين » ط 1 . بيروت  
لبنان مطبعة جوزف سليم صيقل .

— السباعى محمد « المرأة الجديدة فى مركزها الاجتماعى » ،  
مطبعة السعادة . 1926 .

— السعداوى نوال « المرأة والجنس » ط 3 . مطبعة المتوسط ،  
المكس لبنان ، المؤسسة العربية للدراسات  
والنشر . 1974

— السعداوى نوال « المرأة والجنس » ( الانثى هى الاصل ) ف 2 .  
لبنان . المؤسسة العربية للدراسات والنشر  
1974 .

— سكاكينى وداد « انصاف المرأة » 2 جزء . دمشق . مطبعة  
الثبات : 1950 .

- الشافعى كامل « تطور المرأة » . القاهرة . دار الكتاب العربى 1952 .
- شريف منير « مستقبل المرأة العربية فى البيت والمجتمع » ، ط. 1 . دمشق . دار اليقظة العربية . 1953 .
- صبرى محطفى « قولى فى المرأة ومقارنته بأقوال مقلدى الغرب » القاهرة . المطبعة السلفية . 1935 . 1936 .
- عبد الله صوفى « نساء محاربات » ط. 1 . القاهرة . دار المعارف 1951 . ( اقرا 99 ) .
- عبد المجيد نايبة « المرأة فى ميادين الكفاح » القاهرة . وزارة الثقافة المؤسسة المصرية للتأليف والنشر . دار الكتاب العربى للطباعة والنشر . 1967 .
- عتر نور الدين « ماذا عن المرأة » ط. 2 . دار الفكر . 1395 هـ 1975 م .
- على على محمد « استعباد المرأة » القاهرة الدار القومية للطباعة والنشر . الهيئة . 1973 ( من الشرق والغرب 90 )
- عيسى بك أحمد « فى تاريخ البنات عند العرب » ط. 1 . القاهرة 249 د . ن . 1944 .
- فخرى الدين نواد محمد « المشكلة النسائية » ط. 1 . القاهرة . مكتبة مصطفى البابى الحلبي . 1956 .
- فراج عفيف « الحرية فى ادب المرأة » . بيروت دار الفارابى 1975 .
- فوزى حسين « المرأة وآراء الفلاسفة » القاهرة . مطبعة مصر 1925 — 1926 .
- القلبنى روجية « شاعرات عربيات » ( عائشة التيمورية — ملك حفنى ناصف — رابعة العدوية — الخنساء ) مصر ، الدار القومية للطباعة والنشر . 1974

- محي إبراهيم عبد الله « مشكلات المرأة في البلاد العربية » . بغداد . مطبعة الرابطة . 1958 .
- المصري عبد الرؤوف رزق اسماعيل « المرأة هي الاصل » . نابلس . المطبعة المصرية . 1957 .
- مظهر اسماعيل « المرأة في عصر الديمقراطية » القاهرة . مكتبة النهضة . 1949 .
- المغربي عبد القادر « محمد والمرأة » (محاضرات ) . دمشق . مطابع توزيما . 1928 .

## II — العائلة :

- الرهونجي محمد « الزواج وعلاقة المرأة بالرجل » ط . 1 . دمشق 1391 هـ — 1971 م
- الساعاتي سامية حسن « الاختيار للزواج والتغير الاجتماعي » . بيروت ، دار النجاح . 1973 .
- سليمان موسى « الحب العذري » ط . 3 . بيروت ، دار مكتبة الحياة ، 1961 .
- عبد الواحد مصطفى « الاسلام والمشكلة الجنسية » (نظرات السى الواقع تستهدى روح الاسلام ) ط . 2 . القاهرة . مطبعة : حسان مكتبة المتنبي — 1392 هـ . 1972 م .
- د . شكري علياء : د . الجوهري محمد ، د . الحسنى محمد « الاسرة ومشكلاتها في المجتمع المعاصر » ، الفجالة مطبعة دار نشر الثقافة — دار الثقافة للطباعة والنشر بالقاهرة ، 1974 .
- العظيم صادق جلال « في الحب والحب العذري » ط . 2 . بيروت . دار الكتاب العربي — دار العودة 1974 .

— الفاضل صلاح الدين « الاسرة والمرأة » . بغداد . شركة الطباعة والنشر الاهلية . 1958 . موطأ المدونات العربية المعاصرة .

— وافي على عبد الواحد « الاسرة والمجتمع » ط. 6 . الفجالة . مطبعة لجنة البيان العربي — مكتبة نهضة مصر . 1386 هـ . 1966 م .

— ياسين بوعلى « النكاح المحرم » ( دراسات في الدين والجنس والصراع الطبقي ) ط. 1 . بيروت . دار الطليعة . 1973 .

#### — العقلة ، الجانب القانوني

— ابراهيم احمد « احكام الاصول الشخصية في الشريعة الاسلامية في الزواج وحقوق الزوجية وفراق النكاح وثبوت النسب والرضاع والتفقات » القاهرة مطبعة الفتوح . 1925 .

— ابراهيم احمد ابراهيم « نظام التفقات في الشريعة الاسلامية » القاهرة المطبعة السلفية . 1930 .

— أبو زيد محمد « الزواج والطلاق المدني في القرآن » القاهرة ، مطبعة التقدم الحديثة — 1927 — 1928 .

— جودة عبد السلام « تعدد الزوجات » القاهرة ، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية 1969 .

— حميد الله على « الزواج في الشريعة الاسلامية ط. 1 القاهرة دار العهد الجديد للطباعة . دار الفكر العربي ، 1971 .

— حسن أسعد لطفى « الزواج في الاسلام وأزواج النبي محمد عليه الصلاة والسلام » القاهرة ، المطبعة البهية المصرية ، 1938 .

- حسين منير « الزواج والطلاق » القاهرة . دار الفكر الحديث للطباعة والنشر . 1959 .
- الحقبى على « فرق الزواج في المذاهب الاسلامية » . بحث مقارن القاهرة . معهد الدراسات العربية العالمية 1958 .
- خلاف عبد الوهاب « احكام الاصول الشخصية في الشريعة الاسلامية ط. 2 . القاهرة . مكتبة عبد الله وهبة . 1938
- الخولى البهى « منهاج الاسلام في الزواج والطلاق » القاهرة المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية 1962 .
- السباعى مصطفى « المرأة بين الفقه والقانون » ط. 2 . حلب . المكتبة العربية . 1966 .
- شاكرا احمد محمد « نظام الطلاق في الاسلام » ط. 2 . القاهرة . مكتبة النجاح ومطبعتها : 1970 .
- الصابوني عبد الرحمان « مدى حرية الزوجة في الطلاق في الشريعة الاسلامية » دمشق . جامعة دمشق . 1962 ( جزآن )
- الطنطاوى محمود محمد « الاحوال الشخصية فى الشريعة الاسلامية » القاهرة . دار النهضة العربية 1971 .
- عبد الحميد محمد محي الدين « الاحوال الشخصية فى الشريعة الاسلامية » ط. 2 . القاهرة . المكتبة التجارية الكبرى ، 1958 .
- المطار عبد الناصر توفيق « تعدد الزوجات من النواحي الدينية والاجتماعية والقانونية » القاهرة ، مجمع البحوث الاسلامية بالازهر ، 1972 ( سلسلة البحوث الاسلامية )

— الفندور أحمد « الطلاق في الشريعة الإسلامية والقانون »  
( بحث مقارن ) . القاهرة . دار المعارف .  
1967 .

— مغنية محمد جواد « الزواج والطلاق على المذاهب الخمسة —  
الجعفرى — الحنفى — المالكى — الشافعى —  
الحنبلى » بيروت ، دار العلم للملايين . 1960

— موسى محمد يوسف « احكام الاحوال الشخصية في الفقه الاسلامى »  
القاهرة مؤسسة الخاتنى . 1958 .

— وزارة الشؤون الاجتماعية « بحث عن القوانين والتشريعات التى تتحكم  
في وضع الاسرة العربية » جمهورية مصر  
العربية . 1972 .

### مختارات من النصوص الاصلية الاساسية في الزواج والطلاق الاسلامى

— الامام ابن الحسن مسلم بن الحجاج « الجامع الصحيح » عن  
الزواج ج 3 بيروت . المكتب التجارى للطباعة  
والنشر والتوزيع .

— الامام العلامة ابى عبد الله محمد ابن اسماعيل البخارى « كتاب  
الجامع الصحيح »

— « كتاب النكاح » من ص 1 الى 47 .

— « كتاب الطلاق » من ص 47 الى 74 .

نشره رودلف كريل ، ج 3 ليد ، بغل ، مطبعة  
الجامعة . 1868 .

— الامام عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى « سنن الترمذى »  
ج 2 « ابواب النكاح » من ص 273 الى 420  
« ابواب الطلاق » من ص 420 الى 439 .  
محمد عبد الحسن الكتبى — صاحب المكتبة  
السلفية المدنية .

— الإمام الغزالي . « كتاب آداب النكاح » من ص 20 — المكتبة  
التجارية الكبرى بمصر .

— الإمام مالك بن أنس « موطأ الإمام مالك » — « كتاب النكاح » من  
ص 2 إلى ص 15 .

« كتاب الطلاق » من ص 16 إلى ص 38 .  
مطبعة الشيخ مصطفى البابي الحلبي وأولاده  
بمصر .



## BIBLIOGRAPHIE des ETUDES et OUVRAGES en LANGUE FRANÇAISE

### FEMMES ARABES

#### — Femme Afrique du Nord

— ADNAN, L.

« Trois Africaines à Paris » (Marocaine, Algérienne, Tunisienne). **Jeune Afrique** (Tunis) n° 301 - 16 Oct. 1966.

— BEROUEJ.

« Pourquoi, chez la femme, la crise a éclaté maintenant et pas avant ? », **Faiza**, Tunis, n° 56 Mars-Avril 1967.

— BLAN, A.

« L'évolution intellectuelle, morale et sociale de la jeune fille musulmane » **Revue de psychologie des peuples**, Le Havre, n° 13 - 1958.

— BOUBAKER, H.

« La musulmane Nord-Africaine d'aujourd'hui » synthèse bruxelles, N° 67 Décembre 1951.

— CHELLI, U.

« Les maghrébines en dehors de la cité » **jeune Afrique**, Tunis, n° 327,16 Avril 1967.

— MILLIAT, L.

« La femme musulmane au Maghreb » **Rev alg des sc. jur. écon. et pol** 1969.

— TILLON, Germaine

« **Le Harem et les cousins** » Editions du seuil ; Paris VI 1966.

— TILLON, Germaine

« Les femmes et le voile dans la civilisation méditerranéenne » **In études maghrébines**, mélanges ch. A. Julien, Paris 1964.

— VON ALLMAN, M.

« **Mariage et reproduction familiale quelques aspects d'une problématique de recherche** », Association algérienne pour la recherche démographique économique et sociale - Alger.

#### Famille Arabe Musulman :

— CALTEZ, p.

« La famille Patriarcale en Afrique Berbère » **Etudes sociales Nord-Africaines**, Paris, cahiers 7-8-1950.

— CUISENIER, A.

« Endogénie et exogamie dans le mariage Arabe » **l'Homme**, Paris, Mai-Aout 1962.

- DRESSEN, Christiane
  - « L'adaptation des familles Nord-Africaines au changement social en France » Séminaire sur la famille Arabe - UNESCO 1-5 Juillet 1974, Beirut, Lebanon.
- EL DAGHES, M. Kazem.
  - « l'évolution de la famille musulmane dans les pays du moyen-orient » **Bull. intern. des sciences sociales** V, 4, 1953, p. 725.
- MEMMI, A.
  - « Polygamie et interpretation des civilisations ». **Bulletin économique Tunisien**, Tunis n° 48 Février 1951.
- **Quelques familles Nord-Africaines en France. Etudes sociales Nord-Africaines**, Paris, cahier n° 67 octobre-Novembre 1958.
- GUEMENEUR, J.
  - « Cinquante proverbes sur la famille », **IBLA**, Tunis 2ème année n° 94, 2<sup>e</sup> trim. 1961.
- PANQUE, L.P.
  - « La famille musulmane au contact de l'occident » Aperçu d'évolution comparée. **Les cahiers de Faits et idées**. Rabat N° 1, 1955.
- RONDOT, P.
  - « Bref aperçu des problèmes modernes de la famille musulmane ». **Afrique, Asie**, Paris, N° 53 1er Trim. 1961.
  - « Les mutations actuelle de la famille au Magreb » 3ème séminaire en revue Tunisienne des sciences sociales, Tunis, 4ème année N° 11 Octobre 1967.

#### **AFRIQUE du NORD et (Monde Arabe), Aspect Juridique de la famille**

- AL-ANNABI, al-Tayyib :
  - « Le divorce dans la loi et la société » (analyse détaillée et traduction partielle). dans **IBLA**, Tunis.
- AOUISSI MECHRI, Cheikh
  - « Les causes classiques de l'instabilité du mariage ». **Revue Alg. des sci. Jurid. écono. et politique** vol. V, N° 4 1968, P. 1091 - 1100.
- BOUSQUEL, G.H.
  - « Islamic law and customary law in French North Africa » **Journal of comparative law**. London 1950.
  - « Communications, pour l'étude des droits Berbères » **Hespéris**, 1952 T. 39 p. 501, Facultés des lettres Rabat.
- BORRMAN, Maurice
  - « Statut personnel et famille au maghreb de 1940 à nos jours » Thèse d'Etat qui touche à la sociologie de l'Afrique du Nord, soutenue en 1970, sous la dir. de M. ARNALDÉZ

- BORRMAN, Maurice
  - « Codes de statut personnel et évolution sociale en certains pays musulmans » dans IBLA ; n° 103-3, p. 205-260.
- BECHEUR, Ali
  - « La notion de garde dans le droit tunisien de la famille » Revue Algérienne des sciences p. 1149-1160.
- CHEHATA, Chafik.
  - « L'évolution moderne du droit de la famille en pays d'islam » dans revue d'études islamiques, Paris, XXX, VII, n° 1 1969, p. 103-114.
- EL JAZOULI, Nouredine.
  - « Les causes d'instabilité du mariage, les modes de dissolution du mariage en droit marocain », Revue, algérienne des sciences juridiques, économiques et politiques, vol. V N° 4 décembre 1968 p. 1117-1126.
- FOUJIL, Abdelkader.
  - « De quelques causes modernes de l'instabilité du mariage, de la procédure en matière de divorce et du rôle du juge », Rev. alg. des sc. jur., éco. et pol. vol. 4 déc. 1968 p. 1101-1105.
- HAROUN, Mohamed Ali.
  - « Les causes modernes d'instabilité du mariage », Rev. alg. des sc. jur. éco. et pol. Vol. V n° 4 déc. 1968 p. 1127-1138.
- ISSAD, Mohamed.
  - « Le rôle du juge et la volonté des parties dans la rupture du lien conjugal. » Rev. alg. des sc. jur. éc. et pol. vol. V n° 4 déc. 1968, p. 1065-1090.
- LINANT De BELLEFONDS y
  - 1965 t. 2 - le mariage et sa dissolution - 483 p.
- MOKRANE Mohamed, Hadj Ali.
  - « l'entretien de l'enfant de parents divorcés » Rv. alg. des sc. jur. éco. et pol. vol. V n° 4 déc. 1968, p. 1065-1090.
- Résolution finale du congrès de juristes sur la famille (Alger, 8 - 10 mai 1968), Revue de presse, algèr n° 125, mai 1968.
- ROUSSIER, J.
  - « Le mariage du mineur dans le statut musulman » Revue algérienne, Tunisienne, marocaine de législation et juris. alger, n° 75 1959.
- VERDIER, Jean-Maurice.
  - « Les grandes tendances de l'évolution du droit des personnes et de la famille dans les pays musulmans » Revue Algérienne des sciences juridiques, éco. et pol. vol. V n° 4 déc. 1968 p. 1051-1064.

## ARAB WOMEN

(Reference to recent studies only)

Hussein, Aziza. Role of Women in the Arab World. WFUNA/ISMUN Summer School 1974, **The Roles of Women in Society and in Development** Nordiska Folkhogskolan, Kungal, Sweden, 4-18 August, 1974.

Abu-Zahra, Nadia M. On the Modesty of Women in Arab Muslim Villages : A Reply. **American Anthropologist**, Vol. 72, 1970.

Nelson, Cynthia. Public and Private Politics : Women in the Middle Eastern World. **American Ethnologist**, Vol. 1, N° 3, 1975, page 551.

Youssef, Nadia H. Women's Status and Fertility in Muslim Countries of the Middle East and Asia. Prepared for Symposium : **Women's Status and Fertility around the World**. Sponsored by the American Psychological Association, August 30 September 3, 1974. New Orleans.

Youssef, Nadia. Cultural Ideals, Feminine Behaviour and Kinship Control **Comparative Studies in Society and History. An International Quarterly**, Vol. 15, N° 3, June 1973

Youssef, Nadia H. Social Structure and the Female Labor Force : The Case of Women Workers in Muslim Middle Eastern Countries. **Demography**, Vol. 8, N° 4, Novembre 1971, page 427.

Youssef, Nadia. Women and Work in Developing Societies. **Population Monograph Series**, University of California, Berkeley, 1974.

Mernissi, Fatima. **Beyond the Veil**. New York, Schenkman Publishing Company, Inc., Wiley and Sons, 1975.

Radawi, Dr. Gamal A. **Status of Woman in Islam**. The Muslim Students Association of the United States and Canada, 1972.

Youssef, Nadia. Differential Labor Force Participation of Women In Latin American and Middle Eastern Countries : The Influence of Family Characteristics. **Social Forces**, Vol. 51, Decembre 1972, page 135

## مراجع حول المرأة والعائلة والمواضيع المرتبطة في المغرب

(محاولة لإبراز الدراسات الحديثة التي صدرت في هذه الميادين  
كالبحوث في الكليات والمعاهد ... الخ)

### العائلة :

- امزورى عبد الله « الاستهلاك العائلى فى المجتمع البدوى ، مقارنة بين الاحياء والوحدات العصرية بالبير الجديد (ناحية الجديدة ) » ( بحث السنة الرابعة من الاجازة فى علم الاجتماع بكلية الآداب بالرباط لسنة 75-76 ) تحت اشراف الاستاذة فاطمة المرينسى .
- امغنوج محمد « مشاكل الشباب وعلاقتهم العائلية » ( بحث السنة الرابعة من الاجازة فى علم الاجتماع بكلية الآداب بالرباط لسنة 75 - 1976 تحت اشراف الاستاذة فاطمة المرينسى .
- آيت لحسن محمد « موقف الشباب من الزواج والاسرة فى أبى الجعد » ( بحث السنة الرابعة من الاجازة فى علم الاجتماع بكلية الآداب بالرباط لسنة 75-76 ) تحت اشراف الاستاذ محمد محمد الزليانى .
- بحراوى حميد « تطور الادوار الزوجية فى العائلة المغربية » ( بحث السنة الرابعة من الاجازة فى علم الاجتماع بكلية الاداب بالرباط لسنة 74-75 ) تحت اشراف الاستاذة فاطمة المرينسى .

— البدرأوى الباتول « الزواج بالاجنبيات في المغرب » ( رسالة لنيل  
دبلوم الدراسات العليا في علم الاجتماع بكلية  
الأدب بالرباط ) تحت اشراف الاستاذ محمد

جسوس .

— دارم محمد « تأثير المهدايا وغلاء المهر على الزواج » بحث  
السنة الرابعة من الاجازة في علم الاجتماع بكلية  
الأدب بالرباط لسنة 1975-1976 تحت اشراف  
الاستاذ محمد محمد الزلياني

— الفاسي علال « التقاد الذاتي » بيروت ، لبنان ، دار الكشف  
للنشر والطباعة والتوزيع — 1966 ( الباب  
الرابع — عن العائلة والمرأة في المجتمع المغربي)  
من ص 237 الى ص 443 .

— مزازي فتيحة « الاسباب العائلية لجنوح الاحداث الموجودين  
بمركز تمارة » ( بحث السنة الرابعة من الاجازة  
في علم الاجتماع بكلية الأدب بالرباط لسنة  
1975-1976 تحت اشراف الاستاذة فاطمة  
المرينسي .

— فكار رشدي « الشباب وحرية الاختيار » ، الرباط ، دار  
المعارف 1975 .

— قائد عبد الفقار « ظاهرة البقاء في مدينة سطات » (بحث السنة  
الرابعة من الاجازة في علم الاجتماع بكلية الأدب  
بالرباط لسنة 1975-1976 تحت اشراف الاستاذة  
فاطمة المرينسي .

— تميمي احمد « العلاقة بين الوسط العائلي والحياة المدرسية »  
( بحث السنة الرابعة من الاجازة في علم  
الاجتماع بكلية الأدب بالرباط لسنة 1975-76)  
تحت اشراف الاستاذة فاطمة المرينسي .

— المسدالي خديجة « ظاهرة البقاء في المغرب في الوقت الحاضر »  
( رسالة دبلوم الدراسات العليا في علم الاجتماع  
بكلية الأدب بالرباط لسنة 1976 تحت اشراف  
الاستاذ على سامي النشار .

### العائلة ، الجانب القانوني :

- الحجوى محمد المهدى « المرأة بين الشرع والقانون » ط. I. الدار البيضاء مطابع دار الكتاب 1967
- عبود رشيد عبود « الأحوال الشخصية » قواعد ونصوص وشروح ط. 1. الدار البيضاء : مطبعة النجاح مكتبة الرشاد (الدار البيضاء — فاس) نشر وتوزيع ، 1965 .
- العراقي حماد « شرح قانون الزواج المغربي » الكتاب الاول — الدار البيضاء ، المطبعة الملكية (ملكا اخوان) يناير 1965 .

### المرأة :

- اليه محمد « رأى الرجل المغربى فى المرأة المغربية فى مدينة ابى الجعد » ( بحث السنة الرابعة من الاجازة فى علم الاجتماع بكلية الآداب بالرباط لسنة 74-1975) تحت اشراف الاستاذة فاطمة المرينسى .
- برادة لطيفة (اعداد) « المرأة والمغرب الجديد » مجلة دراسية حول المرأة الوردانية — فى نطاق اسبوع الانعاش النسوى تحت شعار المرأة عضو فعال فى التنمية والتحرير ، يونيه 1976 .
- « التعاون الوطنى » عدد مهتاز عن المرأة — الدار البيضاء، مطابع دار الكتاب ( العدد لا يحمل أى تاريخ )
- تقوى رشيدة « بعض المشاكل الاجتماعية من خلال بريسد البرنامج الاذاعى « دنيا المرأة » » ( بحث السنة الرابعة من الاجازة فى علم الاجتماع بكلية الآداب لسنة 75-1976 تحت اشراف الاستاذة فاطمة المرينسى .

— الزياتى محمد « دراسة لمظاهر القلق النفسى عند الفتاة الجامعية ( كلية الآداب بالرباط ) » ( بحث السنة الرابعة من الاجازة فى علم النفس بكلية الآداب لسنة 75-1976 ) تحت اشراف الاستاذة كاميليا عبد الفتاح .

— تكار رشدى (اشراف) « استطلاع حول الفتاة الجامعية المغربية » مشاكلها ومطامحها من خلال حياتها اليومية .  
فصلة من مجلة « الباحث » . عدد (1) سنة 1972 — فاس . المغرب مطبعة محمد الخامس الثقافية والجامعية . 1392 هـ . — 1972 م .

— « الفنون » (مجلة) تصدرها وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية عدد خاص بالمرأة المغربية ( ملحق بهناسة عيد الطفولة ) . العدد 9 و 10 ، السنة الثانية — الرباط . مطبعة فضالة بوليوز — غشت 1975

— مايمنون نادية « موقف الطالبة المغربية ( من اختيار الزواج ) » ( بحث السنة الرابعة من الاجازة فى علم الاجتماع بكلية الآداب لسنة 75-1976 ) تحت اشراف الاستاذة فاطمة المرينى .

— المرينى امينة « المرأة من خلال بعض الكتب المدرسية » (بحث أنجز فى اطار المدرسة العليا للاساتذة بالرباط . 1976 . ( لم ينشر بعد )

#### المرأة والعمل

— بلميد بودرييس « النتائج النفسية المترتبة عن اشتغال المرأة (دراسة للعاملات فى صناعة الزرابى بمدينة سلا ) » ( بحث السنة الرابعة من الاجازة فى علم النفس بكلية الآداب لسنة 75-1976 ) تحت اشراف الاستاذة كاميليا عبد الفتاح



— بنرضوان مصطفى « **وضعية المرأة العاملة في الصناعة التقليدية بمدينة تطوان** » ( بحث السنة الرابعة من  
الاجازة في علم الاجتماع بكلية الآداب لسنة  
1975-76 تحت اشراف الاستاذة فاطمة  
المرنيسي .

— الجامعي شرملة « **بعض مشاكل المرأة الموظفة** » بحث السنة  
الرابعة من الاجازة في علم الاجتماع بكلية  
الآداب بالرباط لسنة 1974-75 تحت اشراف  
الاستاذ محمد جوس .

— الخياري رقيسة « **وضعية المرأة العاملة في لسافط** » بحث  
السنة الرابعة من الاجازة في علم الاجتماع بكلية  
الآداب بالرباط لسنة 1975-76 تحت اشراف  
عبد الكبير الخطيبي

— النجوى عبد الغنى « **دراسة عن المرأة العاملة في الحضر (الرباط)**  
**وضعيتها الاقتصادية والاجتماعية** » بحث  
السنة الرابعة من الاجازة في علم الاجتماع  
بكلية الآداب بالرباط لسنة 1975-76 تحت  
اشراف الاستاذة فاطمة المرنيسي .

## FAMILLE MAROCAINE

ADAM, Andre

«Casablanca - Essai sur la transformation de la société marocaine au contact de l'occident», Paris 1972 (Chapitre sur la famille et la femme p. 773.

ALERINI, A. et MANGE, O.

«Evolution de la famille traditionnelle et patriarcale dans la tribu de lhezrane, de l'annéxe d'ahermoumou» **Cahiers des Faits et idées**, N° 1 1955, Rabat, pp. 13 à 25

BAON, A. M.

«Mariages et Divorces à Casablanca» **Hesperis** 1953 - p. 454 - p. 747 Adam

BARON, A.M. ; NIROT, Henri :

«La famille marocaine face à l'occident».

BARON, A.M. ; PIROT, Henri :

«La famille prolétarienne : les cahiers de Faits et idées, 1955, N° 1

BERQUE, Jacques :

«Structures sociales du Haut Atlas», Paris, Presses Universitaires de France. Bibliothèque de sociologie contemporaine série B. Travaux du Centre d'Etudes sociologiques, 1955 (Chap. sur la femme et la famille)

--- BUTTIN, Paul :

«Ombre et lumière sur le Maroc : II la promotion féminine» **Confluent** p. 460.

- CHENE, M. R.

«La vie des familles dans les foundouks des médinas de Rabat et salé» Ministère de la santé Publique, Rabat Mai 1968

- CHOUKHRALLAH :

«Les abandons de foyers» mémoire de l'école des cadres, Rabat 1970

GUY, Martinet :

«La famille Bourgeoise marocaine» **cahiers de faits et idées**, Année 1955 N° 1 p. 55-70.

- LAOUST, E.  
«Le mariage chez les Berberes du Maroc», **Les archives Berberes**, 1, 1915 : p. 51.
- RADI, Abdelwahad :  
«**Les factures déterminant le changement social au Maroc et leur influence sur la structure et les fonctions de la famille**» Travail fait dans le cadre d'un projet d'études sur la famille, CURS, UNESCO 1974.
- WESTERMARCK, E. :  
«**Les cérémonies du mariage au Maroc**» Trad. J. Arin, Paris, Le roux 1921.
- BUDJETS FAMILIAUX :  
«**Une étude sur quelques Budgets familiaux de paysans moyens dans la région de Sefrou**» Mémoire de licence faculté de droit Rabat.
- CHRAIBI, Abdel'ahab :  
«**Les dépenses des familles du bidonville de Sidi Othmane**», Mémoire de licence, Sciences économiques de la Faculté de droit de Casablanca 1974-75.
- ER-RBIBI, Omar :  
«**Revenus et dépenses d'une famille paysanne moyenne du douar Lalla Ariba**» mémoire de licence sous la direction de M. OUALALOU, Faculté de Droit 1972-73 Rabat.
- ZAGHLOUL, Ismail  
«**Etude d'un budget familial-recettes et dépenses d'un ouvrier paysan de la région d'Oujda**» mémoire de licence, faculté de Droit Rabat 1963-64.
- **ASPECT JURIDIQUE DE LA FAMILLE**
- ABBOUD, Moussa  
«**La capacité de la femme Mariée marocaine pour exercer le commerce**» mémoire de licence faculté de Droit de RABAT.
- ANDERSON, J.N.D. :  
«**Reforms in family law in morocco**» «of African law» N° 2 1958 146-59
- BELLEFONDS (De), Linant :  
«**Le divorce pour préjudice en droit en droit marocain**» dans «**Revue marocaine de droit**» 1964 N° 10 p. 433
- BOUSQUET, G.H. :  
«**Le droit coutumier des Ait Haddidou des Assid Melloul et Isselaten**» **Annales de l'institut d'études orientales**, Alger, XIV, 1956, p. 132.

--- CHERIF, Noureddine :

«Les conflits de lois en matière de mariage en droit international privé marocain» mémoire de Diplôme d'Etudes Supérieures. Faculté de Droit Rabat.

--- COLOMER, Andre :

«Le code du Statut personnel marocain» (texte et commentaires) *Revue algérienne, tunisienne et marocaine de législation et de jurisprudence*, 1961, fasc. 4,5 et 6, p. 79-201.

--- DECROUX, Paul :

«Le problème du statut personnel au Maroc» dans *travaux et jours*, Beyrouth, janvier-fevrier 1962, n° p. 69-80.

--- CALLAGHER, C.F. :

«New Laws for Old : the moroccan code of personnel status» *A.U.F.S. report North Africa series V*, n° 1 1959.

«Le code marocain de statut personnel» dans *revue juridique et politique de l'Union française*, 1959, p. 75-99.

--- FESLE, O.

«La femme musulmane dans le droit, la religion, et les mœurs» les éditions la porte Rabat 1946.

TAHRI, Z. :

«L'adoption au Maroc» mémoire de l'école des cadres Rabat 1966

#### STATISTIQUE, ENQUETES PORTANT SUR DES ASPECTS DE LA FAMILLE AU MAROC

--- CARACTERISTIQUES DEMOGRAPHIQUES

--- **As-Soukane**, études du centre de recherches et d'études démographiques Direction de la statistique, centre de recherches et d'études démographiques Rabat, N° 1 Janvier 1973.

--- **As-Soukane**, études du centre de recherches et d'études démographiques Direction de la statistique, centre de recherches et d'études démographiques Rabat, N° 2, Juin 1973.

--- **As-Soukane**, études du centre de recherches et d'études démographiques Direction de la statistique, centre de recherches et d'études démographiques Rabat, N° 3 Février 1975.

FOSSET, Robert :

«Les caractères démographiques et géographiques de la population du Maroc en 1971. **MAGHREB MACHREB**. Monde Arabe, mai-juin 1973 n° 57 documentation françaises 31 Quai voltaire, 75 340 Paris CERNY 07

**Maroc en Chiffres 1972 (Le).** Direction de la statistique et banque Marocaine du commerce extérieur. 12 édition. La direction de la statistique. Rabat.

- **Résultat du recensement de 1960.** Cabinet royal. Délégation générale de la Promotion national et du Plan. ser. du centre de statistique.  
Vol. I Nationalité, sexe, âge.  
Vol. II Population active.  
Vol. III Etat matrimonial, niveau d'instruction, évolution de la population urbaine, lieu de naissance et durée de résidence.  
Vol. IV Ménages, caractéristiques, socio-économiques des ménages, logements, perspectives démographiques rapport méthodique.
- **Recensement général de la population et de l'habitant dr. de la sta. del du plan.** Serie S vol. Résultat du sondage au 1-10, vol. 2 : population active, vol. 3 : Caractaire culturel, vol. 4 Habitat.
- **Compte des ménages marocains en 1964 (Le) :** Institut national de statist et d'éco. appl. An. 1967-68. DT N° 122-69 Rabat.
- **Consommation et les dépenses des ménages marocains musulmans.** résultats de l'enquête 1959-60, service central des statistiques, Août 1961, Rabat.
- **Consommation et les dépenses des ménages au Maroc (La).** Premiers résultats à l'Echelon national, vol. I Avril 1970 - Avril 1971 Division des statistiques, Rabat.
- **Consommation et les dépenses des ménages au Maroc (La).** Alimentation et nutrition, vol. IV Avril 1970 - Avril 1971, Division des statistiques, Rabat.
- **Consommation et les dépenses des ménages au Maroc (La).** 1 Habitant. Vol. VI Avril 1970 à 1971 - division des statistiques, Rabat.
- **Fécondité marocaine (La).** centre de recherche et d'études démographiques. Direction de la statistique. Rabat N° 6 Octobre 1974.
- **Nuptialité (La).** Centre de recherches et d'études démographiques direction de la statistique. N° 12 Mars 1975.
- **Rapport sur certains aspects méthodologiques de l'enquête de consommation.** Institut national de statistique et d'économie Appliquée. Rabat 1968-69.
- **Résultats de l'enquête. Parlé et servie des parents.** Centre de recherches et études démographiques, vol. II n° 5 Janvier 1975.
- **Tables de mortalité marocaine.** Direction de la statistique, centre de recherches et d'études démographiques. Rabat 1974.
- **ENQUETE SUR L'HABITAT :**
- **Quartiers sous-équipés. Rabat-Salé, et Kénitra en 1969.** - caractéristiques démographiques et socio-économiques. Institut national de Statistique. Rabat, Juillet 1971.

- Quelques quartiers sous-équipés de Rabat-Salé, Temara et Kénitra, caractéristiques démographiques et socio-économiques. N° 20 Juillet 1971. Institut national de statistiques et d'économie Appliquée.
- Loyer en Milieu urbain d'après l'enquête de consommation 1970 - 1971. N° 23 Novembre 1973. Institut national de statistique d'économie appliquée.
- Equipement des Douars. Vol. I N° 35. Institut national de Statistique d'économie appliquée, Rabat.
- Equipement des Douars. Vol. II, N° 35. Tableaux statistiques. Annex IV Equipements dits commerciaux. Institut national de statistique et d'économie appliquée, Rabat.
- Equipement des Douars. Vol. II, N° 35. Tableaux statistiques. Annex I Equipements dits commerciaux. Institut national de statistique et d'économie appliquée, Rabat.
- Equipement des Douars. Vol. II, N° 35. Tableaux statistiques. Annex V Equipements dits commerciaux. Institut national de statistique et d'économie appliquée, Rabat.
- Equipement des Douars. Vol. II, N° 35. Tableaux statistiques. Annex III Equipements dits commerciaux. Institut national de statistique et d'économie appliquée, Rabat.
- Equipement des Douars. Vol. II, N° 35. Tableaux statistiques. Annex II Equipements dits commerciaux. Institut national de statistique et d'économie appliquée, Rabat.
- ENQUÊTES SUR L'ARTISANAT :
- Enquête sur l'artisanat 1967-1968. Essaouira, Fès, Marrakech, Meknès, Safi. Document de base N° 24. Institut national de statistique et d'économie appliquée, Rabat.
- Enquête sur l'artisanat à Fès. Institut national de statistique et de l'économie appliquée, Rabat octobre 1963.

#### La femme :

- BADRAOUI, Batoul  
«Etudes de cas : Mariage et changement social». C.U.R.S. Rabat, Etude faite dans le cadre d'un pro. et UNESCO - 1974.
- BELGHITI, Malika :  
«Attitudes des femmes rurales à l'égard du modernisme», étude à paraître.  
«La condition des femmes au Maroc», Thèse de doctorat du 3<sup>e</sup> cycle en préparation à L.E.H.E.S.S., Paris.  
«Les relations féminines et le statut de la femme dans la famille rurale dans trois villages de la Tessaout», Bulletin Economique et social du Maroc, Juillet-septembre 1969 - XXXI - 114.

- BELGHITI, Malika - CHRAÏBI, Najat et ADIB - Tanou  
 « La segregation des garçons et des filles à la campagne ». **Bulletin Éco-  
 mique et social du Maroc**, Janvier Juin P. 81 N. 120-121
- DOUTTE, E. :  
 « L'organisation domestique et sociale chez les Haha ». **Bulletin du Comité  
 de l'Afrique Française**; supplém. renseignements coloniaux, Janvier 1905,  
 1, p. 7.
- EL HASSAN ZGHARI, Latifa :  
 « La femme marocaine dans la vie familiale et professionnelle ». **confluent**  
 N°23-24, Sept. Oct. 1962.  
 « Situation et rôle social de la femme marocaine de nos jours » sous la  
 direction du professeur brunschvig. A. Université Française.
- GOISHON, A. M. :  
 « La femme de moyenne Bourgeoisie Fassia. Revue des études Islamique T. 3  
 N° 1, 1929 - 1 - 74.
- MESRI F  
 « Rôle de l'assistante sociale dans la promotion féminine au Maroc »,  
 mémoire de l'école des cadres Rabat 1972.
- MOULAY RCHID  
 Prépare à la Faculté de Droit de Rabat une thèse sur la femme  
 marocaine ».
- La femme et le travail :
- ABOUSSALIM, N.  
 « La femme Marocaine fonctionnaire », mémoire de l'école des cadres  
 Rabat 1970.
- ALAMI IDRISSE, Said.  
 « La situation économique et sociale des bains maures dans la médina  
 de Fès », mémoire de licence, Sciences Economiques, Faculté de Droit  
 Rabat 1971-72.
- BARON, A.M.  
 « La famille prolétarienne », dans « Regards sur le prolétariat maro-  
 cain », Fnits et idées, 1954, n° 20, p. 66.
- BENARROSH, Joseph.  
 « La Bonneterie au Maroc » Faculté de Droit Rabat.
- COHEN, Bades.  
 « La broderie de Fès », mémoire de licence sous la direction de M  
 LAHBABI, Faculté de Droit de RABAT.
- FORGET, Nelly.  
 « Femmes et professions au Maroc », A. Attitudes à l'égard du travail

professionnel de la femme au Maroc

**Images de la femme dans la société** p 137 éditions ouvrières 1964 éditeur P.H. Chambart de Lawve

MARTENSSON, M.

• Attitudes vis-à-vis du travail professionnel de la femme marocaine  
Extrait du **Bulletin Economique et social du Maroc**. Janvier-Mars 1966 --  
XXVIII — 100

— NESSLAHEN, M'HAMED.

• **Salaires féminins dans la conserve de sardines à Safi**, mémoire de  
Licence, sous la direction de M.A. BELAL Faculté de Droit de Rabat  
1973-74.

— NOUACEUR Khadija.

• Femmes et professions au Maroc. Evolution et travail de la femme  
au Maroc . **Revue Internationale des Sciences sociales** 16 (1) : 124-  
130/1962.

• **Femmes et professions au Maroc** ». B. Evolution et travail profes-  
sionnel de la femme au Maroc in **Images de la femme dans la société**  
p. 163.

— L'ENFANT

**L'ENFANT** : études psychologiques, sociologiques et psycho-pathologi-  
ques sur l'enfance au MAROC.

— L'ENFANCE :

— ACHOUR, M.

• L'environnement — Rôle des facteurs socio-culturels et des facteurs  
économiques • **Maroc-Médical** 480 : 329/1965.

— BARBE, M.

• Les jeux de l'enfant marocain • **Maroc-médical** 480 : 368/1956

— BONNET, C.

• **Réflexions sur l'influence du milieu familial traditionnel sur la struc-  
ture de la personnalité au Maroc** », **Revue de Neuropsychiatrie In-  
fantile** 18 N° 10 et 11

— BOURGEOIS, Paul.

• **L'univers de l'écolier Marocain** », Faculté des Lettres et des Sciences  
Rabat 1959, fascicule 4.

— DAOUDI, Rquia.

• **La littérature enfantine au Maroc** » d'expression française et arabe •  
Thèse de 3ème cycle en préparation, sous la direction de M. GAUTHIER  
Henri, Faculté des Lettres Rabat.

— MAS, M.

• **La petite enfance à Fès et à Rabat** • **Annales de l'Institut d'études  
orientales**, Alger XVIII. 1959 et XVIII-XX 1960-1961



-- MATHIEU, J.

« Note sur l'enfance juive du mellah de Casablanca », Bulletin de l'institut d'hygiène au Maroc 7 : 3/1947.

— LAPIN et BARGACH, A.

« L'enfance au Maroc », Maroc-Médical 33 : 287-288/1924. Reproduit dans Maroc-Médical 296 : 203/1950.

— ODORIL.

« Le père, la mère, l'enfant, leur sens psychologique ». Réflexions sur des textes pour définir, dans un environnement marocain le sens psychologique de quelques termes, le père, la mère, l'angoisse de l'enfance. Maroc-Médical, 480 : 355/1965.

-- RADI, Abdelwhab.

« Processus de socialisation de l'enfant Marocain » extrait des **Etudes Philosophiques et littéraires** N° 4, Avril 1969.

--- ROLLAND, J.C.

« Développement de la personnalité et incidences de l'environnement au Maroc » Maroc-Médical 479 : 269/1965.

--- SADKI, L.

« Les enfants des orphelinats » enquête portant sur les trois maisons d'enfants de Rabat-Salé. Mémoire de l'école des cadres. Rabat 1970

#### La santé de l'enfant :

ANIBA, M.

« Essai d'évaluation des activités de P.M.I. Pépinière », mémoire de l'école des cadres Rabat 1972.

BAHADDINE, B.

« Etude de l'action de la P.M.I. Pépinière », mémoire de l'école des cadres Rabat 1972

BONJEAN, M.

« L'oeuvre de la France dans la protection de l'enfance au Maroc Bulletin de l'institut d'hygiène du Maroc 5 : 5/1945.

CAZAUX, J.M.

« La protection maternelle et infantile à Casablanca » New Hospital service for 518 : 519/1950

EDDOUIK, A.

« Les maisons d'enfants de la société musulmane de bienfaisance au Maroc », mémoire de l'école des cadres Rabat 1966

ELFAHEM, S.

« Les garderies au Maroc », Mémoire de l'école des cadres Rabat 1966

- CHALUMEAU, J.  
« Education sanitaire dans les dispensaires de protection maternelle et infantile au Maroc » Revue de l'infirmière 26 (6) : 583-58/1971.
- CHARBONNEAU  
« L'assistance et la prévoyance sociale au Maroc » **Maroc-Médical** 350 : 731 — 752/1954.
- COLAMBARE.  
« Les oeuvres de puériculture de l'empire cherifien » **Bulletin officiel de l'institut d'hygiène publique** 15 : 1063/1923.
- DAHAN.  
« Protection sociale de l'enfant Marocain » **Maroc-Médical** 480 : 364/1965.
- LYAUTEY  
« Les oeuvres de l'enfance au Maroc » **Maroc-Médical** 1 : 8-17.
- **Ministère de la santé Publique**, Directives concernant les activités de protection de la santé de l'enfant, Rabat, Décembre 1972.
- OUAHID, A.  
« **Protection maternelle et infantile et éducation sanitaire** » mémoire de l'école des cadres Rabat 1965
- POPPOF, A.  
« La protection maternelle et infantile au Maroc » **Maroc-Médical** 365
- RAUSH, Ch.  
« La protection, maternelle et infantile à Marrakech » **Maroc-Médical** 365 : 1251 - 1253/1955.
- ROBERT, J.M.  
« Aperçu sur le placement des tout-petits au Maroc et ses résultats » **Maroc-Médical** 480 : 358/1965.
- SICAULT, S.  
« La protection médico-sociale de l'enfance au Maroc » **Maroc-Médical** 273 : 41 - 43/1958.
- VERMES (De)  
« L'UNICEF et ses activités au Maroc, développement des projets intéressant l'enfance » **Maroc-Médical** 480 : 367/1965.
- **Etudes psycho-pathologiques**
- OUCETTA, O  
« Essai sur la psychologie du malade marocain » **Maroc-Médical** 365 1333-1338/1955.

- CHARBONNEAU, M.
  - Le climat pathologique de l'enfance marocaine • **Maroc-Médical** 338 : 665 - 672/1953.
- IGERT.
  - Milieu culturel marocain et névroses • **Maroc-Médical** mai 1955.
- Initiation à la pathologie humaine au Maroc • **Maroc-Médical** 1955 Bibliography series N° 7 Février 1974.
- WILLEMIN - CLOG, L.
  - De quelques particularités de la pathologie infantile au Maroc • **Maroc-Médical** 256 : 195/1945.
- LA MERE.
  - La mère** : Etudes sur les phénomènes de grossesse, d'accouchement d'allaitement etc... au Maroc.
- ADDOUH, S.
  - **Les problèmes des accouchements au Maroc** », mémoire de l'école des cadres Rabat 1966.
- « Aïcha pose le problème de l'avortement », Aïcha 8 : 18/1970
- ALAMI MERROUNI, H.
  - **Hygiène et grossesse** », mémoire de l'école des cadres Rabat 1972
- ALAOUI MSEFFER, Fouzia.
  - Thèse sur la nutrition de l'enfant en milieu Marocain, présentée en 1975 auprès de la faculté de médecine de Rabat.
- BELHOUARI, Z.
  - consultation pré-post Natale en P.M.I. », Mémoire de l'école des cadres Rabat 1970.
- BENYEZZA, K.
  - L'élevage des prématures à la maternité Lyautey de Rabat : Statistiques • **Maroc-Médical** ... 36 : 400 -- 400 1/1957.
- BOUZIDI, K.
  - **Les maisons d'accouchements au Maroc** », mémoire de l'école des cadres Rabat 1960.
- BRUNEL, J.L.M.
  - **De l'accouchement en milieu indigène Marocain** », Thèse de doctorat d'Etat en médecine Paris 1950
- CAUVIN, F.
  - **La protection de la femme enceinte au Maroc** », **Maroc-Médical** 296 149 - 154/1950.
- CHAMPAGNE, P.
  - **Le mythe de l'enfant qui dort chez la femme marocaine** », Thèse de

doctorat d'Etat en médecine Bordeaux 1955.

--- CHARBONNEAU, et COSTOLAT, P.

« L'allaitement maternel en milieu musulman : enquête menée sur l'allaitement maternel à Fès » **Maroc-Médical** 344 : 16 - 19/1954.

--- CHKILI, T. et EL KHAMLICH, A.

« Les psychoses puerpérales en milieu Marocain : A propos de 100 observations » **Annales Médico-chirurgicales d'Avicennes** 4 (4-5) : 167-188/1973.

--- Contraception — Colloque organisé par Maroc-Médical à Casablanca le 14 Juin 1971. **Maroc-Médical** N° 548 51ème année Juillet 1971.

--- DALEAS et CISMIGIU

« Les accouchements négligés dans le milieu musulman » **Bulletin de la société de Gynecologie et d'obstetrique** 3 : 490/1952.

- DELANOE.

« Protection de la femme et de l'enfant indigène » **Maroc-Médical** N° 63 70 — 73/1927

--- DOCOR, A.

« Vingt années d'activité d'une maternité en milieu marocain urbain » **Bulletin de l'institut d'hygiène du Maroc** 6 : 15-40/1946.

ESCOUROU, P.

« **Accouchements et maternités au Maroc** » Thèse de Doctorat d'Etat en médecine Paris 1949

GHEZALI, J.

« **Les activités de la sage-femme dans les circonscription sanitaire urbaine de Koas** », mémoire de l'école des cadres Rabat 1972.

IGERT, M.

« La privation de soins maternels » **Maroc-Médical** 327 661-664. 1952.

--- JOUIN, J.

« Invocations pour l'enfantement » **Hesperis**, XL 1953.

--- KOUCHAM, A.

« **Les accouchements à domiciles** », Mémoire de l'école des cadres Rabat 1972.

--- ALFFONT, A.

« Du rôle médico-social de la sage-femme en Afrique du Nord » **Maroc-Médical** 411-1147 — 1152/1959

--- LALU, P.

« Le nourrisson et sa mère au Tafilalet » **Maroc-Médical** 273 : 96 100/1948.

LALU, P.

• Le mythe de l'enfant endormi, occasion d'examen gynécologue • **Documents Nord-Africains**, Paris N° 166-12, Janvier 1954.

— LARAQUI, A.

• Report on Morocco • In induced abortion: A hazard to public Health, I. Nazer, Beirut, 1971

— LEGER et DECOR.

L'assistance aux femmes en couches à la maternité indigène de Marrakech • **Bulletin de l'institut d'hygiène du Maroc** 2 : 49 — 61/1932, et **Maroc-Médical** 161/1935.

— MARMEY, Ch. et MARMEY, J.

Statistiques générales de la maternité de Rabat : contribution à l'étude de l'obstétrique au Maroc. **Bulletin de l'institut d'hygiène au Maroc** 3 : 15/1933.

— MARMEY, J.

• Activité de la maternité Maréchale Lyautey à Rabat de 1941-1947 : statistique raciales comparatives d'après 10.000 accouchements • **Bulletin de l'institut d'hygiène du Maroc** 8 : 3-33/1948.

— MATHIEU J et MANEVILLE, R

• **Les accoucheuses Musulmanes traditionnelles de Casablanca** • Institut de Hauts Etudes Marocaines, Paris 1952.

— MENOUNI, R.

**Rôle de la sage-femme pendant la période du Post-Partum** •, mémoire de l'école des cadres Rabat 1971.

— METTELAMAN, M.

Le couple mère-nourisson en milieu marocain israélite • **Maroc-Médical** 368 : 67 — 69/1956.

— OSSTOWAR.

• Réorganisation de la maternité en service pluridisciplinaire •, **Rapport**

— PIERSON.

• **L'allaitement et ses répercussions sur l'équilibre maternel** • (Inedit).

— SBAI, S.

• L'avortement : entre la faiseuse d'ange et le gynécologue • **Aïcha** 8:19

— SEFRIQUI, A. • Les rites de la naissances à Fès • **Maroc-Médical** 330 : 1007 — 1010/1952.

— Tableau des formations d'accouchements de gynécologie de consultation prénatales : centres d'éducation, organisés par la direction de la santé publique et de la famille au Maroc • **Maroc-Médical** 31 10021/1952

## Etudes sur le Planning familial au Maroc

- ALJ, L.  
« La limitation des naissances et la femme marocaine », mémoire de licence sciences économiques, Faculté de Droit Rabat 1972-73.
- BANNANI-MECHITA, M.  
« Planification familiale et état d'esprit au Maroc », mémoire de sciences économiques, Faculté de Droit Rabat 1969-70.
- BROWN, G.F.  
« Moroccan family planning program progress and problems » *Démography* 5 (2) 627-631/1968.
- CHEROUI, Kamal.  
« Enquête d'opinion sur le planning familial au Douar Ngar (Sidi Alssa de Fquih Ben Salah) par Beni Mellal », mémoire de licence sc. économiques dirigé par M. OUALALOU Faculté de Droit Rabat 1975.
- COALE, A.J., et MAULDIN, W.P.  
« Rapport présenté au gouvernement marocain sur la planification familiale au Maroc », The population council, New-York 1967.
- EL AMRANI, J.  
« La planification familiale au Maroc » IV Journée d'Etudes médicales sur le planning familial, Tunis, 1971.
- EL MAHI, F.  
« Rôle de l'assistance sociale des centres de santé Urbains dans planification familiale », mémoire de l'école des cadres Rabat 1967.
- EL MENJRA, Driss et LAHLAL Abdelkrim.  
« La famille marocaine face à la natalité », mémoire de licence, dirigé par M. BERRADA Faculté de Droit Rabat.
- EL YACOUBI, Rajah.  
« La femme et son rôle déterminant dans la réussite du Planning familial », mémoire de licence Faculté de Droit Rabat 1972-73.
- LAPHAN, R.  
« Family Planning attitudes, knowledge, and practice in the saïs plain » *Studies in family planning* 58 : 11-22/1970.
- Institut national d'hygiène de Rabat, **Stage de formation et de recyclage en planification familiale** 7-13 Janv. 1974 Analyse de l'Enquête d'opinion.
- LAPHAN, R.  
« Planification familiale en milieu rural, connaissances, attitudes et pratiques The population council N° 58 Avril 1971.  
« Etudes de planning familial - le planning familial en Tunisie et au Maroc, résumé et évaluation des derniers résultats » The population council Vol. 2 N° 5 Novembre 1971.

• **Planification familiale et enquête d'opinion en milieu urbain** ». Division des statistiques, secrétariat d'Etat chargé du plan auprès du premier ministre, Royaume du Maroc.

• Modernisation et contraception au Maroc central : Illustration de l'analyse des données d'une enquête C.A.P. • **Population** 26 : 79 - 104/1971

• L'utilisation passée au présent de la contraception chez les femmes de milieu urbain et rural dans la plaine du saïs au Maroc • **Revue Tunisienne des sciences sociales** 17-18 : 439-455.

• L'Evolution démographique au Maroc • Organisation de coopération et de développement économique, **Quatrième conférence annuelle sur les problèmes démographiques** 20-22 oct 1971 Paris.

--- MARZAK, Mohammed.

• **Les causes essentielles de l'échec de la planification familiale au Maroc** », mémoire de licence dirigé par M. BELAL Faculté de Droit 1974-75 Rabat.

--- MERNISSI Fatima.

• Obstacles to family planning practice in urban Morocco • in studies family planning — Vol. 2, N° 12 décembre 1975 (Population council)

— PASCON, P.

• Paysans et birth control : un dialogue de sourds • **Lamalif** 3 16-20/1966.

— POULSEN, NELS H.

• **The Moroccan family planning program** • USAID, Rabat déc. 1970.

— Séminaire national sur la planification familiale • **le journal de médecine du Maroc** T. III N° 1 janvier 1967

#### BIBLIOGRAPHY ON MOROCCO

Schaefer Davis Susan • **Liberated • Women in a Moroccan Village**  
The Wages of Self-Support Paper delivered at the **Annual Meetings of the Middle East Studies Association**, Boston, November 6-9 1974.

Schaefer Davis, Susan. The Determinants of Social Position Among Rural Moroccan Women. Paper presented at the workshop **The Status and Role of Women in Contemporary Muslim Societies**. The Center for the Study of World Religions, Harvard University, April 19 1975

Vinogradov, Amal **The Colonial Mirror : Reflections on the Politics of Sex in Morocco**. Cuny, Queens College, Anthropology Departement

Mahef, Vanessa **Women and Property in Morocco Their Changing Relation to the Process of Social Stratification in the Middle Atlas**. London Cambridge University Press. 1974.

Vinogradov, Amal ; Waterbury, John. Situations of Contested Legitimacy in Morocco An Alternative Framework. Prepared for the **Joint Annual Meeting of the African Studies Association** held at Montreal, October 1969

Forget, N Attitudes towards Women in Morocco.  
**International Science Journal** XIV number 1 1962 pages 90-124

Nouacer K. • The Changing Status of Women and the Employment of Women in Morocco • **International Science Journal** XIV number 1 1962 pages 124-129

Mernissi, Fatima. The Moslem World Women Excluded from Development. **Women and World Development** (Ed.) Irene Tinker and Michèle Bo Bramsen. AAAS office of International Science Washington 1967



## مجلة هسبريس - تمودا في أعدادها الأخيرة

### 1

المجلد الخاص بفهرست  
«هسبريس» و «هسبريس - تمودا»

مجلة « هسبريس » مجلة علمية مغربية اكتسبت منذ زمن بعيد شهرة عالمية لأنها أصبحت هي المرجع الاساسى لكل الباحثين في كل المواضيع التى تتعلق بالمغرب الاقصى ، سواء من حيث التاريخ او اللسنيات او الاجتماع او التراث او الفنون الجبيلة والصناعات الفنية او الفولكلور ، اى كل ما يدخل تحت الاسم العام « العلوم الانسانية » . و تكون مجموعتها ، اليوم ، موسوعة علمية لا تقدر قيمتها ، نظرا لمستواها العلمى ولنزلة عدد من المؤلفين الذين كتبوا او يكتبون فيها .

والحديث عن هاته المجلة التى تصدر ، اساسا ، باللغة الفرنسية لا تكفى فيه فقرة او فقرات ، بل هو فى حاجة الى مقال طويل مستفيض حتى يتعرف عليها القارئ العربى ، وبالاخص القارئ الباحث ، ويدرك ضرورتها كأداة عمل وفائدتها كخزانة علم .

ولا أدل على ذلك من استعراض المقالات التى صدرت بها منذ تأسيسها فى سنة 1921 اى منذ خمس وخمسين سنة . وانها ، والحق

يقال ، عملية شاقة وطويلة لاستطيع ان نقوم بها في هذا العرض الوجيز .  
ولحسن الحظ يشتمل احد المحدثين الذين صدرا في 1972 على فهرس  
عام للمجلة منذ صدورهما الى السنة المذكورة اى فهرس يشمل خمسين  
عاما من عمر المجلة .

فاذا نظرنا الى هذا الفهرس نجده يقع في مائتى صفحة خصصت  
خمس وسبعون منها لترتيب المقالات حسب مؤلفيها مرتبين على الحروف  
الابجدية . وخصصت خمس وسبعون صفحة تالية للعروض البليوغرافية  
وخصص الباقي لترتيب المقالات حسب العلوم والفنون على النحو التالى :

- 1 — الاثرىات ، النقوش الكتابية ، المسكوكات : 11 صفحة
- 2 — البليوغرافيا : 4 صفحات .
- 3 — القانون : صفحة واحدة .
- 4 — الاثنوغرافيا ، السوسولوجيا . الفولكلور ، الموسيقى : 11 صفحة
- 5 — الجغرافية : 5 صفحات .
- 6 — التاريخ : 22 صفحة .
- 7 — اللسانيات : 4 صفحات .
- 8 — الادب : صفحتان .
- 9 — الوفيات : صفحتان .
- 10 — الفلسفة : صفحة واحدة
- 11 — ما قبل التاريخ : 3 صفحات .
- 12 — العلوم والتقنيات : 3 صفحات .

ولست في حاجة الى القول ان كل صفحة تحتوى جملة من عناوين  
المقالات يتراوح عددها ما بين 15 و 20 . ويتبين من هذا الترتيب  
التحليلى ان التاريخ يحظى بحصة الاسد ، مما يجعل المجلة مرجعا اساسيا  
لكل الباحثين في تاريخ المغرب .

ومن جملة الاسماء الالامعة التى شاركت في المجلة ، نذكر على  
الخصوص : آرياس بالو ، واندري باسى ، وجاك بيرك ، وريجيس  
بلاشير ، وجاك كاييى ، وهنرى دوكاسترى ، وجان  
سيليرى ، وجورج كولان ، ومحمد الفاسى ، والبرت جاتو ،  
و ج. هريير ، وهويسى ميراندا ، ومحمد ابراهيم الكنانى ، واميل

لاوست ، وليفى بروفنسال ، وخورج مارسى ، ومييج ، وميشو بلير ،  
وروبرت مونتان ، ورونو ، وبروسبر ريكارد ، وروبرت ريكارد ،  
وميكال طراديل ، وهنرى طبراس .

حقا ، ان البعض من هؤلاء الاجانب الذين كتبوا فى المجلة كان لهم  
اتجاه استعمارى . وربما كانوا يحملون فى نفوسهم نوعا من التعصب  
على العرب والاسلام بوجه عام ، ولكن هذا لا يمنع انهم بذلوا مجهودا فى  
البحث يجب ان يقدر حق قدره بكل موضوعية حتى نأخذ عنهم ما هو  
صالح ونرفض ما هو فاسد . وننتقل الآن الى الحديث عن المجلدين 13  
و 14 فى السلسلة الجديدة التى انطلقت منذ بداية الستينات باندماج  
مجلة « ثودا » التى كانت تصدر بالاسبانية فى المنطقة الشمالية ، فى  
مجلة « هسبريس » التى كانت تصدر بالرباط .

## 2

### المجلد 13

#### بليونش ومصير سبتة

يفتح العدد 13 بمقال يحمل عنوان « بليونش ومصير سبتة بين  
المغرب واسبانيا » للاستاذ جيرمان عياش ، وهو ، وان كان نفس  
الموضوع الذى عالجه المؤلف بالعربية فى العدد 20 - 21 من مجلة  
« البحث العلمى » ، الا ان مقال « هسبريس » اوسع واكثر تفصيلا  
واحسن تقديما . ويتعرض الاستاذ عياش هنا لقضية تاريخية ولكنها ،  
فى نفس الحين ، قضية وقتية وحيوية بالنسبة للمغرب هى قضية سبتة .  
ويعالجها من جانب طريف اذ يبين كيف ان المغرب بنوع من الكرم  
والسخاء هو الذى سهل على اسبانيا الاستقرار فى سبتة اذ امدّها بالماء  
من عيون بليونش التى توجد داخل التراب المغربى . وكان فى مستطاع  
المغرب ان يقطع الماء كلية عن الاسبان فى سبتة و يضيق عليهم بذلك  
تضييقا كبيرا ، لو اراد واستطاع ان يسلك ، دائما ، سياسة الشدة  
والصرامة مع البلد المجاور .

ويبين المقال كيف ان سبتة عرفت ازدهارا اقتصاديا كبيرا حينما  
كانت جزءا من المغرب وتمثل احد ابوابه الكبرى للاتصال بالخارج .

فكانت ميناء تجاريا وعسكريا مرموقا ومركزا صناعيا ازدهرت فيه اصناف من الصناعات ومقر تبادل تجارى مع الخارج يحتوى على فنادق ينزل بها تجار من اروبا المتوسطة . وكانت سبتة مدينة كبيرة واسعة الاكثاف لانها تعتمد فى تـمـوينها على المناطق الزراعية والرعوية المجاورة وفى تزويدها بالماء على ينابيع بليونش .

ولذلك ، مان سقوط المدينة فى يد البرتغال ابتداء من 1415 . ثم فى يد الاسبان كان كارثة بالنسبة لها . فقد خربت المدينة الاصلية وتمطلت كل المنشآت التى كانت تزودها بالماء . ولها مر بها يحيى الغزال ، سفير سيدى محمد بن عبد الله الى اسبانيا فى 1766 ، لاحظ أنها محرومة من الماء . وهكذا كانت فى اواخر القرن الثامن عشر عبارة عن حصن منكش على نفسه تلوح عليه آثار البؤس والموز . ويسجل المؤلف ان استيلاء الاسبان على سبتة كان . فى نفس الوقت ، فشلا اقتصاديا و عسكريا .

على ان المغاربة لم يتخلوا عن مدينتهم ، بل ظلت فرق المجاهدين تتحرش بالاسبان وتضايقهم فى المنطقة . ويشير المقال الى المحاولة التى قام بها سيدى محمد بن عبد الله فى سبيل استرجاع سبتة ومليية ، والتى لم تتوقف الا بسبب خطأ وقع فى تأويل عقد الصلح المبرم بين البلدين .

لكن الاسبان استغلوا ضعف الدولة المغربية فى القرن 19 ، فأخذوا يتوسعون بالاختلاس فى الاراضى المجاورة لسبتة . وحاولوا بعد حرب تطوان التى انتصروا فيها أن يختلسوا بليونش ومياها لصالحهم كما قاموا بعدة مساع لدى السلطات المغربية لاهداهم بالماء ولكن دون جدوى .

وجاءت الحماية ولم يتمكن الاسبان من إخضاع قبيلة أنجرة الا فى 1919 ، وهى القبيلة التى توجد بليونش فى اراضيها . ومنذ ذلك الحين « أخذت الحياة تعود الى سبتة » حسب تعبير المؤلف لان مياه بليونش عادت اليها بعد ان انقطعت عنها خمسة قرون . وبفضل ذلك ، أمكن توسيع الميناء وتنمية المدينة بكيفية ملحوظة اذ ارتفع عدد سكانها باطراد

ولكن عودة الاستقلال الى المغرب في 1956 ، جعله يسترجع منطقة بليونش ، بحيث أن المغرب أصبح في مستطاعه ان يقطع الماء عن سبتة اذا اقتضت مصلحته ذلك ، في نطاق النضال الوطنى من اجل استرجاع المدينة الاسيرة .

### تونس الزيرية في المصادر اليهودية

نجد بعد ذلك مقالا بعنوان « شهادة معاصرة عن تونس الزيرية » بقلم « نورمان ستيلمان » يرتكز فيه المؤلف على وثيقتين مأخوذتين من مجموعة « الجنيزة » الكبيرة . والجنيزة هى عبارة عن مستودع كان ملحقا بأحدى البيع اليهودية بالفسطاط فى مصر . وكان يهود المنطقة يضعون فيها كل الاوراق والمكاتيب التى استغنوا عنها . وعند اكتشافها فى هذا العصر ، تبين انها تشكل مجموعة كبيرة من الوثائق والشهادات المفيدة جدا من الوجهة التاريخية .

والوثيقتان المستعملتان فى المقال الحالى هما رسالتان مكتوبتان بالعربية ، ولكن بالحروف العبرية ، وموجهتان من يوسف بن برخيا ، تاجر ومثقف يهودى من مدينة القيروان و «ممثل للاكاديميات اليهودية ببغداد فى الغرب الاسلامى » الي ابي الفرج يوسف بن عوكل .

ومن الاطلاع عليهما نخرج بعدة فوائد اهمها :

— لخذ معلومات عن المجتمع اليهودى بالمغرب والاتدلس وعلاقاته بيهود المشرق .

— معلومات اضافية عن حملة باديس فى اتجاه الغرب .

— فوائد مهمة عن العربية المستعملة فى الرسالتين التى هى بين الفصحى والدارجة وتبرز بعض التطورات التى دخلت على اللهجة العربية المستعملة فى المغرب .

والرسالتان تلفتان النظر ، قبل كل شئ ، الى تلك المجموعة الضخمة من الوثائق التى اهتم بها عدد من المستشرقين و العلماء اليهود وكونت منها مجموعات يوجد البعض منها بمكاتب أوروبا وفسحت المجال لعدة ابحاث تاريخية ، وبالاخص فى ميدان التاريخ الاقتصادى

والاجتماعى ، هذا مع العلم بان المصدر الاصلى لتلك الوثائق يوجد بمصر  
الجيش السعدى :

وبعد هذا نجد بحثا مهما لاحد المستشرقين البولنديين « اندريج  
دزيوينسكى » نشر فى مجلة تاريخية تصدر بفارسوفيا بعنوان « الجيش  
واسطول الحرب المغريبان فى عهد سلاطين الدولة السعدية » . واعيد  
نشره مترجما الى الفرنسية فى هذا العدد من « هسبريس » وهو  
تحقيق جديد فى هذا الموضوع الاساسى من تاريخ المغرب ، بوجه عام ،  
الا وهو تاريخ المغرب العسكرى . فاذا اعتبرنا ان اهم وسيلة كانت  
تعتمد عليها الدولة المغربية قديما سواء فى سياستها الداخلية او  
الخارجية هى الجيش ، ادركنا فى الحين فائده مثل هذا البحث .

وقد ارتكز المؤلف فى عمله على عدد من المصادر المغربية والاروبية  
ومجموعات الوثائق التى نشرها دوكاسترى فى جمع المعلومات الضرورية  
لاعطائنا نظرة اكثر اتساعا وشدقيا عن الجيش والاسطول المغريبين فى  
عهد السعديين .

واول ملاحظه ينطلق منها المؤلف هى حالة التدهور السياسى التى  
عاشها المغرب تحت حكم الوطاسيين فيما بين القرنين الرابع عشر  
والخامس عشر . فقد اخفق الوطاسيون فى اقامة دولة جديرة بهذا  
الاسم لانهم لم يستطيعوا ان يوحّدوا البلاد ولا ان يدافعوا عنها بفعالية  
وتوفيق . فكان المغرب ، فى عهدهم ، ضعيفا ، منقسما على نفسه .  
ولذلك ، فان البرنامج الذى اضطلع به السعديون عند ميلامهم  
تضمن اعادة توحيد البلاد بالاعتماد على جيش قوى بدا بتأسيسه محمد  
القائم عندهما تصدى للحملة الجهادية على اجادير المعروفة آنذاك  
باسمها البرتغالى « سانتا كروز دو كابو دوجى » (1511) .

وكانت نواة هذا الجيش تتكون من عناصر بربرية وعربية معقلية  
استطاع محمد الشيخ ، الذى كان قائدا عسكريا كبيرا ، ان يعززها  
بالدفعية والاسلحة النارية وان يوحد صفوفها بعد تنحية اخيه احمد الاعرج  
(1544) . وقد ظل هذا الجيش خاضعا لتقاليد النظام المغربى القديم سواء  
فى عهد هذا السلطان او ولده وخلفه عبد الله الغالب او محمد المتوكل ولم

تدخل بعض التغييرات على ذلك النظام الا ابتداء من عهد السلطان عبد الملك وقد اقتبست تلك التغييرات عن الاتراك والاسبان . وهكذا وقع تصنيف المجموعات العسكرية حسب القوالب العثمانية واستعملت عدد من المصطلحات التركية في تسميتها مثل سباهى وباشا وسلاك وبساي ويلبدروش الخ ... وازدد التقليد في عهد المنصور حيث شمل الالبسة وصنوفها اخرى من التنظيمات .

ولئن وقعت بعض الاختلافات في تقدير عدد الجنود ، فان الجيش النظامى كان يضم 30.000 من العساكر وكان للمنصور رأى خاص في تجنيد الجنود لورده الوفرائى في «نزهة الحادى» . فهو في وصيته لولده المامون ينصحه بأن يعتمد على أهل سوس ودرعة ومراكش ، بالدرجة الاولى ، وأهل فاس بالدرجة الثانية أكثر مما يعتمد على غيرهم ، ويحذره من سكان الجبال .

وقد كان هنالك استنفار عام في البادية والمدينة من اجل الجهاد لتعضيد الجيش النظامى لحاصرة الجيوب الاجنبية ، الا ان السلاطين قلما كانوا يلجأون لهاته الوسيلة لما قد ينجم عنها من مشاكل داخلية . وكان الجيش النظامى يتكون من تشكيلات للخيالة الثقيلة واخرى للخيالة الخفيفة . بالإضافة الى المشاة . وأما الحرس السلطانى ، فيتكون من عدة فيالق ، كل فيلق يضم عناصر من سلالة خاصة . فهناك فيلق لبرابرة ايلان ، وآخر للاتراك ، وآخر للعروج الاسبان الداخلين للإسلام وآخر للموريسكيين الاندلسيين . وآخر من حراطين درعة وآخر من زواوة .

وقد استعمل السعديون المدفعية منذ البداية وبدأوا يصنعون في مراكش بعض المدافع الصغيرة ، وذلك بفضل احد الاندلسيين المهاجرين الذى أخذ يستعمل معدن النحاس المكتشف في دمسيرة . هذا بالإضافة الى افران التذويب الاخرى التى كانت موجودة بفاس وتارودانت ويعمل فيها عدد من العلوج والارقاء الاوروبيين . وكانت المدافع الخفيفة تحمل على ظهر البغال . وقد ارتفع السعديون بالمدفعية الى أعلى مستوى وظهر اثر ذلك في عدد من المعارك . ولنقل المدافع وحفر الخنادق ، كانت هنالك طائفة خاصة تسمى **اييودران** أى الجبلين بالبربرية . وكل اقليم مكلف بان يوجه عددا منهم على نفقته .

وفيما يخص الطب العسكري ، هنالك شهادات تدل على أن الجيش المغربي كان عصريا من هاته الناحية ، مثيرة الى ان جيش المتوكل كان يضم اكثر من الف جراح وحجّام يستعملون اكثر من ثلاثين طنجرًا كبيرا ودهونا مبنية على الورد والبيض لمعالجة الجروح . وكانت هنالك خيام مخصصة لعلاج الجرحى مع طائفة من الممرسين والخدام الخصوصيين .

ثم يتعرض صاحب المقال لوصف المحلة وترتيبها عند التنقل او الحرب فيلاحظ انها لم تعرف تغييرا كبيرا يذكر منذ المرينيين . ولذلك فان الوصف الذي قدمه الحسن الوزان ظل يطبق على الجيش السعدي ومضمونه ان مخيم السلطان او افراق يقع في وسط المحلة . وحول افراق تقوم خيام الرؤساء والقواد واعضاء الاسرة المالكة وحول هاته الخيام يقوم صف متراس من خيام قواد الاقاليم أو قواد الرحى وهى مصنوعة من جلد الماعز ومرتبّة بكيفية تجعلها حاجزا فعلا ضد أى هجوم . وحوالى هاته النواة المركزية تقع خيام الجنود ومختلف المصالح .

ولما استرراتيجية الجيش السعدي فقد وضحا المؤلف بالمصورات اعتمادا على شهادات عدد من الاروبيين والتى يستخلص منها ان السعديين كانوا يرتبون قواتهم على شكل نصف دائرة او قوس يقوم السلطان في وسطه يحيط به الرماة وأمامه صفوف من الرماة بالمكاحل وفى المقدمة المدفعية وعلى جناحيه اليمين واليسر الخيالة . وتلك هى الطريقة التى استعملها السعديون فى معركة وادى المخازن ومكثتهم من تطويق القوات البرتغالية التى كانت مرتبة على شكل مستطيل مكثف وكانها تتأهب للدفاع .

ثم يتعرض المؤلف للقيادة فيذكر ان الالقاب المستعملة كانت عربية حتى جاء عبد الملك فأحل محلها الالقاب التركية عند إعادة تنظيم الجيش وهكذا أصبح نائب القائد العام يدعى الكاهية بعد أن كان يسمى المزوار فيها قبل . وكان هنالك قائد المحلة وقاضى العسكر وصاحب المؤونة الخ ... والملاحظ هنا ان المؤلف أخذ أسماء هاته الوظائف عن مصادر اوروبية قدمتها مترجمة ، بحيث لانجد دائما أصلها العربى . وكانت راية السلطان الكبرى بيضاء وعليها آيات قرآنية مطرزة بالذهب . كما أن المظل أصبح له دلالة خاصة منذ عبد الملك السعدي اذ يرمز الى



السيادة الشيء الذى أصبح من التقاليد المغربية المرعية الى اليوم . ويظهر ان اصل ذلك منقول عن الاتراك .

ولم تكن وظائف القيادة كلها فى يد المغاربة المتأصلين بل كانت هنالك عدة مسؤوليات عسكرية يشغلها مسيحيون اسلموا حديثا وهم من اصل يونانى او اسبائلى او برتغالى . كما كانت هنالك فيالق من الموريسكيين والاتراك وزواوة اعتمد عليهم السعديون كثيرا فى كبح جماح العناصر الوطنية .

واما ارزاق الجنود ، فكانت تتراوح ما بين 50 و 30 دينار فى كل سنة ، مع العلم بأن القنطار من القمح مثلا كان يساوى آنذاك اربعة دنانير . وقد كان الجندى فى الجيش المغربى يعتبر أسعد من غيره فى البلاد الاخرى وهذا ما جعل عددا من الاجانب يقبلون على الانخراط فيه وقد كان القيام بنفقات الجيش يكلف ضرائب على الرعية يتكفل القواد فى الاقاليم بجمعها مما كان يتسبب فى عدد من المظالم والتعسفات ، سيما وان القواد كانوا مكلفين بتجهيز الفياق الاقليمية ، وكانوا فى آن واحد يقومون بهام مدنية وعسكرية . ويشير المؤلف الى أن تطبيق نظام الاقتطاع كان ساريا منذ عهد المرينيين وقد طبقه السعديون تطبيقا شاملا .

ويتحدث المؤلف عن القصبات التى كانت جزءا مهما ومتمما للجهاز العسكرى المغربى فيتحدث عن القصبات الداخلية التى كانت فاس هى أهمها اذ كانت تتحكم فى شمال المغرب وتدخل فى جهاز الدفاع الذى كان يواجه به المغرب الاتراك . يضاف الى ذلك عدد من القصبات المقامة بالسواحل وأهمها اجادير وازمور وآسفى وسلا والمراش وآصيلا والقصر الكبير وتطوان وترجة وباديس . ويشير المؤلف ، أيضا الى ان مليلية كانت مطوقة بثلاث قصبات هى جنفران وتازوطا وامجاو . لكن اهم ملاحظاته فى هذا الصدد تتعلق بالقصبات المقامة فى الصحراء للدفاع عن المغرب اذ تكون سلسلة ممتدة من حدود الجزائر الى المحيط الاطلنطى وتمر من القصابى واقسا وتبسينت وتازارين وتاراجال وترناتا وبنى صبيح

وأخيرا يتعرض هذا المقال القيم لموضوع الاسطول المغربى . فقد بدأ السعديون ببناء هذا الاسطول فى سنة 1549 . وقبل ذلك ظل المغرب محروما من قوات بحرية جديرة بهذا الاسم منذ قرنين اى منذ عهد

السلطان المرينى الكبير أبى الحسن ( 1331 - 1349 ) . فالحادث ،  
اذن ، مهم وجدير بالتسجيل . ويرجع الفضل الى محمد الشيخ السعدى  
فى تكوين هذا الاسطول من الاساس ، اذ اقام ورشين كبيرين لبناء  
السفن ، احدهما بباديس فى الريف ، والآخر بسلا . وهكذا بنيت عدة  
من الوحدات . مما جعل محمد الشيخ يفكر فى مشروع كبير يهدف الى  
مد يد المساعدة الى مسلمى الاندلس الذين ما زالوا مستقرين بكثرة فى  
اسبانيا وكذلك استرجاع المراسى المغربية التى كانت فى قبضة البرتغال  
لكن هجوم اترك الجزائر على المغرب حول انظار محمد الشيخ عن هذا  
المشروع ودفعه الى التحالف مع اسبانيا . ولعل ازهى عهود الاسطول  
السعدى كان فى مدة حكم عبد الله الغالب وعبد الملك اذ بلغ ارمعين  
سفينة حربية من كل الاشكال . ويظهر ان احمد المنصور الذهبى الذى  
اتبع سياسة المهادنة مع الاتراك والاسبان واتجه الى فتح السودان  
اهمل هذا الاسطول بعض الشيء . وقد تدهور امره بعد وفاته . ولم  
ينتعش الا على يد اهل سلا والرباط الذين كانوا قد استقلوا عن  
السعديين فى حالة انحلالهم .

### التجارة بين المغرب واسبانيا فى عهد المولى يزىد :

يعالج الاستاذ الاسبانى « آريباس بالو » فى هذا المقال قضايا تتعلق  
بمصر انكب على دراسته بصورة خاصة ، وهو عصر المولى يزىد ابن  
السلطان محمد بن عبد الله وخلفه ، وبرغم أن عهد المولى يزىد كان  
قصيرا لا يتجاوز السنتين ( 1790 - 1792 ) ، فقد كان بمثابة تقطع  
مفاجيء فى العلاقات بين المغرب واسبانيا .

ومن المعلوم ان هاته العلاقات كانت حسنة ، بل ومتميزة بمزايا  
خاصة فى عهد سيدى محمد . فلا ننس ان هذا السلطان سلم لدار تجارية  
اسبانية رخصة بوسق القمح من الدار البيضاء . كما ان محادثات كانت  
جارية بين الجهتين من أجل أن يبيع المغرب القنب والخشب لاسبانيا .  
وكانت اسبانيا ، زيادة على ذلك ، تحظى بتسهيلات خاصة فى أداء حقوق  
التصدير الى الخارج . فلما تولى المولى يزىد اثر وفاة والده ، لم تكن  
نواياة نحو اسبانيا تختلف عما كان عليه والده . الا أنه لهما طلب  
من الاسبان أن يسلموه البارود ، تلكا هؤلاء .

هل كان هذا هو السبب في تغير موقف السلطان ؟ هذا مالا يوضحه كاتب المقال . وانما تبين الوقائع ان المولى يزيد يتجه الى الانجليز ليبيعهم القمح والثيران مقابل الاسلحة . ثم يقوم باستعدادات عسكرية توهم بأنه سيهاجم سبتة ، ولكنه لم يقدم على اى عمل ضد الاسبان سوى انه طالبهم بان يؤدوا نفس الحقوق التي تؤديها الدول الاخرى عند التصدير من المغرب . ولم يقبل كارلوس الرابع ، ملك اسبانيا ، هاته الشروط ولم يكتف بايقاف التجارة مع المغرب ، بل سحب رعاياه القاطنين به واعلن الحرب على المولى يزيد .

ومنذ ذلك الحين ، أصبحت التجارة الوحيدة التى تجرى بين البلدين تتم عن طريق بواخر محايدة في الظاهر ، هي برتغالية أو فرنسية ، ولكنها تغطي في الواقع عمليات للتجسس . وهاته البواخر تحط جواسيس من الاسبانيين بميناء الرباط ليتصلوا ببعض مخبريهم من المغاربة .

اقتصر المؤلف على سرد الاحداث بشيء من الإيجاز ، ولكن مقالته مفيد ، ويستطيع القارئ ان يستخلص من تلك الاحداث ومن الوثائق الملحقة بالمقال ، معلومات كثيرة ومهمة عن الحالة بالمغرب في ذلك العصر وعن سياسة ملوكه ، وهكذا فالبلاد تركز على اقتصاد زراعى لا يتجاوز حاجتها المعاشية في كل سنة . واذا ما تجاوز المحصول الحاجيات المحلية وكان هنالك فائض ، فانها تصدر ذلك الفائض بدل ان تخزنه لانه بمثابة عملة للتبادل تحصل بواسطتها من اوروبا على الحديد وعلى السلاح ، مما يجعل المغرب مرتبطا بأوروبا من هاته الناحية . كما ان البلاد تقبل تصدير القمح مع الاعفاء من اداء الحقوق الجهركية مقابل تحرير الاسرى المسلمين ، لا المغاربة وحدهم ، وهم الاسرى الذين اخذتهم السفن القرصانية الاربوية . ولنوضح هاهنا ان السلطان سيدى محمد كان يقدم فدية ذهبية عن كل اسير . هذا جانب مازال مجهولا عن القضية المدعوة قضية « القرصان البربريين » ( Barbaresques ) او « قرصان سلا » ، اذ يكتفى ، عادة ، بالحديث عن فدية الاسرى المسيحيين ، وكان الضرر الحاصل من الصراع القرصانى آت من المغرب وحده ، والحالة ان المغرب كان اول من يتضرر من هذا الصراع ويؤدى عنه ثمنا باهظا لتصفية آثاره .

هناك حدث آخر جدير بأن يسترعى الانتباه وهو تضامن الأمم الأوروبية ، منذ ذلك الحين ، مع بعضها كلها دخلت أحداها في صراع مع المغرب . وهكذا وجدت اسبانيا ، وهى فى حرب مع المغرب ، مساعدة الجنوبيين والبرتغاليين والفرنسيين لتقتل برعاليها فى أرض المغرب أو مع بعض المغاربة الذين يعملون لحسابها . وكان السلطان فى ذلك العهد مازال يتصرف بكل استقلال داخل بلاده . فيقرر بكامل الحرية الترخيص بتصدير بعض المواد أو منعها ، ومنح امتيازات لدولة أجنبية أو إلغاءها إلا أنه ، حينها ننظر الى الجهة المقابلة ، جهة الدول الأوروبية ، نجدها برغم ما ينشب بينها من منافسات ، متأثرة الى أبعد حد بشعور التضامن فيما بينها ، وهو شعور ناشئ عن مصالح مشتركة . و سيزر ذلك التضامن بكل قواه فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين

### علم الفلاحة عند العرب :

بعد ذلك نجد مقالا للبشير عطية عطية بعنوان « أصل الفلاحة الرومية وقسطس المزعوم » وهو كما يدل العنوان بحث تحقيق فى كتاب قديم عن الفلاحة نقل عنه الرازى الطبيب وغيره واعتبره عدد من المؤلفين القدامى أهم كتاب فى الفلاحة ونسبوه الى اليونان وذكروا أن مترجمه الى العربية هو سرجس ابن هاليا اليونانى .

وبعد تحليل النصوص ومناقشتها ، توصل المؤلف الى اقامة البرهان على أن المؤلف قسطس والمترجم سرجس لوجود لهما وإن كتاب الفلاحة الرومية كتاب الف جزئيا بالعربية من أول وهلة وضمت اليه نقول حرفية من كتاب الفلاحة المنسوب للعالم اليونانى كاسيانوس . ويظهر الطابع العربى لكتاب « الفلاحة الرومية » الذى نشر بالقاهرة فى سنة 1293 هـ فى العناصر التالية :

- دراسة واقعة للفلاحة لاعهد بها لعلماء اليونان الاقدمين .
- جهل بين وملموس باللغة اليونانية وتراثها الثقافى .
- ازدياد بالتعليم اليونانى المتعلق بالفلاحة .
- اثاره عدد من المنجزات الزراعية المجهولة عند اليونانيين .

— اقتباس عدد من المعلومات السنسكريتية والفهلوية والعربية التي كانت مجهولة عند اليونانيين .

— اثر المساهمة العربية في تقدم العلم الفلاحي ، وهو آخر المراحل وأهمها من الوجهة الفلاحية البحتة .

وكتاب « الفلاحة الرومية » يحتوى على اثني عشر فصلا : يذكر صاحب المال ستة منها . الاول مخصص للارهاصات والتكهنات والمعتقدات الخرافية التي ترافق العمل الفلاحي ، الثاني للمزرعة والماء والسماد ، الثالث للبذور والزراعة الكبرى والاقتصاد الملاحى ، الرابع للحشوم ، الخامس لزراعة الاشجار . السادس للزيتون ، ويبين بعد ذلك الفرق بين الجزء العربى والجزء اليونانى فى الكتاب . فالاول يعتمد على المشاهدة والتجربة بينما الثانى لا يخلو من بعض العناصر الخرافية . ويشير الى بعض المكتشفات الواردة فى الجزء العربى والتي تدل على المساهمة العربية فى تقدم الفلاحة وعلومها . ومن جملة ذلك الحديث عن نباتين جديدين لم يتعرض لهما اليونان وسيكون لهما شأن كبير وهما الارز والقطن ، وكذلك الشأن فيما يخص قصب السكر والتارنج والليمون ولما فى ميدان الخضر ، فيبرز صاحب المقال ان البحث الزراعى العربى حقق تقدما ملموسا بالنسبة للمعارف التي كانت موجودة عند اليونان اذ لا تذكر كتبهم المشهورة ازيد من عشرة انواع ، فى حين ان الجزء العربى من كتاب الفلاحة الرومية يذكر عدة اصناف جديدة اورد المؤلف منها ، على سبيل المثال : الجزر والقنبيط ( الكرنب ) و الاسفاناخ والبادنجان والهليون .

ومثل هذا المقال مفيد فى تعريفنا بجوانب من الحضارة الاسلامية قلما تثار فى الدراسات المتداولة وأعنى بذلك الجوانب المتعلقة بالنشاط الفلاحي بمختلف مظاهره ومقاليده واكتشافاته .

### المجتمع الصحراوى :

و تتابع الباحثة « اوديت دو بيكودو » دراستها الكبيرة « فنون الموريطانيين وعاداتهم » بفصل عن « حياة الاسرة » مبتدئة بموضوع « الزواج » فتلاحظ ان الموريطانيين خاضعون فى هذا الشأن لمقتضيات

المذهب المالكي مع الاحتفاظ ببعض التقاليد القديمة المبنية على نظام الامومة والزوجة الواحدة .

ويظهر هذا المقال انعدام أى عوارق بين التقاليد المتبعة في صحارى موريطانيا وعدد من التقاليد المرعية في عدد من البوادي المغربية . فغالاب مثلا . هو الذى ينوب عن بنته في اعلان قبول الزواج امام القاضي وقبول الصداق المقدم من لدن الزوج .

وتقدم الباحثة تقديرات عن مبلغ الصداق واشكاله منذ القرن الماضي . اذ يمكن ان يكون عددا من الجمال او مقدارا من النقود ويكتسي ، في بعض الاحيان ، صيغة رمزية . ولكنه ، على أى حال ، يساعد على القيام بلوازم حفلات العرس .

ومن التقاليد المنتشرة بالمجتمع الموريطاني قلة تعدد الزوجات . ويمكن للمخطوبة ان تشترط على الخاطب ان لا يتزوج غيرها .

وهناك وصف لحفلة الزفاف وما يتبع فيها من عادات في انتقال العروس من بيتها الى بيت زوجها وما يرافق الحفلة من رقص . وتختلف مدة الاحتفال حسب الجهات وحسب الاسر .

تلك هي العادات الجارية في البوادي بين القبائل الرحل وهي لا تخلو من تعقيد . اما في مراكز الاستقرار فحفلة الزفاف تتبنى على المرح والاستئناس . وتعرض الباحثة في نفس المقال للطلاق الذى ينبى على القواعد الاسلاميه . وتشير الى ان بعض ابناء الاسر الكبرى ربما كانوا يبالغون في هذا الموضوع قصد استمتاعهم بتكرار الزواج .

وبالاضافة الى موضوع الزواج خصصت الباحثة فقرات من مقالها للطفل والحمل والولادة وتسمية المولود والتربية والختان الخ . . وما يرافق ذلك من احتفالات وتقاليد ، بحيث ان المقال دراسة وصفية عن المجتمع الموريطاني .

### العروض الببليوغرافية

و فى القسم الخاص بالببليوغرافيا ، عروض تحليلية عن عدد من الكتب التى تهتم تاريخ المغرب من بينها كتاب بعنوان

«المدن والبنيات الحضرية في الغرب الروماني» وهو دراسة تاريخية قام بها استاذان فرنسيان « كلافيل » و « لوفيك » وقدمتا فيها آخر المعلومات عن هذا الموضوع المهم ، وفيها عدة فقرات تهم الحضارة المغربية في التاريخ القديم . كما ان هنالك عرضا مقتضبا عن كتاب بعنوان « افريقيا الشمالية في العصر القديم » قام بها احد العلماء البولونيين الاستاذ « كوتولا » الذي ينتمى لمركز « فروكلو » ويوضح لنا العرض ان بولونيا تحتضن اليوم ثلاثة مراكز للدراسات الافريقية :

— أولها واكبرها مركز « فارسوفيا » الذي تعمل فيه ثلاث مجموعات من الباحثين : احداها مخصصة لتاريخ مصر ، والثانية للتاريخ العلم لافريقيا ، والثالثة لافريقيا الاسلامية و ابرز اعضائها الاستاذ « دزيونسكى » الذي تحدثنا آنفا عن مقاله الخاص بالجيش المغربي في عهد السعديين .

— المركز الثانى يوجد براكوفيا ويشرف عليه الاستاذ « ليفيكى » المختص في تاريخ افريقية الاباضية .

— المركز الثالث في « يروكلو » الذي ينتمى اليه الاستاذ « كوتولا » ويظهر من استعراض مواد الكتاب انه يحتضن ابحاثا فحصية لهذا الاستاذ ، بالاضافة الى ما استفاده من المصادر والمراجع السابقة عن نشاط المركز الجامعى .

وهناك عرض قام به الاستاذ سعيد نجار عن نشاط المركز الجامعى للبحث العلمى اشر فيه الى :

— النشرة الاعلامية التى صدر منها ثلاثة أعداد بالفرنسية وتشير الى الكتب والدراسات المتعلقة بالمغرب التى صدرت فيما بين 1954 — 1962 .

— ترجمة كتاب « كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة » الى الفرنسية بقلم الاستاذ سعيد نجار .

— مجلة البحث العلمى .

— نشرة جمعية تاريخ المغرب .

## المجلد 14

يشتمل المجلد 14 من « هسبريس تودا » على عدة أبحاث قيمة، معظمها يتعلق بتاريخ العرب ، دون أن يكون هنالك موضوع أساسى تركّز حوله جهود المؤلفين .

## نوازل ابن سهل :

ويأتى فى أول العدد نص اندلسى مهم وهو القسم الخاص بالحسبة من نوازل ابن سهل . وقد قام بتحقيقه الأستاذ المأسوف على شبابه وعلمه التهامى الازمورى ، مع ما يتطلبه ذلك العمل من تقديم وتعليق ، وحصل به على دبلوم الدراسات العليا بباريس . ونظرا لاهمية النص من حيث التاريخ الاقتصادى والاجتماعى والتشريعى ، فقد تبين أنه من المصادر التى يجب أن تكون فى متناول اليد بالنسبة للمؤرخين والباحثين كما أن اساتذة المرحوم التهامى الازمورى واسدقاءه رأوا من المفيد أن يعملوا على نشر بعض ما اجتهد فيه من مسائل البحث وما تركه من آثار فى هذا الصدد . ومن جيلة ذلك : العمل الذى نتحدث عنه اليوم . وقد اقتضت ضرورة نشره إضافة أشياء وانهاج بعض ما منعه الاجل المحترم عن اتهامه . فكان ذلك من اجتهاد وعمل الاساتذة الانيسة حليلة فرحات التى سبق لها أن اشتغلت مع الأستاذ الازمورى فى هذا العمل وعرفت أفكاره واتجاهاته فى البحث .

ويشتمل هذا العمل على قسمين :

1 — مقدمة : وفيها يتحدث الباحث عن المؤلف مبرزاً أن معلوماتنا عن ترجمة القاضى أبى الاصبع عيسى بن سهل ضئيلة . وهذا لا يمنع أنه من ابرز فقهاء الاندلس وقضااتها . فقد شغل منصب القضاء فى جيان وباجة ونظرا لثبافته ، فقد دعى فى سنة 1051/444 الى قرطبة ليشغل بها منصب كاتب ديوان القضاء ، مما أتاح له أن يطلع على كثير من الاحكام والنوازل ويوسع معارفه فى هذا الباب المهم من الفقه الاسلامى ، وبذلك أصبح مرجعا للقضاة لمعرفة سوابق كل قضية من القضايا المطروحة



عليهم . وخرج من هذا المنصب المهم بكتابة « الاعلام بنوازل الاحكام » وبالإضافة الى ذلك . لعب ابن سهل ادوارا مهمة في عهد ملوك الطوائف فكان من المقربين الى الامير عبد الله بن بلجين وباسمه توجه الى سبته ليقوم بمهمة لدى يوسف بن تاشفين . ولكنه كان في الواقع من بين الذين شجعوا امير المرابطين على الاطاحة بملوك الطوائف وأخضاع الأندلس للدولة المرابطية . وعلى اى : فالدى يهنا الآن هو شخصية ابن سهل العلمية فقد اعترف له كل من تحدثوا عنه بالتبريز في ميدان الفقه . وكان أستاذا لعدد من الفقهاء في سبته والى مدرسته ينتسب القاضى عيساض .

وفي هذه المقدمة نظرة مختصرة عن نوازل ابن سهل . ومنها يتبين ان الكتاب يتميز بكونه هو المجموع الوحيد للفتاوى الفقهية حسب المذهب المالكي بالنسبة للقرن الخامس الهجرى اى الحادى عشر الميلادى . ويقتصر النص المنشور ، كما ذكرنا ، على الجزء الخاص بالحسبة . وقد بلغت الحسبة من الاهمية فى الاندلس ما جعلها تطبق احكامها فى البوادر والمدن على السواء .

2 - النص : ليس من السهل تقديم تحليل عن كتاب فى النوازل ، نظراً لتشعب القضايا . ويكفى ان نشير هنا الى امثلة من القضايا المهمة التى تعرض لها . فهو يحدث فى فصل عن قضايا القتل لدى الخرازين والنساجين وباعة اللبن . ويقترح ان يكون الكيل فى البلد الواحد موحدا . وبعد ذلك ياتى فصل مهم عن الجائحة اذا اصاب اراضى الاحباس والمقاييس اثنى يجب ان تراعيها الدولة فى محاسبة المستاجرين للاراضى الزراعية ومن بين ذلك ، ايضا . موضوع الكلاب وما ينتج عنها من اذى ، وموضوع الترامى على الملك العمومى ، كالطريق ، مثلا ، لضمه الى الملك الخاص ، وبناء فرن بقرب السكنى ، ومسألة تتعلق بقنوات المياه الجارية بقرطبة واخرى فى عاصر الخير وبائمهسا ، والاعتداء بالعنف ، وانواع من جرائم القتل ، وفى الارتداد عن الاسلام ، وفى بعض قضايا الزندقة .

ولعل الاقتصار على ذكر العناوين لايبين اهمية الكتاب . فلننصف الى ذلك انه ينشر لأول مرة وانه لم يقع التفكير فى نشره قبل ذلك .

وتظهر اهميته بالخصوص في المعلومات الملموسة والدقيقة التي يقدمها لنا عن المجتمع والاحلاق والعادات اذ يعرض علينا المؤلف قضايا عرهما مباشرة بنفسه أو نقلها عن غيره من الفقهاء والقضاة . وقد نوه العلماء قديما بنوازل ابن سهل مثل ابن بشكوال وابن فرحون والنباهي وابن عري . وفي عصرنا هذا نبه المستشرق الكبير « ليفي بروفنصال » الى اهمية الكتاب واستفاد منه في كتابه عن تاريخ الاندلس . وهذا مما اشار اليه المؤرخ « كلود كاهن » في تقديمه لهذا العمل القيم .

حقا ، أن هنالك ملاحظات جزئية على تحقيق النص ، ولكننا نرحب به لما يقدمه من فوائد كثيرة للمؤرخين والباحثين .

### جانب من تاريخ المجاعات والابوثة :

وهناك مقال آخر مهم بعنوان « مجاعات وابوثة بالمغرب فنى القرنين السادس عشر والسابع عشر » اشترك في تحريره الاستاذان روربرجى والتريكي . وتاريخ الكوارت من هذا النوع مفيد لتعريفنا بالتطورات التي مست المجتمع والحياة الاقتصادية . وكما اشار المؤلفان الى ذلك لاسبيل لمعرفة ماضى المغرب دون الالم بالتاريخ الديموغرافى . حقا ان وثائق الحالة المدنية التي ساعدت على دراسة الموضوع بالنسبة لاوروبا ، تعوزنا هاهنا في المغرب ، ولكن دراسة المجاعات والابوثة تساعدنا ، عن طريق المقارنة بين المعلومات ، والمقابلة بين عدد من الظواهر المتعاصرة ، أن نكون فكرة تقريبية عن الموضوع .

ولئن كانت المصادر العربية اشارت الى هاته الكوارث ، فإن اشاراتها ظلت مقتضبه وغير دقيقة ، في كثير من الاحيان . ولذلك ، فلا غنى عن اتمامها بشهادات اجنبية معاصرة ( برتغالية ، انجليزية الخ ... ) . وقد تتبع المؤلفان الترتيب الزمانى في استعراض تلك الكوارث .

وحدثت اولى تلك الكوارث بفاس حين هجرة يهود الاندلس اليها في سنة 1498 ملادية . فقد مات من هؤلاء عدد كبير بالبواء التي حملوها معهم من اسبانيا وتسرب المرض الى فاس وناحيتها وتسبب حسب مصدر يهودى في موت 20.000 من السكان . ويظهر أن البواء انتقل من هنالك ليعتقم في اقطار المغرب .

ولن يعرف المغرب بعد ذلك مصائب كبيرة من هذا النوع حتى سنة 1521 حيث يلتقى الطاعون مع المجاعة ليلحق اضرارا خطيرة بالبلاد ولدينا معلومات دقيقة عن هذا الموضوع بفضل المصادر البرتغالية فقد توالى سنون عجاف على المغرب منذ 1520 ، وكان الطاعون منتشرا بإسبانيا والمغرب واستمر ذلك الى سنة 1524 . ففى اصيلا ، مثلا ، ظل الناس يموتون بمعدل خمسة فى اليوم طيلة شهور عديدة واضطر اعيان البرتغال بما فيهم عامل المدينة ، التى كانت تحت الاحتلال البرتغالى ، ان ينسحبوا هم واسرهم الى بلادهم . وكان الطاعون عاما فى سائر نواحي المغرب ، ونقله المغاربة الذين اخذوا كرقيق الى اسبانيا حيث انتشر هنالك .

وكان من اثر الجفاف المتوالى ان قلت الحبوب ، فى نفس الوقت وارتفع ثمنها وفقدت من الاسواق . وكان المغرب مقسما بين السعديين والوطاسيين . وقد اظهر الوطاسيون عجزا كبيرا فى تلافى المجاعة والغلاء مما سبب الموت الجماعى الكبير فى ماس ومكناس ، وخاصة فى السهول الاطلسية الوسطى بعيدة ودكالة وهذا ما جعل بعض الناس يبيعون انفسهم واولادهم للاسبان والبرتغال ، بينما اظهر السعديون حزما اكبر ووسائل اقوى فى التغلب على المجاعة وتجنبد معهم بعض رجال الصوفية فى اداء هاته المهمة مثل العزوانى عبد الكريم الفلاح وبو عمرو المراكشى .

ويتوسع المعال فى ايراد اشهادات عن الاسترقاق الذى حصل بالمغرب فى هاته الظروف العصبية حيث اغتتم البرتغاليون الفرصه فصاروا يشترون ابناء القبائل المغربية ويناتها بأبخس الاثمان ويأخذونهم الى بلادهم او الى المستعمرات بأمريكا وجزر الخالدات ( الكانارياس ) وحسب شهادة « رودريجس » كان يباع بازموور وحدها ألف من الرقيق فى اليوم الواحد كان ، اخن ، من النتائج المباشرة للوباء والمسغبة ان مات عدد من الناس (ثلث السكان فى بعض التقديرات ) بينما هاجر عدد آخر او وقع تحت الاسترقاق مما كان سببا فى انهيار ديموغرافى خطير خللت من جرائه البوادرى فى اقاليم دكالة وعبدية والشاوية . وكان لذلك أثره على دهور الفلاحة والصناعة والحياة الاقتصادية ، بصفة أعم ، لقلّة اليد العاملة .

ويربط البحث بين هاته الكارثة واستقرار السعديين بهراكش ونقل  
رغات الجزولي اليها . وهكذا قضى على الامير الهنتاتي بهراكش وبدأ  
يتقلص ظل البرتغاليين في السهول الاطلسية . وكل هذا ندير بقرب  
انتصار السعديين وصعود دولتهم . ويشير المقال الى الدور الذى قام  
به بعض رجال الزوايا في اعادة بناء الاقتصاد ، وبالاخص عبد الله بن  
حسين الامعارى ، تلميذ عبد الله الغزوانى .

بعد هذه الكارثة عرف المغرب ثلاثين سنة من الهناء وامكن اجتياز  
بعض المواسم العجاف دون اخطار كبيرة . لكن ظهر الوباء من جديد  
فى سنتى 1557 و 1558 ، متوغلا فى البلاد من الجهة الشماليه .  
ويظهر انه انتقل من الجزائر التي أتى اليها من تركيا مع سفن الدولة  
العثمانية . وقد فتك بالريف وانتشر فى نواح متعددة من البلاد . وحسب  
بعض التقديرات يمكن ان يكون عدد الموتى قد وصل الى ثلاثمائة الف .  
وقد تحدثت عنه المصادر الاروبية والعربية مثل ابن عسكر والوفرائى  
والناصرى .

وفى سنة 1580 ، ظهرت فى المغرب وباء السعال واشارت اليها  
المصادر العربية وهى ما يسمى « الزكام الاسبانى » ولذلك سميت  
سنة الكحة « عام كحيكحة » . والتقى هذا الوباء مع ظروف المجاعة  
حيث خرج الناس لأكل البقول .. وهنا لاحظ على المؤلفين الفاضلين  
انها اخطأ فى فهم كلمة البقول التي هى ذات معنى عام وتدل على  
كل نبات ينبت من بزر لا من ارومة . والمراد منها فى نص الناصرى  
هو كل انواع الحشائش الموجودة فى الارض . واما ما تسميه العلامة  
بالمغرب « البقولة » فالكلمة التي تدل عليه فى الفصحى هى  
« الخبازى » والكلمة ما تزال مستعملة بالتصغير فى البادية المغربية .

ظهر الوباء من جديد فى بداية القرن السابع عشر وهو اشد ما  
يكون فتكا وخطورة . واليه يفتير « تاريخ الدولة السعدية » لمؤلف مجهول  
قائلا : « وفى سنة ست وألف كان الوباء بالمغرب الى ان خرج من فاس  
ألف ميت كل يوم ورجع بعدما انتهى وخرج من مراکش الفان اثنان من  
الموتى ، كل يوم » (ص 111) واستمرت الازمة الوبائية بين مد وجزر  
عشره اعوام من 1597 الى 1680 مقترنة مع المجاعة والحروب  
المدنية ..

وقد قدرت أرقام عن عدد الموتى حتى إن بعض المصادر الإسبانية تحدثت عن 450.000 من الاموات بسبب الطاعون بالمغرب . ويعتقد المؤلفان أن هذا الرقم فيه مبالغة وأنه يصعب تحقيقه على أى حال . ويظهر أن هذا الوباء جاء من الشمال باروبا وأخترق الاقطار الأوروبية متسببا في هلاك البشر بالاعداد الكبيرة الى أن وصل الى المغرب عن طريق موانئه الشمالية . ويصل المؤلفان في تحليلهما الى أن الطاعون أضعف المغرب ومس مساسا كبيرا بسلطة المنصور في الداخل ، أثناء السنوات الاخيرة من حكمه وأدى الى تهيةء جو الصراع الذى نشأ بين أولاده . ومن المعلوم أن المنصور نفسه مات بالطاعون ، وإن عددا من الامراء السعديين ماتوا في تلك الفترة بنفس الداء .

لكن الشيء الذى زاد الطين بلة أثر وفاة المنصور هو ظهور المجاعة بالمغرب . وهذا ما يوجد عنه تفاصيل في بعض المصادر اليهودية وكذلك اشارات في تاريخ الدولة السعدي لمؤلف مجهول وفي مناهل الصفا حيث يشار الى ارتفاع سعر الحبوب بصورة فاحشة . وتشير بعض المراسلات الواردة من المصادر المجهولة عن تاريخ المغرب الى استمرار حالة الوباء مقرونة بالمجاعة ذاكرا ، مثلا ، أن عددا الموتى كان يصل بمراكش الى 900 في اليوم الواحد .

لكن هاته الوضعية المساوية لم تكن مقصورة على المغرب الاقصى وحده ، بل كانت تعم مجموع الشمال الافريقي . بل أن الطاعون كان منتشرا باروبا وبالإمبراطورية العثمانية . ومع ذلك ، فإذا حصرنا انتباهنا في المغرب الاقصى وحده ، فسنجد أن هاته الكوارث كانت سببا في استمرار تخلفه وتوقف كل مجهود من أجل تنميته . وهذا ما يظهر لنا بوضوح إذا اعتبرنا عواقب تلك الكوارث :

1 — في المستوى الديموغرافى ، فقد المغرب الثلث وفي بعض المدن النصف من سكانه .

2 — في المستوى السياسى ، تدهور المخزن السعدى بسبب تساؤل مداخيل بيت المال ، وتقلص التجارة مع الخارج وتعدد الكوارث ، وانتشار الاسلحة النارية بين السكان .

3 - في المستوى الاقتصادي ، حدث تدهور في الفلاحة بسبب الجفاف وتناقص اليد العاملة ورؤوس الاموال و استمرار الحرب المدنية . وتوقفت زراعة قصب السكر وصناعة السكر . وهذا ما جعل الارض الزراعية تخضع لنوع من الاقتصاد الرعوى و حياة الترحل .

4 - في المستوى الاجتماعى ، حدث انقراض عدد من الاسر الكبرى وظهور فئات جديدة ، وانتشار الكراهية للدولة السعدية في اوساط الشعب بسبب هاته المصائب .

والى حد الساعة كان المؤرخون يفسرون تدهور الدولة السعدية بالصراع الداخلي بين ابناء المنصور . ولعله من الاقرب الى الصواب ان نضع في اعتبارنا هاته الاحداث المناوئة وهاته العوامل المختلفة التى احدثت ازمة عامة بالمغرب في اوائل القرن السابع عشر . وهذا ما جعل الناس ينصرفون بفكرهم الى انتظار المعجزة للخلاص من المصائب فأصبحوا يأملون ظهور المهدي المنتظر . ومن تم جاءت محاولة ابي محلى التى قضت على براميج المولى زيدان في اعادة الدولة السعدية الى سالف مجدها .

تلك هى الافكار الرئيسية في هذا المقال المفيد الذى قد يثير بعض المناقشات ، ولكنه يفتح اعيننا على حقائق لا سبيل لكرانها وعلى آفاق من البحث ستغنى ، ولا شك ، تاريخ المغرب .

#### الريائد البريطانية المقيدة لتاريخ المغرب .

هذا مقال اشترك في كتابته الاستاذان « مجالى مرسى » و « الان مايرس » بقصد التنبيه الى ضخامة اوثائق البريطانية واهيتها بالنسبة لمن يدرس تاريخ المغرب . الشيء الذى دعاها الى الحديث عن اهم المجموعات المتعلقة بتاريخ المغرب في القرنين 17 و 18 اى بالدولة العلوية في مرحلتها الاولى . وما زالت هاته الوثائق والريائد لم تستغل من لدن المؤرخين ، برغم اهميتها .

وهاته الوثائق ، كما يشير الى ذلك المقال ، موزعة في مستودعات مختلفة ، فهناك .

— مديرية الوثائق العمومية بلندن التى تحتوى على الرسائل الملكية ، مثلا ، وعلى وثائق مالية وبحرية .

— مكتب محفوظات البلاد ، حيث توجد مجموعة الادارة الاستعمارية المشتملة بالخصوص على وثائق عن طنجة فيما بين 1661 و 1684 وعن جبل طارق الذى كان له ارتباط وثيق بالمغرب .

— المتحف البريطانى : الذى يعد من أغنى المكاتب العالمية .

— مكتبة بودليان ، ومكتبة كامبريدج الخ ...

ومن جملة ما تحتوى عليه هاته المجموعات يجب ان نذكر :

— المجلدات الخاصة بالعلاقات الدبلوماسية والتجارة .

— تقارير السفارات .

ومن اكثر تلك الوثائق فائدة ما يتعلق بالفتره المضطربه بين وفاة المولى اسماعيل وتولى محمد بن عبد الله ( 1727 — 1757 ) .

ومن جملة المكتشفات الجديدة بالذكر ، مجموعة من الوثائق بالتجارة مع اجادير فى سنة 1697 وستى 1700 و 1701 .

ولما الرسائل الملكية ، فانها تحتوى على خطوط عربية جميلة ومن جملة الوثائق ، ما هو مودع باسم البحرية ، والتى فيها معلومات عن سفراء مغاربة الى انجلترا ، وعن البحرية المغربية ، و عن القرصنة والايوة . ومن جملة ذلك ، أيضا ، وثائق الخارجية التى بالاضافة الى تقارير القناصل تقدم معلومات عن شؤون المغرب الداخلية مثل تقارير القنصل « ماترا » .

وتكون مجموعة « المكتب الاستعمارى » مصدرا ثالثا مهما . فهناك المجلدات الخاصة بطنجة التى كانت فى حوزة انجلترا ، كما هو معلوم ، فيما بين 1661 و 1684 . واذا كانت الوثائق تهتم أساسا بشؤون الادارة بطنجة ، فانها تقدم معلومات نفيسة عن تاريخ شمال المغرب والخضر غيلان ونشأة الدولة العلوية . ومن جملة الوثائق التى يشير اليها المقال مجموعة مهمه وضخمة من الخرائط واللوحات المتعلقة بطنجة .

وفى ضمن مجموعة « المكتب الاستعماري » توجد وثائق جبل طارق التي تحتوى عدة مجلدات وتفيدنا كثيرا عن مغرب القرن الثامن عشر وخاصة في فترة الفوضى . ويمكن أن تستخرج منها دراسة موبوغرافية عن الباشا أحمد الريفى .

وهناك ، بالإضافة الى ما ذكر مخطوطات ، وخرائط عن المغرب ترجع الى القرن السابع عشر . ويشير المقال ، فى الاخير ، الى وجود وثائق يهودية على جانب من الاهمية .

وتستنتج من هذا الاستعراض السريع إن الباحثين المغاربة فى علم التاريخ عليهم ان يتجهوا أكثر فأكثر ، بمساعدة الجامعة المغربية وتشجيع الدولة ، الى التعرف على هاته الوثائق التى تهتم تاريخ بلادنا فى الصميم .

#### قصص شعبية عن الاولياء :

هذا المقال عباره عن ثلاثة نصوص بالدارجة المغربية مع ترجمتها الى الانجليزية ومقدمة قصيرة باللغة الانجليزية ، ايضا ، والمحاولة التى يقوم بها المؤلفان « ليكلهان » و « الديرى » طريقة من عدة وجوه اهمها .

— اللغة : وهنا يجب ان نذكر ان اللغة الدارجة وقع اهمالها ، مع كامل الاسف ، فى السنوات الاخيرة ، فلم تعد الدراسات الجامعية تخصص لها اية حصة ، ونأمل ان يتلافى هذا النقص . وعلى اى ، فلا يسعنا الآن الا ان نرحب بكل محاولة لجمع النصوص . من افواه العامة فى البادية والمدينة على السواء . والنصوص المدرجة فى المقال الذى نتحدث عنه الآن يقدم لنا دارجة بدوية لا تخلو من جزالة ومتعة وسليقة .

— العقائد الشعبية : وهذا باب مهم فى السوسولوجيا المغربية وقدبها ميز الفلاسفة المسلمون بين العامة والخاصة من حيث العقيدة وهكذا نجد العامة تميل مع تيار الخرافات والاساطير ، فتتمتع للاولياء طاقات وخوارق بعيدة جدا عن مستوى البشر العادى . وكان ذلك من الاسباب التى حملت السلفية على موقفها الصارم ضد العقائد



الخرافية والطرقية . والنصوص الثلاثة تبرز لنا بكيفية أصيلة كيف يعبر العامة عن نظرتهم الى الاولياء .

— التاريخ : من المعلوم ان الزاوية الشرقاوية بابى الجعد قامت بدور خطير في ناحية تادلا ومشارف الاطلس المتوسط . ونحن نجد في هاته النصوص اشارات وعبارات تبرز لنا الشيخ محمد الشرقى وولده المزوانى بوشاقور في موقف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومناهضة الظلم والدفاع عن عامة المسلمين . فكأنهما ينطقان بلسان الشعب امام الحكام . ومن ثم يتبين لنا الصعوبة التى صادفتها جل الزوايا للتفريق بين العمل الصوفى والعمل السياسى .

### المروض البيليوغرافية :

وفي القسم البيليوغرافى الذى يأتى في آخر العدد هناك وقفات مع بعض ما نشر من الكتب باللغات الاجنبية . فهناك نظرة عن ترجمة « كشف الصلصلة » للسيوطى الى الفرنسية ، واخرى عن كتاب « يهود المغرب » الذى افه الاستاذ « حليم الزفرانى » احد اليهود المغاربة المهاجرين الى فرنسا حيث يعمل كاستاذ جامعى بباريس .

وهناك تحليل مقتضب لكتاب « اسبانيا الاسلامية في عهد بنى نصر » الذى افته بالفرنسية الاستاذة راشيل آريى ، وعرض موسع عن المجلدات السبعة التى صدرت في « كشكول دار فيلا سكيكز » والتى تقدم معلومات عن العالم الناطق بالاسبانية منذ فجر التاريخ الى اليوم وتحتوى المجلدات المذكورة على ابحاث تتعلق بتاريخ الاندلس .

ولدينا ملاحظات على هذا القسم البيليوغرافى نرجو أن يتلافاه المشرفون على هاته المجلة العلمية النفيسة :

1 — انهم لا يقدمون قائمة بالمؤلفات التى تصدر عن المغرب بالعربية او باللغات الاجنبية كما تفعل عدة مجلات مماثلة . ومثل هاته القوائم مفيدة للباحثين .

2 — انها لاتعير اهتماما كافيا لما ينشر بالمغرب سواء من كتب قديمة نشرت نشرة علمية ، او دراسات حديثة . فليس هناك ،

مثلا ، اى نظرة عن المجلدات التى صدرت من كتاب « ترتيب المدارك »  
للقاضى عياض او « رى الاوام » او كتاب « مظاهر يقظة المغرب الحديث »  
للمنونى او « الوثائق » او الكتب التى اصدرها عبد الله العروى والرسائل  
التى قدمت فى نطاق الدكتوراة الخ . . . . . وانى اعتقد ان هذا الجانب من  
البحث العلمى يجب ان يحظى بالاهتمام الاول لـ « هسبريس تمودا »  
وما ذلك على همة الاساتذة المشرفين عليها بعزیز .

## امثال الأندلس

بعد طول إهمال وازدراء ، اخذ الادب الشعبي المغربي - يجتذب شيئاً فشيئاً اهتمام الباحثين ويبرز لنا أصالته وقيمته . ولسوء الحظ ضاع منه الشيء الكثير بسبب تلك العجزنة الفكرية التي وجدت عند العديد من المؤلفين والكتاب والمفكرين ، والتي لم تكن تخلو من روح طبقية .

ولا غرو ، فالعامة كان ينظر إليها في كتب التاريخ والادب العربي الكلاسيكي بشيء من الاستهزاء والتندر . كما أن المفكرين أمثال الغزالي وابن رشد وغيرهما كانوا يرون أن العامة يجب ان تعامل ، على حدة من الناحية الفكرية ولا تبلى ما يبلغه الخاصة من الناس . أما الادباء أمثال ابن بسام وعبد الواحد المراكشي والمقرئ ، فقد وجدوا أنفسهم مضطرين للاعتذار عن ايراد الموشحات في كتبهم أو عدم ايرادها ، فما بالك بالازجال الشعبية ومن المعلوم أن هؤلاء الاعلام الذين ذكرنا هم من خيرة رجال الفكر والثقافة من حيث الاخلاق وسمو الروح . ومن دون شك أنهم ، في موقفهم الذي ذكرنا ، كانوا متأثرين بمجتمعهم الذي كانت تسوده عقلية أقل ما يقال عنها أنها كانت تصنف الناس الى فئتين : خاصة وعامة ، نخبة ودهماء

هذا ما يجعلنا نحى بكل حرارة بحث محمد بن شريفة الذي وضعه عن امثال العموم في الاندلس . وقد وجدته مترددا في تناول كتابه بالتعريف والتقد ، نظرا لما يربطني به من صداقة خشيت منها أن تغمر عيني بأسباب الارتياح والرضى . لكن ، أسام تهاون النقاد وإهمال الصحافة لكثير من الاعمال الثقافية والجليلة التي تصدر بالمغرب ، رأت من الواجب المؤكد ان أتجاوز الاعتبارات الشخصية ، لاتحدث عن هذا

الكتاب المهم بما تقتضيه الأمانة العلمية ، سيما وأنه يمثل مجهودا علميا صادقا أمضى فيه المؤلف سنوات عديدة ونال بفضلته شهادة الدكتوراة من جامعة القاهرة .

انطلق المؤلف في بحثه من مخطوط « رى الاوام » لأبى يحيى الزجاجى الإندلسى ( 617 — 694 هـ ) الذى ازداد بالاندلس وعاش بها فترة الصغر والفتوة ، ثم انتقل الى مراكش وقضى بها بقية عمره . وكانت يده البيضاء على ثقافتنا المغربية أنه ترك لنا « رى الاوام » الذى يعرفه لنا بنفسه : « وبعد فهذا كتاب سميت به رى الاوام ومرعى السوام فى نكت الخواص والعوام ، جمعت فيه من اشارات القدماء وعبارات العلماء وعظمت الفلاسفة والحكماء ، وتوقيعات الملوك الأعظماء ، جملة يتمثل بها عند المحاضرة ، ويتجمل بها عند المناظرة ، ويسترسل بفنونها عند المحادثة والمذاكرة والمساجلة والمسامرة »

وقسم كتابه الى قسمين : أول خصصه للحكم والأمثال المغربية ، وثان لامثال العوام ، يصفه كما يلي :

« والقسم الثانى كلمات لفتتها من أمواه العوام وثقفتها من مشاجرات الرعاع والطفام . وهى كلمات هزلية ، حديثة أزلية ، نطق بها الناس على تعاقب الملوان . »

ومن حسن الحظ أن المؤلف حافظ لهاته الأمثال على صيغتها العامية واعيا بالفائدة من ذلك ، ومفسرا اختياره قائلا :

« ولو شئت أن أسوقها معربة وعن معانيها معربة ، لكان ذلك بأسهل مرام ، وأيسر نقض وإبرام ، وأثما كان يذهب رونقها ولا يعجب مونتقها . فتركها على وضعها ، لأحراز نفعها ، ولتكون أولج على اللسنة وأجزل لدى المحاورات المستحسنة . »

وهذا القسم الثانى هو الذى أخذه محمد بن شريفة مجالا لتحقيقه وشرحه وأساسا لبحثه . فكانت رسالته تنقسم الى قسمين خصص لكل واحد منهما مجلدا على حدة :

القسم الاول : دراسة جامعة عن الأمثال عند العرب ، مع الوقوف بصورة خاصة على أبى يحيى الزجاجى والأمثال الإندلسية والمغربية وما

يقتضيه ذلك من تحليل ونقد ومقارنات واستنتاجات مختلفة تنعكس على دراسة المجمع وتطور اللغة

— القسم الثاني : تحقيق نصوص الامثال وثوبيقها وشرح الفاظها بها يقتضيه ذلك من استكشاف العمية الاندلسية عن طريق المصادر القليلة ، والبحث عن اصول تلك الامثال ومقارنتها بغيرها .

في القسم الاول يبذل المؤلف جهدا قويا في تحليل عدد من الموضوعات الاساسية كتهيد للنص . فيبدأ أولا بترجمة المؤلف ويضعها في اطارها التاريخي . فالزجالي هو واحد من اولئك الاندلسيين المنتمين للارستوقراطية والواردين الى المغرب في عهد الرشيد الموحدى . وكما هو معلوم ، نفى هذا العهد وقع جلاء كبير للمسلمين من بعض الحواضر الاندلسية التى سقطت في يد الاسبان . الا ان هؤلاء الاندلسيين الفارين بدينهم وكرامتهم لم يصادفوا مغربا مستقرا ومزدهرا تحت خلافة الرشيد بل كان يجتاز حالة تدهور الدولة الموحدية . فتضايقوا بحظهم وتضايقوا من بعضهم وظهر منهم تنافس وتحاسد في بلاط الرشيد .

ولعل الزجالي من احسن هؤلاء الاندلسيين سلوكا واكثرهم حكمة ، اذ انه ابتعد عن المنافسات وآثر العزلة والقناعة والحفاظ على الكرامة الشخصية . واصبح ، بحكم سلوكه ، يمارس موقفا اخلاقيا وقرن الفعل بالقول فدافع عن الفضائل وعزة النفس ولعل في ذلك ما يدل على ميله بصورة خاصة الى الاشتغال بالحكم والامثال الذى خصص له كل مجهوده كمؤلف .

بعد ان يفرغ من الحديث عن المؤلف ينصرف الباحث الى الكتاب فيتسائل ، أولا ، عن الذين القوا في هذا الموضوع قبل الزجالي وبعبده ويربط كتابه بصنف من التأليف دعيت كتب المحاضرات ويذكر من جعلتها العقدة الفريد لابن عبد ربه وبهجة المجالس لابن عبد البر وسراج الملوك للطرطوشى ، والنفائذ الالاق لابن سلام الاشبيلي ، وريحان الالباب لابن الموعينى ، وروضة الازهار لابن خلف القرطبي ، وكتاب الف باء ليوسف البلوى ، ومحاضرة الابرار لابن عربى ، وحنائق الازهار لابن عاصم . فالموضوع ، كما يتبين ، ساهم فيه طائفة من اعلام الثقافة الاندلسية .

الا ان الزجالي ارتكز قبل كل شيء على نموذج مشرقى في عمله ،  
هو كتاب التمثيل والمحاضرة لابي منصور الثعالبي . فهناك تشابه بين  
راى الاوام وهذا الكتاب . ويعترف الزجالي بدين الثعالبي عليه . وهكذا  
احتوى الكتاب على 97 بابا اهمها باب الامثال الذى يكاد يشغل السفر  
الثانى برمته . وبالإضافة الى هذا الباب الاخير الذى يمتاز بطرافته  
والذى سيكون هو الموضوع الاساسى للبحث ، يحتوى رى الاوام على  
اشعار مغربية واندلسية منها ما هو غير موجود في غيره .

بعد هذا يخصص محمد بنشرية فصلا لتاريخ الامثال بالاندلس  
تمهيدا للحديث عن امثال الزجالي . فنكتشف معه اهمية الجهود التى  
بذلها المؤلفون العرب ، سواء في المشرق او المغرب ، لدراسة الامثال .  
انه مجهود متواصل شارك فيه عدد من اللغويين والادباء . والحق انه  
فصل ممتع ومفيد يدل على اطلاع الباحث وتوسعه في استقصاء المصادر  
وربطها ببعضها .

كانت بداية التأليف عن الامثال بالمشرق حيث تعاقب المؤلفون منذ  
القرن الاول امثال عبيد بن شريفة الجرهومي الى القرن الخامس حيث  
توج هذا العمل بكتايب المستقصى للزمخشري ومجمع الامثال للميداني  
الذى يضم ازيد من ستة آلاف مثل . وقد راجت هاته التأليف الشرقية  
بالاندلس ، وكان لابن العربي المعافى فضل في نقل عدد منها .

على ان هذا لا يعنى ان الاندلسيين لم يؤلفوا من قبل في هذا  
الموضوع . فهذا ابن عبد ربه يهتم بالامثال في العقد الفريد . وهذا ابو  
عبيد البكرى يقوم بشرح امثال ابي عبيد القاسم بن سلام وبنوه الدكتور  
بنشرية بالعمل الذى قام به البكرى الذى كان ، بدون منازع ، نموذجا  
للعالم والباحث المحقق المدقق ، ولابد من الاشادة في هاته القائمة بكتاب  
« نكتة الامثال » للعالم الشهيد سليمان الكلاعى ، من القرن السابع  
الهجرى ، الذى نحا في عمله الى جهتين : تلقين اللغة والبلاغة والادب  
من ناحية ، والتربية الدينية والاخلاقية من ناحية اخرى . ويأتى في آخر  
القائمة ، من حيث الترتيب الزمني ، الشاعر مالك بن المرحل الذى يعده  
الباحث اندلسيا مع ان المتعارف لدينا انه مغربى .

الى جانب ذلك ، اهتم عدد من علماء الاندلس بالامثال المستخرجة  
من القرآن والحديث ، فالفوا في هذا الموضوع ايضا ، كما نظموا القصائد

المطولة في الأمثال على غرار عبد الملك الجزيري وسعيد بن ليون التجيبى ونجد البعض منهم لا يكتفى بنقل الأمثال المتداولة وشرحها ، بل يقوم بصياغة أمثال جديدة ، وهذا ما نجده عند البرجى والكلاعى وابن الأبار .

### الأمثال العامية بالاندلس .

بعد هاته المقدمة التى كانت ضرورية لتوضيح الموضوع الاساسى والتى ستفرقت قرابة مائة صفحة ، ينتقل المؤلف الى الحديث عن الأمثال العامية ، ملاحظا الارتباط القوي بين الفصحى والعامية في هذا الباب اذ يؤكد : « فكثير من الأمثال العامية ما هى الا امثال فصيحة في الاصل ، صاغها العامة صوغا جديدا ، او اعتراها تغيير في الفاظها او في تراكيبها او في معانيها » (98) .

ويبدأ بنظرة قصيرة على الأمثال العامية عند المشاركة لانهم بحكم المنطق التاريخى كانوا سباقين الى هذا الميدان ، ويورد امثلة عنها . ثم يذكر بعض المؤلفات الشرقية التى تحوى على شئ منها . ويقف وقفة خاطفة على الأمثال المصرية . والواقع ان الأمثال العامية في العالم العربى لها صبغة اقليمية ، بمعنى انها تأثرت بالبيئة . سواء من حيث المضمون او الصياغة اللفظية . ولذلك فسرعان ما تميزت الأمثال العامية الاندلسية بسماتها اللغوية الخاصة نظرا لما طرا على العربية الدارجة بالاندلس من تطورات خاصة .

ولعل أول من سجل الأمثال الجارية على لسان العامة هو ابن عيبريه ، اذ ضمن « كتاب الجوهرة » من « العقد الفريد » جملة مما « جرى على السنة الناس من الأمثال المستعملة » ( عقد 81/3 ) . ثم يورد الباحث بعد ذلك بعض الأمثلة التى نشأت في المجتمع الاتدلسى والتى لها ارتباط بأحداث تاريخية او اقتصادية . وينجر الى الحديث عن امثال العدوة بالمغرب . فقد اورد البكرى شيئا منها ، نقلا عن الوراق وكذلك ذكر الامير عبد الله نماذج من الأمثال المغربية والبربرية في مذكراته . وهناك مؤلف آخر اهتم بالامثال العامية قبل الزجالى وهو ابن هشام اللخمي الاشبيلي الذى خصص فصلا لها في كتابه « تقويم اللسان » .

ولعل تتويج هذا المجهود العلمى هو الذى يجرى على يد أبى يحيى الزجالى ، نظرا للمجموعة الكبيرة من الامثال العامية التى استطاع ان يسجلها فى كتابه . وقد اراد الزجالى بعمله هذا ان يخلد امثال قرطبة وكان الشعور يساوره بان عهدها الاسلامى قد حان حينه . ولئن كانت الامثال التى دونها فى كتابه اندلسية بلغتها ومضمونها ، فان هاتى الصفة يجب فهمها بمعناها الواسع . ذلك ان الاندلس والمغرب اصبحا فى عهد المؤلف ، يشكلان وحدة حضارية وثقافية وسياسية . وقد هاجر عدد كبير من الاندلسيين الى المغرب وملأوا حواضره ومزجوا لهجتهم بلهجة اهل البلد ، وعنهم ينقل الزجالى قدرا كبيرا من الامثال . فالعمل الذى قام به الزجالى من قبيل تدوين ما يسمى « الادب الشفوى » الذى ينقل بطريقة السماع .

و لا يخلو العمل الذى قام به الزجالى من بعض الجراة اذا علمنا ان كبار المؤلفين والعلماء كانوا يستنكفون من آداب العامة وقد اشرنا من قبل الى امثلة من ذلك ، فالزجالى ، بهذا المعنى ، يمكن ان يعتبر من الرواد الكبار لادب العامية حيث عرف كيف يعزق امثالها وتعبيرها وقد انتقل هذا التذوق الى بعض رجال التصوف مثل ابن عباد الرندى الذى ضمن رسائله الكبرى طائفة من امثال العامة واستفاد من اللغة الدارجة فى صياغته الاسلوبية بالفصحى . ويوضح رايه فى ذلك قائلا : « والالفاظ العامية كثيرا ما اسوتها فى كتبى واصل بها الكلام الفصيح العربى ، لان الامثال العامية تشير الى معان حقيقية لا يمكن ان يستفاد مثلها الا من الكلمات الحكيمة ، ثم هى اعلق بالقلوب والنفوس من كل منق من الكلام اودع الدفاتر والطروس . فلذلك اعتمدتها ، فاعلم هذا »

### ( الرسائل الكبرى )

ويذكر الاستاذ بنشريعة فى ختام هذا الاستعراض مؤلفين آخرين جاءهما أيضا بعد الزجالى : ابن عاصم الذى خصص فصلا من كتابه « حدائق الازهار » للامثال ، وابن القفال الذى ضاع كتابه وانما بقى عنه تقریظ شعري يدل على اهميته .



بعد هذا التحليل الببليوغرافى الموسع يسأل الباحث عن اصول  
الامثال الاندلسية . ونظرا لتشعب الموضوع وتعقيدته ، فهو لا يدخل في  
التفاصيل ويكتفى بنظرة عامة . ويذكر من جملة هاته الاصول :  
— الامثال العربية القديمة ، مثال ذلك :

« فى ساقى ولا فى السباط » ، المثل الاندلسى الذى تحول فى دارجننا  
الحالية الي : « اللهم فى رجلى ولا فى الصغيرة » وأصه من الفصحى :  
« ابق نعليك وابذل قدميك » .

— أمثال المولدين التى كان أثرها ابرز لانها اكثر تجانسا مع  
معطيات الحضارة الاندلسية . وقد انتقلت الى الاندلس بطرق مختلفة  
وهاته نقطة مهمة لانها تفسر نوعا ما وحدة الامثال الحالية . ومن  
امثلة ذلك : « لا بيتا بكرا ولا خبزا بشرا » هكذا كان يقول البغدادي  
فى القرن الرابع . فجاء الاندلسى بعده فصاغ المثل على النحو التالى :  
« لا دار بكرا ولا دقيق بشرا » .

— النوادر والاخبار المروية فى كتب الادب تولدت عنها امثال فسى  
المامية .

— أحداث تاريخية ، مثل « الاعذار الذنوى » او « موقعة الزلاقة »

— امثال تتعلق بالمدن والاماكن الاندلسية واهلها مثل :

« اشبيلية تفنك وطريانة تؤدى الجعل »

او « من دخل شريش ولم يأكل بها المجينات فهو محروم »

— امثال تدور حول اشخاص لهم قصة ، مثل شنظير الصقلبي ،  
والبخضه .

— الفلز

— امثال لها علاقة بمواسم الفلاحة .

ولهذه الامثال اثرها فى الادب الاندلسى ، والشعر منه بالاختص .  
وهنا يعقد الباحث فصلا ممتعا يتطلب الاستقصاء فى قراءة النصوص

الشعرية ، نرى فيه كيف ان عددا من الشعراء البارزين امثال يحيى المعزال والسميسر وابن حصن الاشبيلي وابن يربوع الجياني وغيرهم حلوا ابياتهم بمعان وتعابير مقتبسة من الامثال العامة .

وطبيعى ان يكون هذا الاثر اعمق وأبرز في الشعر القريب من العامة الا وهو الزجل الاندلسي ، الذى وان كان ضاع الكثير منه ، ما زالت بقاياه تمكننا من التعرف على جانب من التعابير العامة المستعملة بالاندلس وفي ضمنها عدد لا يستهان به من الامثال . ولعل قراءة ديوان اكبر الزجالين « ابن قزمان » ستتيح لنا ان نخرج بحصيلة كبيرة من هذا الباب فنجد في ازجاله طائفة من الامثال التي سجلها الزجالى فيما بعد بكتابه ، كما نجد امثالا اخرى لا توجد في « رى الاوام » . وقد اقام الدكتور بنشريفة ثبنا بالامثال الواردة عند ابن قزمان يتجاوز عددها المائة . يبقى بعد ذلك سؤال لا يمكن الجواب عنه على وجه التحقيق لانعدام المصادر والحجج الكافية الا وهو دور الشاعر في ابتكار الامثال كما هو الشأن بالنسبة للشعر الفصيح الذى جرت بعض ابياته مجرى الامثال .

هنالك ، بالطبع عند الزجالين الآخرين امثال غير هذه . ومن جعلتها امثال وردت في اجزال « الحايك » المستعملة بالطرب الاندلسي وهنا يثير الباحث موضوعا طريفا يدخل في المقارنة بين الزجل والملحون فهو يرى ان الزجل من صفاته الاشتغال على الامثال ، بينها الملحون في شكل « القصيدة » عار من هذا اللون من التعبير ولا يستثنى من ذلك الا « رباعيات » المذبذب وما يسمى « العروبي » . واظن ان هذا رأى قابل للمناقشة :

اولا : اتنا عندما نستعرض بعض القصائد وبعض شعراء الملحون امثال « بن على الرزين » و « الجيلالى المثيرد » و « مبارك السوسى » « وقدور العلوى » وغيرهم نجد في شعارهم طائفة من الامثال . فهذا محمد بن على العمرانى ولد الرزين يقول في معرض وصفه للحب او « الغيوان » حسب تعبير الملحون :

قاهر خصمان      عنتره و الغضبان      والشجيع النعمان  
بمعد قيس وماضل بن ذياب بوغنائم كان شديد

فهذا بيت يتضمن أسماء اعلام من القصص الشعبية ممن كان  
يضرِب بهم المثل في الشجاعة والحب معا .

ولننظر الى بيتين آخرين لنفس الشاعر من قصيدة « الجافى »

علاش يا الجافى باطل تجفينى

و تعادينى فى اغراض عديانى

فى بحور الهوى حايط طول سنينى

على الغنایم كايحييو قرصانى

قرصان الرئاسة ناسو تدرينى

تعرفنى بالذراع و لسانى

ففى هاته الابيات تضمن لعدة امثال ، وهو يرتبط نوعا ما بالزجل  
يغنى به فى الطرب الاندلسى الغرناطى والذى ورد فيه :

قسست البحر من صفرى

و قطعتة بلا زورق

ومن جا يعوم فى اثرى

فى هذا البحر يفرق

وانظر كذلك الى قول مبارك السوسى فى قصيدته « طال تيهانك »

العقل فى غرامك مملوب

كل يوم نسرد مكتوبى

صابر لو عدت قصتى للجبال يريو

والشبان تشيب

هو ايضا يذكر هنا ببعض الامثال . ونجد ، بالاضافة الى ذلك ،  
امثالا وقتية تدخل فى الوصف وتشير الى صور متعارفة فى المجتمع ،  
كقول مبارك السوسى فى تصوير رمزى للمحب السعيد :

ركبت على شيهاتى وارخيت للجواد السابق صرع العنان  
اشقر سليماتى سمحوج خاطف العرقوب سليس البدان  
و الحدير تلمساتى سرجو بالموير قامو بالبرثمان  
و ركابو سيساتى حلة من الشكرنط لبس بها ازيان  
و السيف العثمانى جواه من الفضة والقبضة كركدان  
خاتمها عقيانى من خالص الثقة تسطع كما المرهقان  
و طيور نى الامزان الصيد من سماها تسيق ربح المزان  
تخفق بالجنحان الخوف من الجو اسرع من رمشة الاعيان

والامثلة كثيرة فى هذا الباب :

ثانيا : الشعر المالحون ، على وجه العموم ، يكتسب بصياغته  
واسطوبه زى الامثال . فهو ليس بالكلام الدارج العادى الشبيه بلغة  
التخاطب اليومى ، بل انه يبنى على نوع من التركيب والتعبير القوى  
الذى نجده فى صياغة الامثال . وهاته نماذج مما ذكرنا :

— شلا بالصبر نلاوى حمل الحب على ثقل وانا ضعيف (المغراوى)

— من لا قاسو الهوى ماذاق نشاوى ( المغراوى )

— لاش ما تبكى يامن جرحوك الارماق

لاش تضحك يامن هو بالفراق محروق (السوسى)

— الفدار يموت بالفدر دغية يظهر عيو

اللى دار يصيب ( السوسى )

— عشقى ما هناتى والفت بالمليح يوصلنى للمكان (السوسى)

— افشيت اسرارى بين لمة الاعدا وهل الفجور (قدور العلمى)

— سر الاثوار ما حدو بين عرايشو مقتل

إذا يزول من غصانه دغية توجدو مذل (قدور العلمى)

ومهما يكن ، فهاته جزئية في هذا البحث القيم اردنا ان نقف عندها قليلا لانها تتصل بموضوع يهمنا من قريب الا و هو شعرنا الشعبي . والمهم هو التحقيق الذي قام به محمد بن شريفة ، وهو يثير الموضوع في تأثير الامثال الاندلسية على الامثال الاسبانية . ويظهر ان الباحثين الاسبانين الذين طرخوا هذا الباب لم يكن يدور بخلداهم ان العرب كان لهم نصيب من الوحي في صياغة امثالهم الشعبية . فهم حينما يتحدثون عن اصولها يذكرون كتبهم الدينية والمصادر اليونانية واللاتينية . اما المصادر العربية ، فلا يشيرون اليها بتاتا . وهنا يبين الباحث بالحجة الدامغة والامثلة التي لا تترك مجالا للشك العلاقة الوثيقة بين الامثال الاسبانية واللاتينية ، وهي علاقة لا تقتصر على المعنى ، بل تمتد الى اللفظ . فهناك مائتا مثل اسباني استطاع ان يجمعها الباحث ترجع الى اصل عربي اندلسي ، ويعلل انتقالها بالازدواجية اللغوية التي عرفتھا اسبانيا ردحا طويلا من الزمان . وعلى أي ، فهذا باب مهم وطريف من البحث في التفاعل الحضاري والثقافي بين الشعوب ، يجب على علمائنا في المستقبل ان يغنوه باكتشافاتهم وتحقيقاتهم حتى لا يبقى تأثير الثقافة العربية على اوروبا مجرد تصور غائم وغامض نذكره على سبيل التشويق دون ان نستحضر منه أي عنصر ملموس .

و يتعرض الباحث لتأثير الامثال الاندلسية على الامثال المغربية فيذكر ان « قسما كبيرا جدا من الامثال الواردة في مجموعة الزجالي ما يزال مستعملا في حواضر المغرب وبواديه » ويلاحظ ان هذا التأثير مرتبط بالقرب الجغرافي بحيث انه اقوى في المغرب الاقصى منه في الجزائر وتونس . على ان محمد بن شريفة يثير في هذا الصدد موضوعا طريفا دون ان يبت فيه بتسا ، لانه موضوع خطير يحتاج الى بحث كبير بمفرده ويتلخص في التساؤل التالي : من هو المؤثر ومن هو المؤثر عليه ؟

فالتواضع يقودنا دائما الى ان نعتبر دور المغرب سلبيًا في تبادل الثقافى مع الاندلس ، كانه يأخذ ولا يعطى ويستفيد ولا يفيد ، مع ان الحقيقة التاريخية هي بخلاف ذلك . وهذا ما يبرزه بن شريفة حين يقول :

« ومع ان هذه الامثال ألفها اندلسيون او جمعت في الاندلس فاننا لا نستطيع القول بانها امثال خاصة باهل الاندلس وحدهم ، آذ ان عددا

كثيرا منها كان من الامثال المشتركة بين الاندلس وبلدان المغرب ، كما  
أن فيها أمثالا مغربية انتقلت الى الاندلس . »

وهذا باب آخر من البحث يجب التوسع فيه ، واعنى به تأثير  
المغرب على الاندلس . والواقع ان هذا الفصل يبين أن هنالك مجالا  
للمقارنة المفيدة بين أمثال الزجالي وأمثال المغرب والشرق العربيين  
تدعيمها وحديثها .

ماهى الفوائد التى يمكن ان يجنيها الباحث اليوم من دراسة  
الامثال الاندلسية ؟

ذلك هو السؤال الذى يطرحه محمد بنشريفة على نفسه فى خاتمة  
المطاف ويحاول أن يجيب عنه ، مبرزا أن هنالك جانبين مهمين نستطيع  
أن نجنى فيهما فوائد ملموسة :

— جانب تاريخى و اجتماعى

— جانب لغوى

1 — بالنسبة للجانب الاول ، تفيدنا دراسة الامثال بادئ ذى بدء  
عن العلاقات البشرية التى كانت سائدة بين العناصر المتساكنة داخل  
المجتمع الاندلسى ومنها يتبين ان ذلك المجتمع ، برغم سيادة الاسلام  
فيه ، لم يكن يخلو من تعصب وعنصرية بين المسلمين . ومصادق ذلك  
اننا نجد عدة امثال فيها تحامل على البربر وعلى اهل العدو اى المغرب  
الاقصى ، فى حين لاتجد الا مثالا واحدا فى منحهم .

واضيف هنا ان بعض الامثال وما يكتنفها من قرائن تبرز ان  
الصراع لم يكن يخلو من صبغة طبقية . فأغلب البربر أو المغاربة الذين  
كانوا يذهبون الى الاندلس كانوا عمالا وزراعا مما جعلهم يتعرضون  
للاستخدام مع اغنياء الاندلس . ومما يدل على ذلك ، مثلا :

— « عطى للبربرى شبر طلب ذراع ، عطيه ذراع طلب مرى  
فأش يتمتع » .

اى أن مطالب هؤلاء البربر النازحين الى الاندلس كانت لا تقف عند  
الحد الذى يرتضيه سادة المجتمع . ولعل مغاربة الامس كمغاربة اليوم  
كانوا يقطعون البحر بقصد الاسترزاق بدليل هذا المثل الآخر .

— « لولا دكالة ، ما خدمت البسالة » .

وهناك أمثال أخرى تشير الى التنافر الذي كان بين العرب ، من جهة ، والمولدين والعجم من جهة أخرى ، منها ما يدل على كراهية ومنها ما يدل على حالة الحرب مثل :

— « أخذ موخوذ والمهارب لا يفوت »

— « أسير الصلح : آثر لوفدى » .

ومن هذا القبيل أمثال أخرى قيلت عن الصقابة واليهود والعبيد وجلها ينم عن استهزاء ومقت . فاليهود يشار اليهم بحب المال :

— « اذا أفلس اليهودى يفتش دفاتر ولد »

« مسلم صاغ : يهودى أحسن منو »

أما العبيد فكان ينظر الى السود منهم بشيء من الازدراء كقولهم :

— « أسود على أسود هم أن لا يرفد »

— « البغل المسمر و العبيد المشمر »

— « أسود بلا سياط بحال جامع بلا حصور » الخ...

وهناك أمثال تصور شعور العبيد بالحرمان كقولهم :

— « لعب ستى مع سيدى »

— « واحد مع عيال وأنا نقبض خيال »

وفي مجال آخر نجد أمثالا تتعلق بنظر العامة الى رجال الحكم والسلطان ، فمنها ما ينطوى على نقد لاذع ، كقولهم :

— « السلطان من لا يعرفه السلطان »

أو : « لس يقال للسلطان أشحالك »

ومنها ما ينطوى على التهيب :

— « من أدهن بزيت السلطان ، أقرع يصبح »

وبما ان الاندلس عرفت بثوراتها وثوارها ، فنجد امثالاً تتعلق  
بهذا الموضوع :

— « حصنى ولا من يقسنى »

او « رجل فالحبل ولا رجل فالكبل »

ومن هذا القبيل تقدمهم للقاضى وصاحب الشرطة :

— « بحال مظلوم لباب قاضى »

او « ما بين قاضى وزامر »

او « بحال شرطى ، يأكل معك ويكسر الصحفا فى راسك »

كما اثاروا الى شدة المحتسب فى معاقبة الغشائين :

— « بحال محتسب : يضرب ويطوف »

و هنالك امثال اخرى تتعلق بنقد الفقيه . ونحن فى غنى عن القول  
هنا انها لا تتجه الى كل الفقهاء ولا الى مهنتهم من حيث هى ، وانما الى  
البعض منهم ممن انحرفوا بسلوكهم مثل قولهم :

— « خاف الله واتقيه ولا تعامل الفقيه »

او « الفقيه الدكالى ، اعمل بقولى ولا تعمل باعمالى »

وهنالك امثال تتعلق بالتعليم :

— « ضرب المعلم للصبي كالما للزرع » .

او « من فكر فى شسرا بصلة لس يحفظ مسألة » .

و حينما يعرض للامثال الخاصة بالاطعمة ، يذكر هذا المثل الذى  
يدل على وضعية الفقراء بالاندلس .

— « الاجر درهمين والبقل من أين »

وهنالك امثال اخرى تتعلق بالاعیاد ولوازمها وعاداتها وهى على  
العموم ، تذكر بها هو جار به العادة الى اليوم بالمغرب ، مثل عيد



الاضحى و عاشوراء ويناير ( ويسميه الباحث ، ايضا ، « النيروز » مع ان عيد النيروز يقع فى فصل الربيع لا فى يناير الذى هو اول الشتاء ) والعنصرة وشعبانية ( شعبانة بعامية اليوم ) ومن جملة الامثال المتعلقة بذلك :

— « كياش الضحايا ما لهم بقايا »

— « حتى تكون العنصر فينير »

— « من يعطيك العيد تفرح به »

والمثل الاخير يشير الى يؤس طائفة من الناس لم يكن لهم قدرة على مصاريف العيد .

وهناك امثال تتعلق بالمرأة والزواج وفيها طرح لعدد من المشاكل الاجتماعية الناجمة عن تقاليد الاعراس والحياة الزوجية :

— « زوجـوه حـوجـوه »

— « لو زوج الكلب ما نبـح »

— « وى على من مات وخلق سبع بنات »

و نجد جملة اخرى من الامثال فى عدة مواضيع كالتجارة والحرف والملاهى والعجائبي . وهذا الموضوع الاخير يشير الى نوع من الألاعيب التى تقدم فى حلقات الشارع وتمتزج فيها الوان من السحر والحركات البهلوانية والتمثيل .

وهناك امثال اخرى فى الشطرنج والانحرافات الجنسية ، والخمر، وعدم الغيرة والزنا والسرقة . وفى هذا الموضوع يثير الباحث ملاحظات طريفة تتعلق ببعض من تعاطوا لقطع الطريق مشيررا الى العوامل السياسية والاجتماعية التى تحكمت فى المجتمع الاندلسى فى مراحل مختلفة من تاريخه .

ومن الظواهر الاجتماعية التى تناولتها الامثال الاندلسية ، هناك التسول والخرافة ، والشعوذة ، وبعض القيم الاجتماعية مثل الادخار

والاحتياط والنظام والعمل . وفي هذا الصدد نجد امثالا تبرز حرص  
الاندلسيين على العمل والكد .

— « غبار العمل اخير من زعفران العطلة »

— « اخدم باطل ولا تجلس عاطل »

— « من خلا شغل اليوم لغدا ما يفلح ابدا »

وفي موضوع المال تختلف الامثال بين الاشادة بالغنى والدعوة  
للزهد :

— « عندك شى تسوى شى »

— « الزلظ مالو مسروة »

— « اياس عن الغنى يطيب عيشك »

وهناك مثل يشير عن طريق التهكم الى تكافؤ الفرص الاصلى بين  
الناس اذ يقول :

— « من خرج من بطن ام بخريط فى كمو ؟ »

والمراد بالخريطة هنا الجراب المملوء بالمال .

وفي موضوع الفرد والجماعة نجد امثالا مختلفة منها ما  
يدعو الى التمسك بالجماعة ، كقولهم :

— « اخط مع الجماع ولا تصب وحدك »

— « مت مع الناس ولا تعش وحدك »

ولكن هذا لا يعنى أنك يجب أن تتكل على الآخرين أو تضع ثقتك  
فيهم دون احتياط أو حذر .

— « ضرب فى جنب غيرك أو فالحيط سوا »

— « اقرا النقيص مع كل احد تفلح »

— « عم واحرز ثيابك »

كما لا يعنى ان العلاقات الاجتماعية خالية من الطمع والحرص على المنفعة .

— « لو عطيتنى بضيع ، كان نبكى معك دميعة »

— « ما تقال الفوائد الا على الموائد »

ويبدى الباحث فى خاتمة هذا التحليل ملاحظتين :

1 — ان الامثال الخاصة بالسلوك مبنية على التشاؤم الساخر .

2 — ان بعض الامثال العامة قد يكون فيها ما يخالف روح العقيدة الاسلامية ، مشيرا الى وجود كتاب فى هذا الصدد بعنوان « لحن العوام فى ما يتعلق بعلم الكلام » لابي على السكونى .

لقد بذل محمد بنشريفة مجهودا صادقا فى تحليل مضامين الامثال الاندلسية وتصنيفها ، ومع ذلك فان هذا لا يغنىنا عن ابداء ملاحظتين :

1 — ان هاته الامثال لا تعرفنا فقط بالمجتمع الاندلسى وانما بسائر مظاهر الحياة فى الاندلس بحيث نستطيع ان نخرج منها بمعلومات اخرى . فهناك عدد منها يعرفنا ، مثلا ، بالحيوانات الموجودة بالاندلس او التى عرفها الاندلسيون كقولهم :

— « اذا رايت البلين ، ابشر بالرمشكـل »

— « اذا اكلت الخنزير ، كل سمين »

— « اقل للمرجقال لش تطير بالعش قال لدار خالتي نمشى »

— « اكبر من الحمام ، اصغر من اليمام » الخ ...

— « آخر رمى على السلوقي »

— « الضارب الفلاس وصاحب الدار جالس »

فالمنظر الحيوانى له اهميته فى المجتمع وهو الذى تعرفنا به الامثال وكذلك الشأن فيما يخص المنظر النباتى الذى نجد عنه طائفة اخرى من الامثال :

— « اذا ريت الخوخ والرمان فكر في ثيابك ايها العريان »

— « اذا ريت التين ابشر بالطين »

— « اذا صلح الفول صلح الكل »

— « اذا غلا القمح مالو حصال »

— « آتش بين قرقيج وبطيخ ؟ قال مبيت ليل »

— « القرع باول والباذنجان بآخر »

هذه امثال تقدم لنا جانباً من المنظر الطبيعي في الاندلس الذي لا يختلف كثيراً عما هو مرسوم في المغرب وسائر بلاد البحر المتوسط . ومع ذلك ، فانها لا تخلو من نبرتها الخاصة .

وهناك ، فيما يخص المهن والحرف ، على ما اعتقد استنتاجات اوسع مما ذكره الباحث . صحيح ان الامثال الاندلسية لا تعرفنا بالمهن من حيث هي لانها تقدمها في معرض النقد والتهكم ؛ ولكن ما تقوله لنا عنها يظل مهماً لانه يقدم لنا بصورة بليغة نظرة المجتمع الى المهن واصحابها وما ينتقده فيها . فحين حينما نستمع الى المثل التالي :

« اذا شاب الزمان تبقى مفاكب تحجل »

نجد هنا صورة معبرة لما اعتدنا ان نسميه مترجماً عن اللغات الاوربية « الانحراف المهني » واذا قارنا المثل :

« بحال حانوت حجام ارفع المنديل وادخل »

تقفز امام أعيننا صورة اعتدنا ان نراها في مجتمعنا المغربي وكانت موجودة عند الاندلسيين ايضاً وهي ان حانوت الحجام أو المزين كانت ملتقى لابناء البلد يجلسون فيها ويتآسرون بالاحاديث والفكاهات . وقس على ذلك امثلة أخرى .

والحضارة الاندلسية هي ، ايضاً ، من الموضوعات التي نستطيع ان نأخذ عنها اضاءاً من خلال امثال الاندلسيين فلنستمع الى المثل التالي :

« آتش دخل برکوکش في الضيافة »

انه يفيدنا عن نوع من الطعام كان موجودا عند الاندلسيين ، من جهة ، كما يبين لنا تقاليدهم في انتقاء الاصناف الصالحة للولائم ، من جهة أخرى . وهذا مثل آخر :

« آس بندير حنين مستمع لو طنين »

نستفيد منه وجود نوع من آلة الايقاع عند الاندلسيين بنفس الاسم الذى تعرف به عندنا اليوم والمأخوذ من اللغة الاسبانية . كما نستنتج منه المقياس فى اختيار آلة من هذا النوع ، وهذا مثل آخر يفيدنا عن صناعة السفن :

« العيب فالجامور خير من العيب فالانكى »

2 — هنالك جانب آخر من البحث فى مضمون الامثال الاندلسية وهو ان نتساءل هل هنالك مواضيع اهملتها وهذا نستطيع ان نستجليه بتطبيقها على الحياة الاجتماعية فى سائر مناحيها لنرى الجوانب التى سكنت عنها . ونضيف الى هذا العمل بحثا آخر وهو المقارنة بين مجموعتنا الحالية من الامثال الاندلسية والمجاميع الاخرى من امثال الشعوب عربية وغير عربية . والفائدة المنظرة من مثل هذا المجهود المزدوج مهمة :

أ — انها تتيح لنا ان نجيب على سؤال اسلسى فى الموضوع : هل مجموعة الامثال الاندلسية التى نتوفر عليها الآن كاملة ، الم تضع هنالك عدة امثال لان المؤلفين فى هذا الباب لم يقوموا بجرد منهاجى وشامل وانما ذكروا ما كان متداولاً فى محيطهم ؟ وهذا ، على اى حال سؤال بتبادر الى الذهن حينما نرى ان هنالك مجموعة امثال اسبانية تتجاوز ستين ألف حسبما ذكر محمد بنشريفة بينما مجموعتنا الاندلسية لا تكاد تتجاوز الالفين بقدر يسير .

ب — انها تعطينا الفرصة لتصنيف الامثال حسب مواضيعها ، وهذا التنسيق يبرز لنا الاهتمامات المختلفة ونسق القيم التى كانت سائدة بالمجتمع الاندلسى ، على شكل فيه نوع من الترتيب حسب الاسبقية ويدهى ان الامثال ، بصفة عامة ، مرآة من المرايا التى تعكس المجتمع على حقيقته .

هاتان ملاحظتان سقتهما الحاقا بتحليل هذا الفصل الممتع من بحث محمد بنشرية . وحاشا أن يكون قصدى منهما أن أستعين بهما ذكره ، بل أنه أتى بما يتجاوز الكفاية في نطاق بحث عام عن الامثال الاندلسية . وانما اردت ان لا تفوتنى الفرصة دون أن أبين ان البحث في مضمون تلك الامثال ما زال قميئا بان يقدم لنا اضواء جديدة ومهمة عن المجتمع الاندلسي .

الفائدة الثانية الكبرى التي تقدمها لنا الامثال الاندلسية تتعلق باللغة ذاتها . وفي شأنها يعقد محمد بنشرية آخر فصل من بحثه . فلئن كان الاندلسيون من أكثر الناس معرفة بالعربية الفصحى واسرارها التعبيرية وقواعدها النحوية ، فما منع هذا أن تكون لهجتهم العامية مختلفة عنها ، كما يشير الى ذلك ابن حزم في نص من كتاب « الأحكام » وما منعها ، أيضا ، أن تكون مختلفة عن لهجات المشرق وحتى عن لهجات المغرب ، ولو كان ذلك بصورة أقل .

و يجب التنبية الى أن عامة الاندلس تأثرت بعوامل خاصة بالبيئة المحلية أشار الباحث الى ثلاثة منها وهي :

- أ - لهجات القبائل العربية التي استوطنت الاندلس منذ الفتح
- ب - الإسبانية القديمة التي كانت شائعة في المجتمع الاندلسي ذاته والتي تسربت عدد من ألفاظها ومقاطعها الى العامية الاندلسية .
- ج - البربرية التي أمدت هي الأخرى العامية الاندلسية بجملة من الكلمات .

ومن مظاهر التطور الذي حصل من الفصحى الى العامية استعرض محمد بنشرية باجمال عددا من التغيرات الأساسية التي تتعلق بالقواعد التالية :

التنوين ، الإمالة ، صيغة المتكلم ، المفرد بالنون ، تحويل في الى فاء ، ادخال الكاف على المضارع ، اطالة الحركة ، طريقة استعمال المثني اشكال من الإدغام والحذف والترخيم والقلب والابدال ، التصغير ، واستعرض بعض الاستعمالات الخاصة باللهجة الاندلسية فيما يتعلق بجميع المذكر السالم وعبارات التهنى وظروف الزمان وأسماء الإشارة واسم الموصول .

ومجمل القول ان محمد بنشريفة فتح في هذا الفصل بابا من البحث الشيق والمفيد في تطور اللغة العربية من الفصحى الى العامية وفسى المقارنة بين مختلف اللهجات الدارجة في العالم العربي المعاصر . ونغتنم الفرصة لنعبر عن تمن تقدمه للسلطات الجامعية ولكل المثقفين وهي ان تحظى اللهجات العامية باهتمام خاص في برامج الدراسة والبحث ولا تبقى من المواضيع التي لا يلتفت اليها الا المستشرقون الاجانب .

ولم يبق لى ، في الاخير ، الا ان اهنيء الزميل والصديق محمد بنشريفة على هذا العمل الكبير الذى يمثل خطوة جريئة في البحث العلمى والكشف عن الحقائق التى كنا نجهلها والتى استطاع بعزمته ومواظبته ومعاناته ان يلقى لنا عليها اضواء قوية وجديدة مازلنا نسترشد بها في معالجة عدد من القضايا والمشاكل العلمية .

## يوميات شاهد حرب افريقيا

الرسالة التي قدمتها الاستاذة عزيزة بناني للحصول على دبلوم الدراسات العليا في كلية الآداب بالرباط ، والمعنونة بـ « دراسة حول يوميات شاهد حرب افريقيا لبدر أنطونيو دي ألكون » اثارَت في المغرب وفي الخارج انتباه مختصى وهوات الادب الاسباني(1). وأكثر من ذلك فإن هذا البحث لا يمكن أن يخفى عن الاعين المتوجهة نحو المغرب نفسه من طرف جمهور أكثر اتساعا ، حريص في آن واحد على الزيادة في تقدير بعض اصول تاريخ المغرب والمعرفة بمنتوجات فنية أجنبية تدين للمغرب بأوفر قسط من سحتواها وشهرتها .

أجل ، أن هذا الجمهور الموسع لا يمكنه إلا أن يشاطر رأي لجنة شغوفة بالدقة والرقّة ، اجمعت كلمتها على الاعتراف بمزايا دراسة الاستاذة عزيزة بناني (2) .

\* \* \*

وترجع كذلك قيمة دراسة كهاته الى انها تكون اول عرض شامل خصصه ناقد مغربي لانتاج له تأثير جدير بالاهتمام في شتى جوانب العلاقات المغربية الاسبانية — ولهذا نعتبر هذه الرسالة كحدث تاريخي — حقا ، لم يكن ألكون مجهولا بالمغرب ، ومؤرخو تطوان

1 — عزيزة بناني : « دراسة حول يوميات شاهد حرب افريقيا » .

انظر خزنة كلية الآداب بالرباط : + 37

— بدر أنطونيو ألكون : « يوميات شاهد حرب افريقيا » .

انظر خزنة الآداب بالرباط : 985

2 — لجنة مكونة من الدكتور ناتييس فيرنانديس ، الاستاذ المشرف على البحث والاستاذان السيد عياش و السيد لوبياس .



المغاربة لا يتخلون الا نادرا عن الاشارة الى « يوميات شاهد حرب افريقيا » ، ولكن الشيء الجديد في هذا البحث هو ان احدا لم يهتم من قبل بهذا التأليف في حد ذاته ، لا لاستيعاب بعض الحجج الضئيلة لاجاد ادله خارجة عن المنتج نفسه ، بل لوضعه في سياق تاريخي وزمان ادبي ، محلا جميع جوانبه لتقدير قيمته بأكمله .

\* \* \*

وان كان مشروع الاستاذة عزيزة بناني جديدا ، فالوسائل المتخذة لتحقيقه وسائل كلاسيكية في أحسن مفهوم هذا التعبير ، لكونها خاضعة لقوانين ضرورية لكل منهج علمي رفيع . والشيء الذي يسترعى الانتباه من اول وهلة في هذا البحث ، هو بدون شك بنيتة القوية ، الدقيقة ناشئة على ما يظهر حتى لا تنسى ولا تهمل ولا تكتم أية فكرة ذات قيمة يحتوى عليها نص « اليوميات » . لكن هذا النص هو خلاصة تراكم تدريجي لهيكل سهلة في ظاهرها فقط ، المكونة من مقالات صحفية يومية تقريبا ، حررت في عین المكان من طرف رائدة من رواد مراسلي الحرب الحاليين ، لتقدم على الفور لجمهور متعطش الى الحوادث الجارية بحرب تطوان . النص هذا كثير الاتساع والحيوية يحاول باستمرار ان يتجاوز الافاق العادية لصحافة متداولة . وللتعريف بكامل هذا الانتاج ، قسمت الاستاذة عزيزة بناني نقدها الى 4 فصول متوالية ، عبارة عن 4 مجموعات مختلفة الحجم .

1 - مقدمة ( ص 1 - 10 )

2 - « الفصل الاول » وهو عبارة عن دراسة تاريخية للكتاب ( ص 11 - 96 )

3 - « الفصل الثاني » خاص لدراسته الادبية ( ص 97 - 177 )

4 - فصل آخر يحتوى على خاتمة شاملة ومراجع البحث ( ص 178 - 192 ) ، يليها ذيل وثائقي .

\* \* \*

يظهر جليا ان الفصلين الرئيسيين يكونان بالذات هيكل ومحتوى دراسة الاستاذة عزيزة بناني . ولكن ، قبل الكشف عن الانطباعات الموحاة لنا في حق هذا البحث علينا ان نذكر ملاحظتين :

(1) ان المقدمة تشكل عرضاً نموذجياً سهرت فيه الأستاذة عزيزة بناني على أن تقدم بصفة متوازنة جداً الفترات التاريخية التي كان يعيشها المغرب واسبانيا كل من جهته ، منذ أوائل القرن 19 ، ثم حال العلاقات المغربية لاسبانية . عندما تشرح صاحبة البحث الغرض من دراستها، التي تتميز بطابع أدبي لا جدال فيه ( أترى يعطينا الاركون عن الاحداث نظرة كاملة أو جزئية ، موضوعية أو شخصية؟ كيف نقل الى ميدان الادب هذه الحرب محولا بعض الوقائع الحربية الى صور فنية ؟ ) تحرص في نفس الوقت على أن تبتعد عن الميدان التاريخي الصرف .

(2) الفصل الاخير أو عبارة اصح ما بعد « l'au-delà de »

الفصل الثاني يحتوي على «الخاتمة النهائية» ( ص 178 ب 179 ) ومراجع البحث . تلاحظ الأستاذة عزيزة بناني بدقة في هذا الفصل أن المؤلف يتردد بين الحقيقة والخيال ، وأن نظريته للحرب نظرية شخصية وأنه يدلي بصورته الحقيقية من خلال هذه النظرة لا يصح الجدال حول أى نتيجة من هذه النتائج ولا سيما أنها مسجلة بوضوح في الخواتم الجزئية، المطولة في غالب الاحيان والتي تختتم كلا من الفصلين الرئيسيين .

لكننا لا نعطي نظرة عن هذين الفصلين الا بعد ان نبرز مدى اتساع البيبليوغرافية المختارة والملائمة والتي هي اسبانية في معظمها ولكن كذلك عربية وفرنسية . وللاستاذة عزيزة بناني الفضل في استعمال أسلوب الطباق ( Le contrepoint ) ، الطباق المغربي المستند على مراجع احسن مؤرخي تطوان وبالاخص محمد داود، وكذلك على مراجع شتى لشهود هذه الحرب من الفرنسيين ، المهتمين بالامر دون ان يكونوا طرفا معنيا مباشرة ، وكان بعضهم يعتبر ذا قيمة رفيعة مثل شارل ايريبارتي ، رسام وكاتب هو كذلك . وللاستاذة عزيزة بناني التي اجادت استغلال موارد خزانات الرباط ومدرود أتمت بحثها بذييل يحتوي على احدى وعشرين وثيقة منها صور للوثائق الدبلوماسية ومقالات صحفية ولوحات وصور . يالها من بادرة حسنة في وقتها هذا الذي اصبح من اللازم الاستناد الى الوثائق البصرية .

يتفرع نص البحث نفسه الى قسمين احدهما تاريخي والاخر أدبي ونظن ان هذه الازدواجية ليست مستنبطة من الرغبة في سهولة العرض فحسب . فبالجانب التاريخي يتدرج على شتى المستويات المتوالية التي تمكنا من تتبع الاحداث كما يقدمها الاركون في « يوميات »... وتبرهن الاستاذة عزيزة بناني على كثير من الصدق بمراعاتها شهادة الكاتب الاسباني ، ولكن باستعمالها دائما اسلوب الطباق ، تتمكن باستمرار من تقدير الاشياء بأكثر موضوعية ، مستندة من جهة على شهادات ليست باسبانية ، حقا ، ومن جهة أخرى على تناقضات أو شبه تناقضات الاركون نفسه . وهذه التناقضات تبرز دائما بدون فكرة الفضح المفرط وكذلك بدون مداراة . فهكذا ، عندما تنكب على دراسة اسباب الحرب كما هي معروضة في «يوميات شاهد» والاسباب الغير المذكورة أو المشار اليها بصفة خاطفة ، تلاحظ ان الاركون يعظم اسباب الحرب ( اسبانيا وجدت دورها في مقدمة اوربا ) أو انه يصغرها (تزعج اسبانيا ان لا غرض لها سوى الاخذ بالثار لاهانة اصابتها)... الشيء الذي يؤدي بصاحبة البحث الى ابداء آراء شخصية ومترنزة حول اسباب الحرب ، آراء متجردة ايضا من محاسبة تجاه الوضعية المغربية .

نجد نفس التوازن عندما نتفحص الكيفية التي تقبل بها الرأي العام نبأ هذه الحرب في اسبانيا والمغرب واوروبا . وبرزت صاحبة البحث من خلال حماس « يوميات شاهد ... » ( المعتبر بحق بمثابة النقطة الأساسية ) تحمس الرأي العام في اسبانيا ، ووضعت هذا الاشتباك المغربي الاسباني في قالب أوروبي - افريقي ، واهتمت بابرار اشكال الرأي العام المغربي .

فيما يرجع لاستعدادات الحرب ، توضح الاستاذة عزيزة بناني بصواب ان رأي الاركون الذي يعتبر ان كل التدابير الضرورية قد اتخذت يجد من الجانب الاسباني ، يختلف كل الاختلاف عن الرأي العام المعاصر له والذي اتسم بالصرامة تجاه منظمي الحرب .

وعندما تنكب الاستاذة عزيزة بناني على دراسته سر الوقائع الحربية تبرز تحفظاتها تجاه الشهادات التي يدلي بها الاركون وكذلك تجاه عدد الضحايا ، وبعد تتبع وقائع الحرب بدقة تنطلق في تحليل

تقديم الأركون للقواد الأسبان ، الذين حظوا بالثناء الوافر من طرف « شاهد حرب افريقيا » اذ استعمل في حقهم عبارات طنانة . وفيهما يخص الشخصيات المغربية ، الموصوفة كثيرا فاننا نلاحظ أن الأركون وجه لهم عناية نسبية وقد أبرز نبل مولاي العباس وكرامته مع أن المؤلف لم ير أي تناقض مع قوله : « ان موقف هؤلاء الوحشوش جليل » ... الصورة المثالية للجندى الأسباني ، تقلبات حكم الأركون أمام المقاتل المغربي ، الذي يصفه بكيفية مختلفة حسب أن نظر اليه مغيرا بخيال شعره أم لا ، كل هذا أدى بالاستاذة عزيزة بناني الى أن تستنتج انه نظرا لظروف الحرب ، ما كان الأركون ليبدى حكما اكثر مدحا .

بعد الاستناد الى تفاصيل « يوميات شاهد ... » لبدء رأي شخصي حول أسباب الهزيمة المغربية ، درست صاحبة الرسالة كيف ولماذا قدم الأركون الى افريقيا ، محطلة درجات معلوماته المتناقضة ومقدرة درجة التزاماته . هذا الباب الموفق يفتح بكيفية طبيعية على الفترة الأخيرة لهذه الحرب أي الصلح . وهذه النقطة ليست من النقاط الأقل أهمية من ناحية الاحداث ( وحللت الاستاذة عزيزة بناني انفعالات الرأي العام والقواد بالمغرب وباسبانيا ) ، ومن ناحية الأركون شخصا الذي دافع بغتة عن فكرة الصلح ، متمما فجأة « يوميات شاهد ... » دون أن يستنتج الخلاصات مما ذكر في كتابه . وهذا الباب الأخير مخصص لدراسة نتائج ميزات هذه الحرب . ولقد اخطأ الأركون في تنبأته لما كتب ان المغرب سيصبح ، في ظرف مائة سنة ، دولة مسيحية ، وان الصلح حسب الجانب المغربي ، لا يمكن أن يعتبر « صلحا صغيرا » ( Paz chica ) مجردا من العواقب الخطيرة .

\* \* \*

والقسم الثاني، الغزير المادة ، يشكل الجانب الادبي للدراسة فبعدها تفرغت من تسلسل الاحداث التاريخية وتحقيقها ، شرعت الاستاذة عزيزة بناني في التحليل الادبي الذي تجيده بدون عناء ونظمت خططها التحليلية الشاملة في ثلاثة أبواب . لقد درست أول الامر الانتاجات الادبية الناشئة عن « حرب تطوان » بقطع النظر عن الأركون ويستخلص ان منتج هذا الأخير يبرهن بسهولة على كونه ظاهر الامتياز على غيره . والأركون نفسه أعطى انتاجات أخرى ثانوية وظرفية

ما زالت مهمة شياً ما. وهذا غير صحيح حقا بالنسبة « لصدى تطوان »  
(El Eco de Tetuan) الشهر : أول صحيفة يومية أصدرها بالمغرب  
آلاركون نفسه . وكانت هذه الصحيفة الطموحة عابرة أعادها تعليق  
الاستاذة عزيزة بناني الى قيمتها المتواضعة .

وأخيرا ، عند الوقوف امام « يوميات شاهد ... » ، يبدو من خلال  
الدراسة أن هذا الانتاج حظى بنجاح كبير حين صدر . وأنه جلب  
لصاحبه مالا كثيرا ، ولذا لا يحق أن يكون دون شهرة عن باقي  
منتوجات آلاركون . وبرز آلاركون كرائد للصحافة العصرية ، اذ  
استعمل وسائل المخبر الصحفي بالسمي الى الاتصال بالسكان المحليين  
وطلب شهادتهم . ولكن عملا كهذا يصعب عندما يكون المخبر الصحفي  
في نفس الوقت كاتباً شهيراً . ينشئ خياله عالماً مسبقاً غير العالم الحقيقي  
الذي يحاول معرفته أوفنانا يرى الحزب ووحشيتها مزينة بسحر من  
المبارزة أو غيرها من مباريات الفروسية .

ودراسة الخصائص الادبية « لليوميات ... » في حد ذاتها ،  
شمل أكثر من 60 صفحة كثيفة . التراكيب ، المكان والزمان . والاسلوب  
المعاد ، وتقدير التأثيرات الادبية ، وثقافة آلاركون الادبية . وفنه لوصف  
الاشياء والبشر ، والمفردات المستعملة ، والاستعارات . واستعمال  
الاسلوب المباشر ... كل هذه الجوانب حللت بدقة . وقد اشارت  
الاستاذة عزيزة بناني الى وجود كثير من الطباعات لهذا الكتاب وأثبتت  
بوضوح خفة وتنوع اساليب آلاركون . وأبصرت برقة تأثير العوامل  
العاطفية وخصصت بابين متبيين ومزودين بمستندات جديدة  
لدراسة اتأثيرات الاجنبية منها ( تأثيرات الحركة الرومنسية الانجليزية  
أو الفرنسية خاصة ) والوطنية ( تأثير الكتاب الاسبان والتأثيرات الادبية  
لاوائل القرن 19 ) . . وأخيرا ، في ملخص مطول ( ص 172 - 177 )  
يستحق ان يسمى أكثر من ملخص في نظرنا ، أعادت الاستاذة  
عزيزة بناني ذكر النقاط المدرجة سابقا ، ثم اقبلت على فكرة عميقة  
كتاب آلاركون ، الذي أصبح بمثابة ذكرى شعرية لمغرب أواسط  
القرن 19 .

وفي الختام يجدر القول انه ليس من هدفنا أن نحكى دراسة الاستاذة عزيزة بناني . انها دراسة ممتازة ، ولا يمكن أن نؤاخذها الا بنقص واحد ، لا مفر منه منذ البداية ، الا وهو النقص الذي يرجع لاحسن مزاياها : ان هاوى الادب يتمنى ان لو صرفت بعض العناية التي بذلت قصد تحقيق الحدث التاريخي الى اتساع الجانب الادبي بصفة أوفر ، وبالعكس يتمنى المؤرخ الصرف ان لو حرم الاديبي من قسط من لذته لكي ينحصر في المنقذ الشاهد للكتاب . ولكن ، كلاهما سوف تنقصه تلك الصفة المعبرة عن التوازن والاعتدال وتلك الرغبة للادراك الشامل التي تتجلى بصفة بارزة وخفية من خلال بحث الاستاذة عزيزة بناني حتى لا يسيطر عليها لا خيال الادب ولاصرامة التاريخ وحتى نحترم هكذا الذاتية الحقيقية « ليوميات شاهد ... » وطبيعة المحتوى العميق لهذا الكتاب الذي لا يمكن أن يكون الا تاريخا وادبا في آن واحد .

محمد حجي

## الحركة الفكرية في المغرب في عهد السعديين

تبتدىء هذه الدراسة بمقدمه تحتوى على تبرير اختيار الموضوع وبيان الدراسات السابقة المتعلقة به من كتب ومقالات ومحاضرات . ثم المراجع الاساسية المكتوبة أيام السعديين . وهى مصنفة بسبعة اصناف : كتب تاريخ ، وكتب تراجم ، وفهارس ، ورحلات ، ودواوين شعرية . ومجموعات أدبية . وكتب نقد .

يأتى بعد ذلك مدخل تاريخى يرسم الخطوط العريضة للعصر السعدى . فيتحدث أولا عن حال الغرب الاسلامى عند قيام السعديين . من نهاية دولة الاسلام بالاندلس . وضعف دولة بنى زيان بتملمسان وبنى حفص فى تونس ، والمرينيين والوطاسيين بالمغرب . ثم يذكر ظروف اتصال السعديين بالحكم فى جنوب المغرب انطلاقا من مشاركتهم فى مقاومة الاحتلال الاجنبى مع شيوخ التصوف فى سوس . وقيام هؤلاء بالدعاية لالتفاف القبائل حول الفقيه محمد بن عبد الرحمان الزيدانى التكمدارتى الى ان بايعوه ولقبوه بالقائم بأمر الله . ويتحدث المدخل بعد ذلك عن زعامة هذا الامير السعدى لحركة المقاومة ضد البرتغاليين فى شواطئ سوس وبلاد حاحا وعبدة . وتمكن سلطة السعديين بعد موته على يد ابنه احمد الاعرج ومحمد المهدي الشيخ . قبل أن يستعرض بإيجاز

التطورات التي عرفها المغرب مع السعديين في الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

يحتوى القسم الاول المتعلق بمختلف مظاهر النشاط الفكرى فى عهد السعديين على اربعة ابواب :

يختص الباب الاول بذكر الفكر المغربى ومميزاته ، وما يتسم به من طابع دينى وأدبى ، وباستعراض العناصر الثقافية المختلفة المتواجدة فى المغرب آنذاك من مغاربة واندلسيين وجزائريين وتونسيين وشرقيين وسودانيين وأوربيين ، مع الاشارة الى اوجه النشاط الفكرى لكل فئة من هذه الفئات .

ويقدم الباب الثانى فكرة عن التعليم على عهد السعديين وخصائصه العامة من مبالغة فى الاختصار والحفظ عن ظهر قلب ، وعن المواد المختلفة المدروسة وتقسيمها حسب اصطلاح ذلك العصر الى :

أ - علوم دينية ، وعددها اثنا عشر . علوم القرآن ، والحديث واصول الدين ، واصول الفقه ، وفروعه ، والفرائض والتوقيف ، والتصوف ، واللغة وقواعدها ، والبلاغة ، والتاريخ ،

ب - وعلوم أدبية من شعر ، ونثر ، وانشاء .

ج - وعلوم بحتة وتجريبية وعقلية . ثم تبين الطرق التعليمية القديمة المتمثلة فى مدرستى العراق والقيروان ، والمدرسة المغربية - الاندلسية ، قبل الحديث بشئ من التفصيل عن الطرق المتبعة فى التعليم بالمغرب على عهد السعديين ، كطريقة الاختصار على حل الالفاظ فى مدرستى الشمال والجنوب ، وطريقة البحث والمناقشة ، وطريقة المحاضرات ، وطريقة المناظرات والمجالس المشتركة ، مع التمثيل لها بدروس اعلام وشيوخ هذا العصر .

ينتقل الكلام بعد ذلك الى الاجازة وعلاقتها بالرواية والفهارس ، وانواع الاجازات ، من اجازات خاصة كالاجازات القرآنية والحديثية ، واجازات عامة لجميع المواد التى درسها الطالب ، واجازات جماعية يجيز بها المدرسون جميع الطلبة الحاضرين ، واجازات بالمراسلة او بالشعر ، والتدبير الذى يتبادل به العلماء الاجازات بينهم ، وقد عقد فصل للتقاليد الجماعية فى عصر السعديين ، كاوقات الدراسة والمعدة



والدراسات اثناء السفر ، وحفلات ختام الدروس ، وفصل آخر لبيان ظروف عيشة الاساتذة ، وما كانوا يطوقون به من مهام القضاء والافتاء والشهادة والامامة والخطابة والنساجة وكراسى التدريس الى غير ذلك من وسائل العيش . وفصل اخر لذكر ظروف عيشة الطلبة في الحواضر والبوادى ومساكنهم في المدارس ، واطعامهم من مداخيل الاوقاف او تبرعات رجال القبائل .

ويتحدث الباب الثالث عن تأليف الكتب ايام السعديين وطابعها العام . ويفصل القول في الكتب الدراسية القديمة والحديثة من شروح وحواش واختصارات ونظم ، قبل ان يأتى بأنواع المؤلفات : كتب علوم القرآن والحديث ، والتوحيد والفقه والتصوف ، واللغة والادب ، والتاريخ والتراجم والفهارس والرحلات ، والكتب العلمية والتقنية والمترجمة والمجموعات المختلفة . ثم يشير الى ردود فعل قراء تلك المؤلفات وما كتبوا عنها من نقد او تقرير مع التمثيل لذلك بنماذج مغربية ومشرقية . ويختتم هذا الباب بذكر المكتبات العامة والخاصة في المدين والقرى ، وبخاصة المكتبة الملكية بمراكش التى انتقل قسم منها الى الاسكوريال باسبانيا .

ويحتوى الباب الرابع على مجموعة من القضايا الفكرية المهمة التى شغلت بال المثقفين في العصر السعدي والفوا فى شأنها الكتب والرسائل او نظموا القصائد والمقطعات الشعرية . وفى مقدمتها الجهاد الذى يعتبر ظاهرة بارزة لهذا العصر نظرا للاحتلال الاجنبى والتهديد الخارجى الذى لم ينقطع . تليه نماذج من بين موضوعات الامر بالمعروف والنهى عن المنكر كالفية الهبطى التى تنتقد المجتمع الريفى وتندد بعبادته المخالفة للدين والعقل والمروءة ، ورسالة التيزركينى التى تدعو الى الكف عن الشغب السياسى فى الجنوب والالتفاف حول السعديين ، ورسالة الاغصاوى الناثرة على تصرفات محمد المامون الشيخ وعلاقاته المنكرة مع الاسبانيين ، ونصيحة الدلائى للامير ابي حسون السلالى ليلتزم العدل مع رعاياه فى الجنوب ويخفف عنهم عبء الاتاوات ، وما كتب عن بعض المذاهب الزائفة المنتشرة آنذاك بالمغرب ، مثل المهدوية التى ادعاها بعضهم لاغراض شخصية ، والمكازية الاباحية ، والاتلسية العنصرية .

مهد عقد فصل للتبغ والضجة الكبرى التى اثارها دخوله الى المغرب

لأول مرة في مطلع القرن الحادي عشر / 17 م ، وما كتبه في تحبيذ استعماله أو استهجان الفقهاء والكتاب والشعراء ، وفصل آخر لليهود والاسلاميين الذين كان عددهم في المغرب السعدي غير قليل ، واثارت تصرفاتهم ونشاطهم التجاري انتقاد طائفة من الفقهاء والتجار المسلمين ، مع الإشارة الى موقف السلطة منهم عملا بما كتبه الفقهاء والادباء في الموضوع . وختم الباب بالحديث عن مناظرات جرت بين مجموعات من المثقفين المغاربة حول موضوعات كلامية وفقهية وغيرها ، وتدخلت السلطة فيها أحيانا لما اشتد النزاع بين المتناظرين وأخذ يثر حساسية الجمهور .

أما القسم الثاني من هذه الدراسة فيختص بالمراكز الثقافية على عهد السعديين وتتبعها بحسب موقعها الجغرافي من أقصى الشمال الى أقصى الجنوب ، مع الاكتفاء بالإشارات العابرة الى مراكز جنوب الصحراء والسودان تفاديا للحساسيات والتأويلات المغرضة .

وقد أعطى هذا القسم نظرة اجمالية عن النشاط الثقافي في كل مركز عن طريق التعريف بالشخصيات العلمية التي عاشت فيه خلال هذا العصر ، وخصص لكل مترجم ببليوغرافية في الهامش وأشار الى أن أهم مؤلفاته والمكتبات العامة أو الخاصة التي توجد بها .

وتنتهي الدراسة بخاتمة تثبت الاستنتاجات المتوصل اليها ، وبببليوغرافية مفصلة ، وكشاف واحد لاعلام الاشخاص والاماكن ، وخريطة رسمت عليها المراكز الثقافية بالمغرب السعدي من شاطئ البحر المتوسط الى ما وراء نهر النيجر .

## ظاهرة البغاء في المغرب في الوقت الحاضر

### عرض موجز :

ان البحث العلمي لا يعلم الباحث كيفية الوصول الى النتائج فقط ولكنه يعلمه كيفية ادراك الخطأ من الصواب ، وان عملية بحث ايه ظاهرة من الظواهر الاجتماعية ، ليست بالامر السهل كما يزعم البعض من الناس ، لانها تحتاج بالاضافة الى الخبرة العلمية ، امانة اجتماعية وعلمية تنطلق من الضمير الانساني ، ومفردات تنطلق من المجتمع المعاش .

هذا لا يمنع من القول بأن لكل ظاهرة جذورا ، واسبابا ، ووظيفة وطبيعة ، ووسائل للعلاج ....

فظاهرة البغاء ليست وليدة اليوم حقا ، ولكنها مشكلة الساعة في الوقت الحاضر .

فقد وجدت في القديم — كما بينت في القسم التاريخي من الرسالة — انواع من البغاء ، منها : البغاء المقدس كما كان يحدث في معابد الالهة ميليتا في بابل . والبغاء الضيائي كما كان يحدث في القرون الوسطى الاوروبية . وعرف في العصر الجاهلي باسم البغاء المقدس ، والضيائي ، والبديلي ، والشمولي ، والمثلي .

اما في المغرب فقد عرف البغاء منذ معاهدة الجزيرة الخضراء في ابريل 1906 حيث طبقت على البغاء في المجتمع المغربي نفس القوانين

السائدة في فرنسا آنذاك ، الى ان جاء عهد الحماية الفرنسية فظهر فيه نوعان اساسيان من البغاء ، هما : البغاء الرسمي المنظم ، والبغاء الحر المحتكر من طرف المستثمرين للبغاء من الفرنسيين والاجانب والعلماء وكانت الدولة تقوم بحمايتهما في مقابل ضرائب معلومة .

وكان لابد للمغرب من ان يتخذ موقفا من تلك الظاهرة في عهد الاستقلال . فكان ان صدر ظهير يمنع البغاء ويحرمه .

والسؤال المطروح هو هل قضى بذلك على البغاء ؟ واذا كان الجواب بالسلب فلماذا ؟ !

ذلك هو السؤال الذى شغلنى وما زال يشغلنى ، ولم أجد الا ان انبرى له بنفسى فبدأت بتحديد المشكلة . واخذت من انواع البغاء المختلفة شكلا محددا هو الذى عرفه القاتون المغربى بقوله : وهو « ان تتاجر المرأة بجسمها فتسمح بالاتصال بها لكل من يدفع لها مقابلا من المال ، وتتخذ ذلك حرفة في حياتها » .

وقد خرجت من بحثى هذا بنتيجة اكيدة . هى ان القضاء على ظاهرة مثل ظاهرة البغاء لا يكفى فيه سيف الدولة يسلط على البغايا ، ولا شرطيتها يلاحقهن ويودعنهن في السجون .

ان الظاهرة مشكلة اجتماعية ونفسية ولابد من ان تتظاهر جهود الباحثين الاجتماعيين مع جهود المنظمات الاصلاحية الاجتماعية لحلها ، ذلك الحل الذى يعتمد على دراسة علمية دقيقة تحدد جوانب المشكلة واسبابها الظاهرية اولا . ثم تبحث عن عواملها العميقة من اجتماعية ونفسية .

وقد عمدت الى بيان بعض الترابطات بين النسب الاحصائية فوجدت من حيث الاعداد مثلا . ان 76 ٪ من الحالات تتراوح اعمارهن بين 15 سنة الى 30 سنة من العمر ، وتساءلت هل يرجع ذلك الى عوامل ذاتية ونفسية عندهن ؟ كالحاجة الجنسية مثلا ؟ ام يرجع الى عوامل اجتماعية كالاعراض بالمال ؟ فكان لابد من الربط بين نسبة الاعمار ، وبين داخل المهنة اليومى ، فوجدت ان 94 ٪ من تلك الاعداد تعطى للبغى وحلا يوميا يزيد على 50 درهم حتى يبلغ 200 درهم في اليوم .

ولكى أشرح معنى هذا الاغراء رجعت الى الحالة المادية للبغى قبل المهنة بالإضافة الى اوضاعها الاجتماعية في اسرتها فتبين أن 70.6٪ من مطلقات ليس لهن عائل ينفق عليهن ، بل ان الكثيرات منهن يتحملن مسؤولية الاتفاق على غيرهن .

والاوضح من ذلك علاقة هذه الحالات بتفكك الاسرة . فقد تبين لى أن 96.7٪ من الحالات المدروسة هي حالات طلاق ، او حالات فرار الاب من البيت . او هجرته لبيته او موته ، او حالات عدم وجود احد من الابوين ، وانما تربي الفتاة خادمة في عائلة بعيدة عن اسرتها . ويمكن ان نضيف موضوع الهجرة الذى يصور نوعا من انقطاع الروابط الاسرية . ان لم يكن بين الزوجين فبين الاسرة الصغيرة من جهة وبين الاقارب ، وقد تبين لى ان الهجرة ساهمت في قطع الروابط بين المهاجرات وبينهن بنسبة تمثل 73.3٪ . واستنادا الى هذه الحقائق العلمية يمكن القول بأن : « ظاهرة البغاء تخضع لقانون الارتباط او عدم الارتباط بالمجتمع » .

بمعنى ان الظاهرة تتوطد دعائمها وتزيد كلما نقص الترابط بالمجتمع وثوقا وقوة ، فمع انه يبدو ان البغى تكثر الاتصال بالناس ، الا انها لاتكون مع من تتصل بهم مجتمعا مترابطا ، لانه لم تنعم في حياتها بالتعرف الى مجتمع مترابط تعيش قسى كنفه هذه بعض الامثلة من العمليات الاحصائية التى قمت بها للكشف عن الاسباب الحقيقية والمساعدة للظاهرة .

وكان من حقى بعد ذلك ان اقدم مقترحات في علاجها اذكر منها مايلى :

1 — القضاء على مستغلى البغاء ، فيجب العمل على قطع دابر

هؤلاء .

2 — تغيير وسائل العقاب ، ان اهم وسيلة نعالج بها البغى في بلادنا في الوقت الحاضر هي السجن ، والسجن بوضعه الراهسن ليس وسيلة اصلاح لانه لا يهدف للعلاج الفردى داخل السجن وخارجه

3 — ان مجرد الاهتمام بنزيلات السجون أثناء سجنهن ، ومجرد رعايتهن وتوفير اساليب تأهيلهن مهنيا وتعليميا ، ان كل ذلك لايكفى

إذا لم تتابع السجينة بعد خروجها من السجن . فهي في حاجة الى من يساعدها ويوجهها ويعف الى جانبها ليدمجها في المجتمع .

4 - مراقبة علب الليل وما يجرى فيها حتى لا تكون مواخير للبغاء ومأوى للقاصرات المحرومات من عطف الابوين . الهاربات من بيوتهن الفاقدات للرعاية التربوية ، والعناية الاسرية .

5 - تكوين مكاتب الخدمة الاجتماعية الملحقه بحاكم الاحوال الشخصية ، وان تتكون هذه المكاتب من فنيين من الاخصائيين الاجتماعيين والنفسيين ، والاطباء للبحث عن اسباب المشاكل التى تعرض لها الاسره وتضطر احيانا للطلاق . هذا الاخير الذى بهوجه يتغير اسلوب المطلقة فى الحياة ، ويؤدى الى هذا المآل . وقد تبين لى من الاحصاء التحليلى ان نسبة المطلقات 96ر7 ٪ .

6 - تنمية الشعور الدينى فى نفسها كفيل بأن ينشئ لديها حصانة ضد الانحدار الى البغاء واعطائها فرصة المسؤولية على هذه الحصانة واشعارها بانها انسان لها حقوق وعليها واجبات .  
وختاماً أقول : ان اهم وسائل العلاج ينبغى أن تتجه الى السبب الحقيقى وهو اصلاح البيئة : فبصلاح البيئة وتقويمها . يتحقق الغرض الذى ارمى اليه وهو العمل على التقليل من أضرار هذه الظاهرة وتضييق نطاقها .

## مظاهر يقظة المغرب الحديث

— صدر عن مطبعة « الامنية » بالرباط ، سنة 1973 ، الجزء الاول من كتاب « مظاهر يقظة المغرب الحديث » للاستاذ محمد المنوني . والاستاذ المنوني من علماء المغرب المتصلعين في العلوم الاصلية ، وهو مؤرخ وخبير بالوثائق والمخطوطات المغربية ، يشتغل بحثا ومهرسا في المكتبتين العامة والملكية بالرباط ، حيث يقصده الكهول والشبان من الباحثين ليستنبروا بتوجيهاته في مجال مازال في معظمه غابة عفراء او بيضاء مقفرة .

نجد في هذا الكتاب ، بعد الكلمة الانتاحية ، مدخلا عن « حالة المغرب في النصف الاول من القرن التاسع عشر » ، ثم دراسة عن الطور الاول وهو « طلائع الاتبعات المغربي من سنة 1830 الى سنة 1860 » ثم بعدها دراسة عن الطور الثاني وهو « وضع المغرب من سنة 1860 الى سنة 1900 » ويتطرق المؤلف الى وقائع هذا الطور في ستة وعشرين فصلا . وفي آخر الكتاب « كلمة ختامية » ، وثلاثة ملاحق ، ودليل على المنشور من الابحاث التي انجزها المؤلف ، وعددها ستون بحثا ، تاريخ نسرها ما بين 1936 و 1973 م .

يرى المؤلف ان « المغرب الحديث » بدأ في القرن التاسع عشر . وقد شهد هذا القرن يقظة تجلت في عدد من المظاهر :

- 1 — مظاهر ادارية وعسكرية .
- 2 — مظاهر اقتصادية .
- 3 — مظاهر علمية وتعليمية .

#### 4 - مظاهر فكرية - سياسية .

وهذه المظاهر ، في الواقع ، هي جهود الدولة المغربية من أجل ادخال الإصلاحات في عدة ميادين ، ثم الجهود العلمية للعلماء ومواقفهم من المشاكل الوقتية وآراؤهم فيها .

استقى الكاتب معلوماته من وثائق مايزال معظمها مخطوطا وبعيدا عن متناول جل الباحثين . وهذه الحالة مخالفة للحالة التي عليها الوثائق الأجنبية التي اعتمدت لتصوير كثير من جوانب تاريخ القرن التاسع عشر المغربي .

ان إحدى مزايا الكتاب هي جمعه لعدد من الوثائق في موضوع الانبعاث المغربي ، وهي وثائق كثيرة برسم صورة للإصلاح من الداخل في وقت كان يهجم فيه الفساد من الخارج ، على حد تعبير أحد مصادر الكتاب (1) ذلك لأن انفتاح المغرب لتجارة أوربا الرأسمالية ، منذ الربع الثاني من القرن الماضي ، واستقرار عدد متزايد من الأوربيين في مختلف المدن ، وبصفة خاصة في المراسي ، وماوازي هذا الاستقرار من ضغوط عسكرية ودبلوماسية من طرف الدول الطامعة في المغرب ، قصد تعزيز نفوذ رعاياها وتوسيع مصالحهم على حساب سيادة المغرب وعيش ابنائه ، مما أدى إلى أزمة متعددة الجوانب صارت فيها يد المغرب مفلولة وعاجزة عن الإصلاح .

وقد دشّن هذا الضغط الأوربي على المغرب بثلاث كوارث :

1 - تحطيم الأسطول المغربي .

2 - احتلال الجزائر ، وماتلا ذلك من انهزام الجيش المغربي في إيسلى .

3 - تحطيم الصناعات المغربية كالنسيج بدخول المنتجات الأوربية إلى المغرب .

يرى المؤلف أن البيقظة ، التي « كانت النواة الأولى و الحجر الأساسية للوطنية المغربية الحديثة » ، قد بدأت اثر احتلال الجزائر . وقد امتد الطور الأول من هذه البيقظة من سنة 1830 إلى حرب تطوان سنة



1860م ، وهو طور كان فيه الانبعاث ضعيفا ، ولم تتجز فيه أعمال تذكر ، وانما ظهر فيه مؤلفون حملتهم الحمية الدينية على بث أفكار يقظة في مؤلفاتهم ، أمثال الكردودي مؤلف « كشف الغمة ببيان ان حرب النظام حق على الامة » ، وابن عزوز صاحب « رسالة العبد الضعيف الى السلطان الشريف » ، والتسولى وابن ادريس وغريسط والشنجيطى وغيرهم .

اما الطور الثاني فقد امتد من سنة 1860 م الى سنة 1900 م وكان عهد اصلاح وتجديد من طرف الحكومة المغربية ، وازداد فيه مركز المغرب تحرجا وضعفا بعد حادثة تطوان . وبدأ واضحا تدهور الاقتصاد المغربى الذى بقى على وضعيته القديمة . وفيه تجلت أهم مظاهر اليقظة تمثل الانبعاث الادارى والعسكرى فى تنظيم الجهاز الحكومى ، وذلك بتعدد الوزارات ، وتنظيم مصلحة الكتاب ، واحداث مصالح لتسجيل المكاتب الحكومية . وقوائم الحسابات التى ما يزال عدد منها محفوظا بالمكتبة الملكية وغيرها . كما تمثل فى احداث اصلاحات فى الخارجية ، من حيث تعدد نوابها او ادخال اصلاحات على سياستها التى صارت تقوم على التوازن واستغلال التنافس الدولى حول المغرب ، ومماثلة « نواب الاجناس » ( سفراء الدول ) . وكان من أهم جوانب هذه السياسة جانب الدفاع عن الحدود . وقد اورد المؤلف بخصوص هذا الجانب رسالة حسنية تتعلق « بالتوقير والاحترام » وفيها امر الى من يقف عليها من العمال « الى نهر السينغال » ، كما اورد بيعة أهل تيندوف التى بعث بها الشيخ الجكنى الى السلطان محمد بن عبد الرحمان ، ورسالة الى نواب الاجناس بشأن اطماع فرنسا فى نوات التى اقرت بمغربيته الخريطة المتفق معهم عليها سنة 1884 . وقد تشبت المغرب بهذه الخريطة ، واكد ذلك ارسال بعثة برئاسة اخ السلطان سنة 1301 هـ لتقف على مدى تطبيق المعاهدة . وقد ورد خبر هذه البعثة فى مذكرات احد اعضائها ، وهو على السوسى ، واسمها « منتهى النقول ومنتهى العقول » .

وكان على المغرب أن يقاوم التدخل الاجنبى فى واجهات اخرى مثل مشكل « الحميات » وهى تمييز بعض المواطنين المحققين بالاجانب ومثل تدخل الجمعيات اليهودية باوريا بدعوى حماية اليهود المغاربة .

كان الجيش اول ما أصلح في جهاز الدولة . وكانت بعض الجهات تعارض التنظيم الجديد ، فاستشار السلطان محمد بن عبد الرحمان عشرة من العلماء في امره ليقطع كل جدال . ولكي يحصل على المال اللازم للإصلاح ، اضطر الى توظيف المكوس على الابواب . ولكن هذا الاجراء لقي معارضة من جانب التجار والصناع وبعض الفقهاء وسأل السلطان مولاي الحسن العلماء في حكم توظيفه فوضعوا رسائل في الموضوع منها رسالة على السوسي : « غاية الاستفسارة في حكم التوظيف والمعونة » . واستمرارا في خطة تجديد الجيش تمكن هذا السلطان من شراء عدد من قطع الاسطول ، من بناء معامل للسلاح والذخيرة ، ومن اصلاح بعض الشواطئ ، وتشديد عدد من التحصينات بالرغم من قلة الوسائل ومن المراقيل التي كان يحدثها الاجانب .

اما الاسعاف الاقتصادية فظهر في الجهود التي بذلت ، في هذا الطور ، قصد انشاء معامل للسكر والقطن وانشاء طاحونة بخارية بمراكش . كما تمثل في تقدم نسبي في التجارة دل عليه انتشار ممثلين لمعاملات التجار المغاربة الكبار في عدد من العواصم الاقتصادية الاوربية كمنشستر وجنوة وليفربول ومرسيليا ولندرة وهمبورغ ، حتى لاحت على كثير من الأسر في فاس والرباط حضارة مطبوعة بالطابع الاوربي .

غير ان التجارة المحلية كانت تعترض طريق نموها مشكلات عويصة كمشكلة العملة المغربية التي كانت تروج ، الي جانبها ، عملات اجنبية مختلفة . فمئذ سنة 1845 وقع ارتفاع في العملة وهبوط في قيمة السكة الوطنية . وحاول المغاربة حصر التقلبات بين العمليتين بتحديد سعر رسمي للعملة عدة مرات ، ثم بمحاولة تأسيس درهم شرعي يكون المرجع في الصرف ، ولكن تلك المحاولات باءت بالفشل . وعهد السلطان مولاي الحسن الى ضرب عملة في أوربا تكون مساوية في الوزن والصفاء للعملة الاوربية ولكن تأمر الجهات الاجنبية المعهود اليها بذلك وعدم وفائها بالشروط المطلوبة ادى الى كارثة تحطيم النظام النقدي المغربي .

وقد اقتضى التوسع الحاصل في التجارة اجراء تشريعات لم تكن معروفة من قبل ، مثل الظهير الذي حدد بمقتضاه محمد بن عبد الرحمان

موظفى « الديوانات » واختصاصاتهم واجورهم . كما اقتضى تزايد المعاملات الداخلية قيام مولاى الحسن بتنظيم البريد . وحاول تنظيم الجباية على طراز عبرى ، لكن المعارضة من الداخل والخارج جعلته يوقف العمل بذلك .

ان الجانب الذى استوقف المؤلف اكثر من غيره فى انبعث القرن التاسع عشر هو الجانب التعليمى والعلمى . فقد قامت حركة هدفها انعاش دراسة العلوم الرياضية والعسكرية وتقريبها من الدراسة الحديثة ، حيث أمر عدد من الاساتذة الفلكيين والحيصويين بتعليم فنون الهندسة والحساب لثلة من الشباب داخل الجيش وخارجه ، وذلك بمدارس فاس وطنجة . وارسل عدد من خريجي هذه المدارس لتتبع دروسهم فى عواصم اوربا .

وقد وقع الاهتمام بصفة خاصة بالعلوم العسكرية ، لاسيما تعليم المدفعية والتدريب على استعمال الآلات الجديدة . ووضعت رسائل فى تنظيم الجيش وفنون المدفعية ، وارسلت بعثات من الطلبة الى الخارج لدراسة الفنون العسكرية والمدنية والالسن . وعاد بعض الخريجين وتم تشغيلهم فى عدد من المرافق الحكومية . وقد لخص المؤلف مذكرات أحد هؤلاء الطلبة وهو الحسين الزعرى السلاوى الذى درس بايطاليا ، والذى اشتغل بعد رجوعه مع مهندس شركة كروب المشرف على بناء عدد من التحصينات بالمغرب .

ومن المظاهر الطريفة فى اليقظة التعليمية حركة الترجمة . اذ كشف المؤلف عن كون عدد من الكتب الاوربية وقعت ترجمتها فى المغرب ، من ذلك كتب فلكية ككتاب جيروم لالاند ( 1732 - 1807م ) ، وكتب عن طريقة هادلى فى استعمال السدسية ، وكذا نصوص فى الجبر والهندسة والكيمياء والطبيعات والفنون العسكرية وفنون الادارة .

ولم يكتف المغاربة بالترجمة بل وضعوا مؤلفات جديدة فى الفلك والهندسة والحساب والطب والجغرافية . ولم يفت بعض المفكرين من أمثال أحمد الصويرى والاغزاوى ، أن يعبرا عن وعيهم بالتقدم العلمى الاوربى : فاذا كان صحيحا أن الروم ( الاوربيين ) مسبوقون من طرف علماء الإسلام الى ما ادعوا اختراعه ، فإن لهم مزية الاعتناء بتلك الاصول

واحقاق النظر فيها واستقراؤها وتنوع جزئياتها واستخراج ما هو منها  
في القوة الى الفعل . وان ما وصل اليه هؤلاء الاوربيون من المخترعات  
والصناعات انها هو بالتوغل في علم الهندسة وضبط اصوله وفروعه .

تميز هذا الانبعاث العلمى بإنشاء اول مطبعة علمية بالمغرب ،  
وهي المطبعة لحجرية التي دخلت اليه سنة 1864 م على يد قاضي  
تارودانت محمد الطيب التهلي . وتعددت بعد ذلك المطابع في فاس على  
يد أبناء الازرق ، وأصدرت عددا من المؤلفات في العلوم الاصلية والعلوم  
الحديثة .

بعد ان استعرض المؤلف كل المظاهر التي تضافرت عليها جهود  
الدولة وجهود الافراد . تناول جانبين آخرين من جوانب الانبعاث ،  
نسمى الجانب الاول : « المبادرة التي كانت من جهة الشعب خاصة »  
وقصد بذلك ذكر مواقف المفكرين من عدد من القضايا الوقفية يمكن  
ترتيبها في أربع نقط :

— تشديد النكير على اصحاب الحميات الاجنبية من المغاربة  
حيث وضعت فيهم رسائل مثل « الرسالة في اهل بصبور الحثالة »  
للمشرفي ، و « ايقاظ السكارى المحتمين بالنصارى » لعلال بن عبد  
الله الفهري ، و « الدواهي المدمية للفرق المحمية » للكاتب الخ .

— تحمس عدد من العلماء لمشروع تنظيم الجيش على الطريقة  
الحديثة كما قدمه السلطان محمد بن عبد الرحمان .

— الدعوة الى الجهاد .

— الادلاء بأفكار اصلاحية لانقاد المغرب من ازماته ، كما فعل  
سعيد الفكالي الذي وضع للسلطان مولاي الحسن تاليفاً في السياسة  
الرشيده سماه « وردة الناشق وروضة العاشق » او « التحفة الفكالية  
الى الحضرة العالية » .

وامتدادا لهذا « الوعي الثقافي » ترددت في الادب ، شعرا ونثرا ،  
كما ترددت في خطب أئمة المساجد ، اصداء عدد من الوقائع السياسية  
والاحداث مثل عواقب حرب تطوان .

أما الجانب الثانى فقد سماه المؤلف « طلائع المعارضة الشعبية » ويتعلق الأمر بموقف المغرب على مختلف مستوياته الشعبية من ضريبة المكس . فقد ضاق بها الصناع والتجار ، واستنكرها العلماء ، وكانت سببا فى ثورة الدباغين على الامين بنيس فى فاس سنة 1873م . وتطورت تلك الثورة الى صدام مسلح سنة 1874 م . وقد علق المؤلف على هذه القضية بقوله : « انها يهمنى من هذا العرض المقتضب أن تسجل الموقعتان أول ثورة عمالية يشهدها المغرب الحديث » وقد استجاب السلطان لمطالب الدباغين فالغى المكوس الموظفة على سائر الابواب وذلك سنة 1885 م

لا حظ المؤلف فى « الكلمة الختامية » أن ما قدمه لا يعدو بعض الجوانب استفادا الى « ما طالت اليه اليد » من معطيات الأبحاث المغربى ، والا فان عددا من الوثائق التى تحتفظ بها جهات خاصة لم يأت بعد الاطلاع عليها . كما أن انواعا اخرى من الوثائق ما تزال بحاجة الى دراسة كاشفة . وأخيرا تساءل عن أسباب فشل المحاولات الاصلاحية واتخذ حركة البعثات الطلابية نموذجا لهذا الفشل . وعلل ذلك بأمور تتصل بانعدام التصميم للمشاركة ، ويتحفظ بعض الاوساط المخزنية وضيق امقتها ، وبعدم الاعداد الشعبى لتقبلها ، وبالتدخل الاجنبى وآثاره التى شملت المحاولات « التقدمة » أيا كان نوعها .



يعرفنا كتاب « مظاهر يقظة المغرب الحديث » بعدد من الوثائق والنصوص التاريخية المغربية ، حللها المؤلف أو اكتفى بتقديمها أو التعريف بمكانها . فالكتاب ذو قيمة بيبليوغرافية بها هو كشف عن الوثائق . ان كثيرا من الحقائق التاريخية المهمة عن القرن التاسع عشر جاءت فى مذكرات أو مصنفات لا توجد منها الا نسخ فريدة أو محدودة العدد يحتفظ بها الخواص . ومن هذه « النسخ الخاصة » استقى المؤلف معلومات جديدة ومفيدة كلها « طالت اليها اليد » . وهذه الحالة التى عليها جزء كبير من مصادر التاريخ المغربى ، من حيث التملك الخاص والتشتت وعدم الفهرسة والتهيين لعموم الباحثين ، لاتفوت فرص الاستفادة على ذوى الفضول العلمى الصرغ محسب ، بل تطمس عددا من الشواهد

على سيرورة تطور تاريخي . وقد تلمس حتى بعض الشواهد التاريخية على حقوق وطنية مجودة .

يبدو من خلال الكتاب أن ما بقي محفوظا من هذه المصادر يزداد وفرة بتقدم القرن التاسع عشر ، ولذلك خضع تصميم الكتاب وما فيه من تفاوت بين ضمور وقائع الطور الاول ( 1830 - 1860م ) وبين الكثافة النسبية لوقائع الطور الثاني ( 1860 - 1900م ) . والتقسيم التاريخي للقرن التاسع عشر المغربي كما جاء في الكتاب لا ينطبق تمام الانطباق على التقسيم الذي اقترحه مبيج (2) استنادا الى وثائق أجنبية ووقائع تتصل أساسا بالأجانب وبوجودهم في المغرب . كما أنه تقسيم أقل تموجا وتفصيلا .

وإذا كان التقسيم التاريخي ليس شكليا فحسب ، لأن ملائمة هذا الاقتراح أو ذاك يعين مدى ارتباط التطور التاريخي للمغرب بما كان يجري في أوروبا أو يدبر منها ضد المغرب . أي بمدى حتمية المصير الذي تضمنه الاصطدام أو الاحتكاك الاول ، فإن السؤال الجوهرى الذى ينبغى طرحه ، بعد قراءة كتاب الأستاذ المنونى ، يتعلق بمضمون « اليقظة » التى تعرض لمظاهرها . فهل وقعت يقظة فعلية ؟ وإذا وقعت فماذا كانت أسسها المعنوية والمادية ؟ وماذا كان مقدار عمقها البنىوى ؟

أن بعض محاولات التجديد التى قام بها المخزن المغربى فى هياكله الادارية والعسكرية ، وفى مجال الإصلاحات الاقتصادية ، كانت ايجابية . كما أن شعور النخبة بافتيات الاجنبى على كثير من الامور الداخلية كان شعورا محققا . ومع هذا كله فاليقظة ، من خلال مظاهرها ، كانت يقظة على كابوس . ولم يكن هذا الكابوس شبحا متبددا ومتواريا ، بل كان قوة خائفة ضاغطة هدفها الاجهاز على المغرب المذعور ، فجسدت تصرفات الضحية على صورة ملاحظات بل وخبط فى بعض الاحيان ، أى أنها كانت محاولات لسد الذرائع ورتق الرقاع . فتجديد الجيش كان الاعتماد فيه من حيث التدريب والتجهيز على العون الاجنبى . وطبيعى الا يتحمس الاجنبى لاي اصلاح مغربى خطير عليه . وتوسيع جهاز الحكومة قد استجاب فى معظمه للمشاكل التى كان يخلقها الاجتلاب للادارة المغربية . كما أن مشاريع المعامل التى أراد السلاطين اقامتها

كان نجاحها مرتبطا بنوايا الدول التي باعت أجهزتها للمغرب وتمهدت بالمساعدة على تسييرها . وقد بلغت المراكيل التي كانت توضع في طريق النهوض المغربى ذروتها في فضيحة العملة التي قرر مولاى الحسن ضربها في اوريا بوزن وعيار معلومين ، فأبّت الدور التي عهد اليها بذلك الا ان تخرج عن الشروط المعقودة ، نظرا لما كان في زيادة وزن القطع النقدية المغربية على القطع الاجنبية من ارباح للمضاربين الاجانب . ولكأننا في هذا كله امام الملامح الاولى للعلاقات بين الدول التي تريد ان تنمو بفضل معونة الاجنبى وبين هذا الاجنبى المستفيد من مبادلات غير متكافئة .

فهل كان المغرب مدينا بيقظته النسبية لانواع الضغط الاجنبى لاغير ؟ فحتى لو كان ذلك صحيحا فانه آية حيوية كاملة وامكانيات متأصلة ، اذ ان ردود الفعل على المداهمة الاجنبية لم تكن بقوة مماثلة في اماكن اخرى تعرضت لضغوط استعمارية . فالنشاط الفكرى والمادى الذى كشف عنه الاستاذ المنونى في مظاهر اليقظة كان ثمرة رصيد سياسى وحضارى ، ومن استعراضه نخرج بانطباع يكاد يكون منعكسا في التصوير التاريخى الاجنبى للقرن التاسع عشر المغربى ، لا في كتابات الرواد الاولين للاستعمار فحسب ، بل حتى في بعض الاطروحات المتأخرة التي لا تذكر التدخل الاوربى في المغرب الا في آخر تائمة عوائق الاصلاح ، وتذهب الى التركيز على « عبء التقاليد » باعتباره المسئول عن كل فشل . والتقاليد العتيقة من زاوية النظر الاستعمارية ، قد تنسحب على مجموع عوائق الهيمنة المادية والمعنوية للاجنبى .

أما المنونى فقد ذهب الى ان كثيرا من الجوانب الايجابية لحركة « اليقظة » قد انبعثت في وسط حياة هذه التقاليد ، وهم العلماء ، ونسب اليهم آراء « تقدمية » ، ومواقف توجيهية معارضة ، حتى انه رأى في عمل بعضهم عملا شعبيا . فقد طرح بعضهم تحت ضغط مشاكل ظرفية مشاكل بنيوية داخلية ، ومن امثلة ذلك ان الكتانى قد رد على المحتمين بالاجانب قائلا بأن اعتذارهم بظلم الولاة غير كاف لان القاءة انه اذا تعرض ضرران ارتكب أخفهما . أما الفقيه ابن سودة فقد انتهى في رسالته حول الجيش الى ربط مشاكل النسق المغربى بعضها ببعض ربطا متمثلا في قول بعض الحكماء : « لا ملك الا من جند ولا جند

الا من مال ولا مال الا من جباية ولا جباية الا من عمارة ولا عمارة الا  
بالمعدل .»

ان اليقظة الفكرية لم تكن تشمل مجموع الجسم الاجتماعي .  
فالوثائق التي قدمت عنها لا تتعلق الا بنخبة من متعلمي المدن بينما  
ظلت ردود فعل الجمهور القروي « ابتدائية » . ولكن مظاهر تلك اليقظة  
الحضرية نفسها قد عفى عليها الزمن . فبالاضافة الى فشل المشاريع  
العسكرية والاقتصادية المخزنية تعثرت المطابع . وتوقفت الترجمة  
والتصنيف في المواضيع الجديدة في نهاية القرن الماضي . فعسى أن يصدر  
في وقت قريب . الجزء الثاني من كتاب « مطايع يقظة المغرب الحديث »  
والذي سيتناول مرحلة ما بعد سنة 1900 م والتي تعتبر حلقة مهمة  
بين جهود القرن التاسع عشر وحركة ما بعد سنة 1930 م .

(1) الطاهر الأودي - « الاستعمار » . مخطوط .  
e) J. L. MIEGE - «Le Maroc et l'Europe» (1830 - 1894). PUF. 1961.



## جوانب من تاريخ المغرب الاجتماعي في القرن التاسع عشر

(اينولتان من 1850 إلى 1912)

جرت في يوليوز 1976 بكلية الآداب بالرباط مناقشة رسالة ،  
تقدم بها لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، أحمد التوفيق ، وعنوانها  
" بعض جوانب تاريخ المغرب الاجتماعي في القرن التاسع عشر ( اينولتان  
من 1850 الى 1912 ) " . وقد كانت لجنة المناقشة تتركب من الاساتذة :  
محمد زنيبر رئيسا ، وجرمان عياش مقررا ، و ابراهيم بوطالب عضوا .  
وفي آخر المناقشة قررت اللجنة نجاح المرشح بميزة حسن جدا ، كما  
أوصت بأن يسعى الكلية الى نشر الرسالة التي تقدم بها .

وموضوع هذه الرسالة هو التاريخ الاقتصادي والاجتماعي  
والسياسي لقبيلة مغربية في القرن التاسع عشر ، هي قبيلة اينولتان  
الواقعة في الاطلس الكبير ، والتي تعتبر بلدة دمنات مركزا اقتصاديا  
وسياسيا لها .

وقد ذكر المرشح في عرضه التقديمي انه انطلق في بحثه انطلاقا  
تراجعا ، من وثيقة مخزنية ترجع الى بداية القرن العشرين ، هي سجل  
«الترتيب» الجبائي الذي وضع في عهد السلطان مولاي عبد العزيز ،  
حين كانت قبيلة اينولتان خاضعة لحكم القائد الجبالي الدمناتي الذي  
اغتيل سنة 1904 .

وقد استغرق إنجاز هذا البحث ما يقرب من ست سنوات ،  
تطلبها استكمال المصادر والتغلب على الصعاب المنهجية التي تعترض

القيام بهذا النوع من الأبحاث المونوغرافية ، ولاسيما في ميدان التاريخ . وكانت حصيلة جهود الباحث هذه الدراسة التي تقع في حوالى خمسمائة صفحة مكتنفة بتسع خرائط تاريخية وسبعة رسوم بيانية .

اعتمد الباحث مصادر متنوعة ، منها الى جانب الحوليات والدراسات التاريخية التقليدية ، مذكرات وتواريخ محلية غير معروفة من قبل ، وأوراق الأسر وعقودها ، ووثائق فقهية كالنوازل والأعراف ، ووثائق رسمية كالأحوال الحسبية وسجل المستفاد المتعلقين بالمنطقة المدروسة ، وكالرسائل والظواهر السلطانية . كما اعتمد أوصاف الرحالين الأجانب وتقاريرهم ، وكذا تحرياته الشخصية واستجاباته الشفوية .

فبالرغم من كون الباحث قد هدف في أول الأمر الى الاقتصاد على إنجاز مونوغرافية وصفية تستخدم عددا من المعلومات الملتقطة والجديدة ، وذلك من أجل المساهمة في الكشف عن المواد اللازمة لكتابة تاريخ المغرب القروى ، والذي ظل مهملًا وبالتالي مجهولًا حتى بالنسبة لأقرب الفترات الينا ، بالرغم من هذه المنطلقات المتواضعة فإن الدارس قد وجد نفسه في آخر الأمر مضطرا الى الدخول في عدد من المناقشات النظرية على ضوء الخطوط الكبرى للتاريخ الوطنى ، وأشكاليات التاريخ العام .

تنقسم هذه الدراسة الى أربعة أقسام تتناول الإطار البشرى ، والطبيعى ، والحياة الاقتصادية والحياة الاجتماعية ، ثم علاقة القبيلة بالدولة . ولكن هذا القسم الأخير لم ينته فيه البحث بعد ، ولم يقدم للمناقشة . ويحمل هذا التصميم سمات الاختيار الأولى الذى استهدف جمع المعلومات وترتيبها ، لكن فى إطار منهجى يفصح عنه ترتيب الأقسام ابتداء مما هو اقتصادى الى ما هو سياسى .

وإذا تتبعنا فصول هذه الدراسة ، نجد مقدمة لتاريخ قبيلة اينولتان تقصى فيها الباحث تطورات المجموعة القبلية الكبرى التى كانت تنتمى اليها اينولتان فى القرون الوسطى ، وهى اتحادية هسكورة ، تلك الاتحادية التى لعبت دورا فى الصراعات القبلية قبل المرابطين ثم دورا سياسيا خطيرا فى العهد الموحدى . وقبل أن تتفكك بفعل عوامل طبيعية وسياسية أهمها : تقلص المجال ، واستكمال الاستقرار ، وظهور مراكز تجارية فى الدير ، وتعدد الرئاسات المتضاربة .

فقبل القرن التاسع عشر بزمن بعيد ، لم تعد اينولتان تعمل بمقتضى ارتباطات متينة مع أى كانت من قبائل هسكورة ، كانفضواك ، واغجدامن ، وانتيفت ، وغيرها ، ولكن التفكك أبقي على اينولتان كوحدة متميزة اسميا وجغرافيا وسياسيا عن جيرانها . هذا مع العلم بأن هذه الوحدة منقسمة داخليا الى أربع « واقخاذ » و « عظام » انقساما لا تفسره النظريات التجريدية للتوازن الاجتماعي بقدر ما تفسره المعطيات الطبيعية ( التربة والماء ) ، والمعطيات الاستراتيجية ( ارادة المحافظة على الخيرات وتقاسم التكاليف الجبائية ) .

واقناع الباحث بتعدد عوامل التكوين المورفولوجي للوحدة الاينولتانية ، جعله لا يقتصر على تأمل المظهر الانقسامى ، ( aspect segmentaire ) من الناحية الوظيفية ليجد فيه تفسيراً للتاريخ ، على غرار القائلين بأولوية نظام « اللف » ، أو منتقديهم من الانطروبولوجيين الباحثين حاليا في المغرب ، بل عمد على ضوء بعض المعلومات التاريخية الملتقطة محليا ، الى تحليل حياة الخلية الاساسية في الانتاج وفي المبادرة الاجتماعية، والسائدة الى بداية القرن العشرين ، وهي «الاسرة الكبيرة» ، وذلك اقتناعا بأن نمط الانتاج الذى يفسر جوانب مهمة من التاريخ ، لا يمكن ادراك سماته الاساسية بمجرد وصف التقسيمات القبلية ، ولا حتى بصياغة مجردة لحركيتها ، بل لابد من اجراء تحليل مجهرى للوحدات الحقيقية التى يتكون منها النسيج الاجتماعى .

فالاسرة الكبيرة كانت تتكون من والد وأولاده البالغين ، أو من عدة اخوة بالغين شركاء في المسكن ، والاعباء والثمرات ، مكونين الصيغة الانتاجية الوحيدة التى كان بإمكانها نظرا لضعف التقنيات أن تغلب على مطالب متشعبة ، وهى مطالب اقتصادية ( أعمال الزراعة والرعى وتحصيل قدر ضرورى من النقود وتنظيم النفقات ... ) ، ومطالب اجتماعية ( رعاية الحياة العائلية ، وتعهّد الأولاد ، والمشاركة في مختلف المظاهرات الاجتماعية الموسمية على صعيد القرية ، أو الفخذ ، أو القبيلة ... ) ، ومطالب سياسية ( الاستجابة للكلف المخزنية ، والالتزامات السلمية ، وحتى الحربية مع الجماعة ... ) .

ان قوة الاسرة الكبيرة واهميتها ، كانت تتجلى في كونها تمدد في حالة السلم ، المساحات المزروعة الى اوسع مدى ممكن ، وذلك

باحياء الموات واحتثات الغاب ومد الاقية اللازمة للسقى . ويصل  
يقطع المائسية أكبر حجم تسمح به امكاناتها، وحصيلة هذه القدرة هي  
توفير الكفاية في العيش في وسط طبيعي قاس (اينولتان) ، وكذا توفير  
فائض من منتجات الزراعة والرعى ، يصرف في الاسواق الاسبوعية مقابل  
بضائع تكميلية حضرية .

غير أن (( الاسرة الكبيرة )) مهما كانت قوتها ، كانت تتعرض للتفكك،  
وذلك اما لاسباب ذاتية اى عندما كانت تبلغ حجما يتعذر معه الاستمرار  
في النمو ( في اطار الوحدة ) ، وفي هذه الحالة كانت تنشط الى فرعين  
أو الى عدة فروع ، وربما نتج عن ذلك تكثيف لجهود الاستثمار ، وتجدد  
للحيوية ، واما لاسباب خارجية ، وهى اما طبيعية كالتقحوط الشديدة  
والاوبئة ، واما تاريخية كالصراعات السياسية المحلية ، أو الصراعات  
مع السلطة . وكيفما كانت الاسباب فنتيجة هذا التفكك هى ضمور  
وتقلص في الاستثمار الاقتصادى ، وتدهور في البناء الاجتماعى اى في  
النظم والادوار الاجتماعية . وهذا التراجع يعود بكل شئ على وجه  
التقريب الى ((نقطة البداية)) اى بداية دورة تاريخية يتجدد فيها غزو  
المحاط الزراعى وبنائه وتكوين قطعان المائسية ، وتجديد الاعراف  
المندثرة وحتى المشيخات في بعض الاحيان .

لقد وقف الباحث في الفصل الرابع عند نقطة التحليل هذه ، وهى  
من اسس النتائج التى انتهى اليها . وفي الفصل الخامس وضع معالم  
التاريخ السياسى لاينولتان من 1850 الى 1912 ، مبرزاً الدور الذى كان  
لبلدة دمنات كمركز للقوة المخزنية في هذه الفترة . وقد بدأت هذه الدورة  
بتعيين المولى عبد الرحمان عاملاً من عسكره على دمنات ، هو الطالب  
على أوحىو الدمناتى الوصيف ، هذا العامل الذى لم تكن له اسس مادية  
للفوز في المنطقة ، فكان عليه ان يواجه عدداً من رؤساء الاسر الكبيرة ،  
ويستجد بالقوة المخزنية للقضاء على معارضتهم . ولكن خلفه وابنه  
الجيلالى الذى حكم اينولتان وعدداً من القبائل المجاورة من 1875 الى  
1904 ، ما لبث ان عمل على احتجاج عدد من الاراضى ، والاستحواذ  
على كثير من اسباب التمول ، حتى صار من اكبر القواد جاها وثروة في  
المهدين الحسنى والعزيزى . وقد قام بمبادرات حاسمة من أجل بسط  
السلطة المخزنية على كثير من القبائل الواقعة بين ممرى تلوات وفدغيات

وبين الحوز ووادي داس وتدغة . وقد واجهه انتفاضة عارمة قام بها محكوموه ، اثر وفاة السلطان مولاى الحسن ، وفر أمامها ليعيش قرابة عامين منفيا في ناناغملت .

وفي فترة نفى الجيلالى عادت اينولتان الى حكم نفسها ، بواسطة شيوخ « منتخبين » ، لمدة محدودة . ولكن الفائدة تمكن معززا « بمحلة » عزيزية ، من اعادة بسط سلطته ، على بعض مناطق نفوذه السابقة ، غير أن السياسة الانتقامية التى ركبها ، دفعت الى تدبير مؤامرة اغتياله سنة 1904 .

ودخلت اينولتان بعد الجيلالى فى حكم أسرة محلية ، كان منها الشيوخ ، هى أسرة ابلاغن . الا أنها لم تستطع بالرغم من كفاءة بعض رؤسائها ، مقاومة مد اطماع اسرة الكلاويين ، التى عملت منذ وقت طويل على استكمال نفوذها ، بالاستيلاء على منطقة دمنات ، لما لها من أهمية اقتصادية واستراتيجية .

بعد تحديد الاطار التاريخى ، والتقسيم المورفولوجى لاينولتان ، فى القسم الاول ، تناول الباحثة ، فى القسم الثانى ، القواعد الاقتصادية لتاريخ اينولتان ، فبين أن النمط الديمغرافى كان يتميز بتعادل المواليد والوفيات . وقد حاول تقدير سكان اينولتان محاولة ذات فائدة منهجية قبل كل شئ ، ذلك أنه اعتمد على معطيات بسيطة مثل تقدير سكان « الكانون » ، واستعمال وثيقة الترتيب العزيزى ، واستعمال عدد « الحراك » ( الحاملين للسلاح ) قصد الوصول الى الرقم الاجمالى للسكان .

ثم تناول الانتاج الزراعى والرعى ، فى اطار تقنيات عتيقة وامكانيات طبيعية ( التربة والماء ) فقيرة ، فبين ان نسبة ضئيلة من الاسر هى التى كانت تحصل كفايتها السنوية من الحبوب ، وكيف أن طرق الاستثمار كانت تحقق شيئا من المكافئ دون أن تنفى الاستغلال الذى كانت تنطوى عليه الخماسة وبعض أنواع المزارعة الأخرى .

وفى اطار هذا المجتمع الزراعى كان الصانع القروى مندمجا ومكفول العيش . ولكنه لم يكن يفلت من الاستغلال هو كذلك . غير أن الاختلال الاساسى كان بين المنتجين الزراع وبين التجار الوسطاء المستقرين فسى

دمنات . وقد اتضح هذا الاختلال في النصف الثاني من القرن التاسع عشر نظرا لقيام هؤلاء التجار ، وخاصة منهم اليهود ، بعدد متزايد من المضاريات ، بفضل ما وقع بين أيديهم من أموال تجار المدن ، الأجانب والمفارية ، الذين كانوا يشترون لحسابهم الجلود والاصواف ومواد الدباغة والزيوت كما يقومون بعقد شركات مربحة في الماشية ، وتقديم سلفات على أثمان الغلال قبل نضجها . ومع ذلك فقد أثر الباحث أن يتحدث عن « متمولة » بدل أن يتحدث عن « بورجوازية » ، لأن أنشطة هؤلاء المضاريين كانت غير متخصصة ، ومضارياتهم محدودة ، وعقليتهم « زراعية » ، ولأن الثروة العامة في الوسط المدروس لم تكن تمكن من القيام بمبادرات ذات أبعاد واسعة .

والنتيجة أن مستوى عيش اينولتانيين ، ما خلا بعض الأسر المعدودة ، كان يطفئ عليه التثقل والتشظف . وهو عيش على حافة المجاعة ، زادت من ضيقه عناصر الازمة العامة من مجاعات وغلاء واضطرابات سياسية في أواخر القرن التاسع عشر .

وعلى هذه القاعدة الاقتصادية ، وضع الباحث دراسة اجتماعية ، تناول فيها التفاوت في مجتمع اينولتان ، وميز بين فئتين رئيسيتين هما فئة الأعيان وفئة العامة . وقد استند الى وثائق محلية ليعزز المضمون الاجتماعي لكل تسمية ، وليبين اسباب الصعود الاجتماعي في وسط لم يكن يعرف الحواجز الصلبة بين الرتب ، وكان فيه الجاه السياسي او العلمي او الديني بل وحتى حصافة الرأي من اسباب الرقي والزعامة والثروة .

غير أن هذا المجتمع كانت فيه عوامل تضامن وتعارض . وربما كانت عوامل التضامن أسبق وأعمق ، وهي المتمثلة في طقوس عريقة للتآخي مثل « ناضا » ، وفي نظم راسخة للتعاون في ميدان الانتاج مثل « تيويزي » و « اسكفض » ( وهو الإعانة على تكوين قطع الماشية ) الخ . أما مظاهر التعارض فلم تكن ترجع الى نوازع فوضوية متصلة ، كما كان يرى اصحاب « نظرية ألف » ، ولكنها كانت تعبر عن الحرص على تجنب الوقوع تحت سيطرة الطفيان ، طفيان شيخ او فخذ أو قبيلة ، لما كان في ذلك من الاستغلال والاستخدام . وبما أن الدولة

المركزية لم تكن ، نظرا لضعف مواردها ووسائلها ، قادرة في جميع الاوقات على منع مثل هذا الطغيان ، كان على كل فريق ، في مستويات مختلفة من التقسيم القبلي ، أن يكون مستعدا للدفاع عن نفسه ، وأن يصطنع عددا من الخلفاء على قدر العدد المحتمل من الاعداء ، مع العلم بأن الطموح قد يدفع بعض الأسر الى المبادأة بالهجوم وجرد عشائرها الى المشاركة فيه .

وفي الفصول الثلاثة الاخيرة تعرض المؤلف للحياة القانونية والحياة الدينية والنمط الثقافي . ويميز في الحياة القانونية بين العدل الشرعي ، والعدل الجماعي أو العرف ، والعدل السياسي أو أحكام الشيخ والقائد . ثم ميز في الحياة الدينية بين مظاهر الحياة الوثنية ، وبين الممارسة الدينية السنية ، ومظهر الحياة التي كان يرمز اليها المرابطون في الزوايا . أما في النمط الثقافي فتحدث عن مظاهر الثقافة الشفوية ، ومظاهر الثقافة الكتابية بمستوياتها المختلفة . وفي كل هذه الجوانب تتبع آثار النمط الاقتصادي واستنتج أن التطور الدائري الذي كان يخضع له نمو الاسر الكبيرة ، ثم الانتاج ، والذي كانت تحدد دوراته عوامل طبيعية وتاريخية ، كانت تخضع له الحياة الاجتماعية كذلك . فالعرف يتجدد والشعائر تبلى وتحتاج الى مجدد ، والعلم ينحط وتندهور المدارس والرباطات .

و يصف المؤلف نمط الانتاج هذا بأنه نمط ينسم به « القلة » و « عدم التراكم » . وفي نظره أن هذا هو الاساس العميق للتطور الدائري الذي وصفه ابن خلدون بالنسبة للقيمة أي الدولة . وقد استمر هذا النمط سائدا ، في نوع من التوازن . فلم تكن الظروف المعالية والظروف الداخلية الا لتضييق حلقاته او توسعها ، دون أن جعله يتجاوز نفسه ، الى منتصف القرن التاسع عشر حيث ظهرت بوادر سيرورة جديدة بسبب الابعاد الجديدة التي اتخذها التدخل الاجنبي في المغرب . وهكذا فالاسر التي تفككت من جراء الحوادث الطبيعية والسياسية ومن جراء الصعوبات الاقتصادية في النصف الثاني من القرن الماضي لم تعد تستطيع أن تتجدد لان المطالب المعيشية والمجباتية صارت أثقل عبئا بسبب الازمة الاقتصادية العالمة التي كان يعيشها المغرب والتي انتهت به الى الوقوع تحت لسطرة الاجنبية .

أنباء ثقافية وجامعية



## النشاط الثقافي بكلية الآداب

عرفت كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط خلال السنة الجامعية المنصرمة نشاطا ثقافيا ملحوظا تجلّى في المحاضرات القيمة التي القاها عدد من الاساتذة الاجلاء . هذا وقد نظمت هذه الانشطة تحت اشراف الكلية وجمعيات ثقافية وطنية او مراكز ثقافية اجنبية . ويصعب علينا ان نحيط بكل تلك الانشطة وان نتحدث عنها بالتفصيل وانما سنذكر اهمها بكل ايجاز :

\* لقد عرضت سلسلة من ثمانية افلام حول الحضارة الامريكية، اخرجها الصحفي البريطاني اليستر كوك لهيئة الاناعة البريطانية ما بين 9 و 12 دجنبر 1975 .

\* ونظمت جمعية الفلسفة بالمغرب سلسلة من المحاضرات التيقت في اشهر يناير وفبراير ومارس وماي هي :

« نحن وقضايا الفلسفة » للاستاذ محجوب بن ميلاد .

« قراءة جديدة للفارابي » للاستاذ محمد عابد الجابري .

« نظرية التراجع لدى الفارابي والمثاليين المسلمين » للاستاذ علي (Foie et idéologies contemporaines) سامي النشار

« الايمان والايديولوجيات المعاصرة » للاستاذ ميشيل للون

« ما هي الايديولوجيا ؟ » للاستاذ عبد الله العروى

« من تاريخ الفارابي الى تاريخيته » للاستاذ محمد عزيز الحبابي

« العواقب النفسية والاجتماعية للزدواجية اللغوية »

للاستاذ محمد كسوس

« Les conséquences psycho-sociologiques du bilinguisme »

للاستاذ شارل شنو « Karl Popper et le problème de l'induction »

« كارل يوير و مشكلة الاستقراء »

✳ ونظم معهد جوته محاضرات بالعربية خلال شهري فبراير ومارس  
القاهها اساتذة من جامعات ألمانيا الاتحادية هي :

« المنطق والنحو في الثقافة الاسلامية : تراث اغريقى وتقليدي  
عربي » للاستاذ جيرهارد الدريس من جامعة بوخوم .

« نظرية الدولة الاسلامية في الفلسفة العربية بالشرق والمغرب »  
لنفس الاستاذ .

« تحول مفهوم الثقافة في الحضارة العربية » للاستاذ فيشر من  
جامعة نورنبر - ارلانجن .

« ملاحظات حول تاريخ الحركة الاصلاحية الاسلامية في القرنين  
الثامن عشر والتاسع عشر » للاستاذ يوهانسن من معهد العلوم الاسلامية  
بجامعة برلين الغربية .

✳ والقي الاستاذ جان لويس فليكنيا كوسكا استاذ اللغة الاسبانية  
وآدابها بجامعة بول غاليري بمونبليي بفرنسا سلسلة من المحاضرات  
بالفرنسية والاسبانية ما بين 6 و 10 ابريل 1976 حول المواضيع الآتية

« المسرح الاسباني في القرن العشرين »

« خاصيات مسرح العهد الذهبي باسبانيا »

« الفن القصصى الاسباني في القرن التاسع عشر »

« القصة الاسبانية الحديثة ابتداء من 1940 »

✳ والقي الاستاذ تروان رئيس شعبة الجغرافية بجامعة نور  
بفرنسا ما بين 12 و 17 ابريل 1976 المحاضرات الآتية :

« استصلاحات المدن ومشاكل وسط المدن الأوروبية »

« الاسواق المغربية نموذج للاستصلاحات التجارية أم هيكل عتيقة؟ »

« شبه الجزيرة القنجنائية . علاقات البادية بالمدين »

« المدن المغربية الصغرى »

\* والقى الاستاذ دانيال نوان ، رئيس وحدة الدراسة والبحث  
( مادة الجغرافية ) بجامعة السربون ، المحاضرات الانية ما بين 26 و  
30 أبريل 1976 :

« جغرافية المدن : عرض لما جد فى الأبحاث ( شبكة المدن الترتيب  
السلمى للمدين . القطاع الثالث ) »

كما شارك نفس الاستاذ فى مائدة مستديرة بمشاركة الباحثين  
المغاربة الشبان فى ميدان الجغرافية البشرية حول :

« انفجار السكان بالعالم الثالث »

\* ولقى الاستاذ شارل ميكى ، أستاذ اللغة الإسبانية الامريكية  
ورئيس وحدة الدراسات والبحث (اللغات الرمانية) بجامعة نانطر محاضرات  
بالاسبانية والفرنسية ما بين 26 و 31 أبريل هى :

« أجيال الاستقلال ومشاكل الهند »

« الزمن فى أعمال أليخو كاربانتيني »

« الرنجدى الامريكى وكريول امريكا اللاتينية فى القرن 18 »

« أجيال الاستقلال فى امريكا اللاتينية تجاه العالم القديم »

\* ونظمت جمعية اللغويين والسميائيين بكلية الآداب سلسلة من  
المحاضرات والندوات ما بين 16 و 18 أبريل هى :

« تحليل المنطق للعبارات اللغوية » للاستاذ عبد الرحمن طه

« الاضافة فى اللغة العربية فى ضوء الفرضية المعجبية » للاستاذ

الفاسى فهدى

« قراءة جديدة لنظرية النظم عند الجرجاني (1) » للاستاذ المتوكل  
« مشروع نموذج للوصف الدلالي » لنفس الاستاذ  
« الحريري والكتابة العربية » للاستاذ كيليطو  
« دراسة حول التناص » للاستاذ بورو  
« دراسة حول حرودة الطاهر بنجلون » للاستاذ كونطار  
« الغوص : دراسة صوتية صرفية » للاستاذ اليوسى  
\*والقى الاستاذ ج ملىو ، استاذ السيميائية بجامعة اكس محاضرات  
هى :

« اشكالية السميولوجية » مائدة مستديرة

« ما هى السميولوجية ؟ »

« سميولوجية الفنون »

« سميولوجية المسرح »

« سميولوجية القصة »

« السميولوجية والعلوم الاجتماعية »

اشتمل نشاط الجمعية المغربية للبحث التاريخى اثناء السنة  
الجامعية 1975 - 1976 على ما يلى :

— اقامة ندوة عن قضية الصحراء المغربية من الوجهة التاريخيـ  
بقاعة المحاضرات بوزارة الثقافة . وقد صادفت الندوة اقبالا كبيرا  
وشارك فيها الاساتذة ابراهيم بوطالب ومحمد زنيير وعبد الله العروى .  
— تنظيم سلسلة من المحاضرات بكلية الآداب . منها :

— محاضرة الاستاذ جيرمان عياش فى موضوع « استمرارية الدولة  
و تكوين الشعب المغربى عبر التاريخ » .

— محاضرة للاستاذ على أومليل فى موضوع يتعلق بالمنهاجية  
التاريخية .

— محاضرة للاستاذ عبد اللطيف الشاذلى فى موضوع « جانب من  
نشاط الصوفية المغربية فى القرن السابع عشر » .

---

1 - وهو المقال الذى إدرجناه بهذا العدد بنفس العنوان

— تهيء ندوة كبيرة عن تاريخ التعليم بالمغرب بمشاركة عدد كبير من الاساتذة .

✱ وترأس الاستاذ محمد أركسون من جامعة باريس مائدة  
مستديرة حول «L'Histoire récit et l'histoire problème»  
يوم 23 أبريل 1976 .

✱ وألقى الاستاذ دفينيو سلسلة من المحاضرات في شهر يونيو حول:  
« سسيلوجية المسرح »  
« السسيلوجية والاداب »  
•L'imaginaire

عبد الحميد لطفي

## لقاء اللغويين والسميائيين

تم لقاء بين اللغويين والسميائيين والمهتمين بالدراسات اللسانية والادبية في أوائل شهر أبريل من سنة 1976 بكلية الآداب بالرباط .  
استغرق اللقاء ثلاثة أيام القيت فيها عروض وبحوث تناولت أهم المشاكل التي يطرحها الدرس اللغوي السيميائي الحديث . وعنى اللقاء على الخصوص بنوعين من القضايا :

أ - قضايا نظرية استهدف المشاركون من عرضها الاسهام في حل بعض المشاكل المتعلقة بما يقوم بين اللغات الطبيعية والمقطع من علاقة، بمفهوم « الفناص » في الدراسات السيميائية الحديثة ، بمحاولة تنظيم الدرس السيميائي انطلاقا من المقولات اللسانية الحديثة ، وبإيجاد نموذج لغوي يكفل الوصف التام للبعد الدلالي على جميع مستوياته .

ب - قضايا « تطبيقية » اهتم طارحوها بمشكلين أساسيين :

- (1) - تمحيض بعض النظريات والنماذج اللغوية الحديثة عن طريق تطبيقها على لغات تختلف عن اللغة ( أو اللغات ) التي درست حتى الآن .
- (2) - تنظيم الدرس اللغوي العربي بالافادة المباشرة من النماذج اللغوية الغربية الحديثة أو بمحاولة ترميم النتائج اللغوية العربية القديم على ضوء النظرية اللسانية الحديثة ترميما يستهدف خلق نظرية لسانية ونماذج لغوية عربية تضطلع بدراسة اللغة العربية ( بجميع مستوياتها ) دراسة علمية .

وقد اتسمت كل العروض التي ساهم بها في اللقاء بجدية وروح بحث عالية شجعت منظمي هذه الظاهرة اللغوية - السيميائية على التفكير في تنظيم لقاءات مقبلة أخرى وتكوين مجموعات بحث تصرف اهتمامها الى الدراسة اللسانية والسميائية مع التركيز على المشاكل التي يطرحها الدرس اللغوي - السيميائي المغربي .

## اجتماع المكتب الدائم لاتحاد المؤرخين العرب بينغازي

فيما بين 18 و 21 أكتوبر 1974

تأسس اتحاد المؤرخين العرب في مايو 1974 ببغداد على اثر دعوة وجهتها الجمعية التاريخية العراقية لعدد من اساتذة التاريخ بالعالم العربي ودعى الاستاذ محمد زنيير كممثل عن المغرب الى الاجتماع التأسيسي الذي تم اثناء الموافقة على مشروع تأسيس الاتحاد ووضع قانونه الاساسي وانتخاب مكتبه الدائم .

وفيما يخص المكتب الدائم انتخب ممثل العراق امينسا عاما له وانتخب ممثل المغرب من الامناء المساعدين الخمسة . وكما ينص قانون الاتحاد ، فان المكتب الدائم يجتمع مرة في كل سنة ، على الاقل ، في احد الاقطار العربية .

لذلك ، فان الحكومة الليبية بادرت بدعوة المكتب الدائم بينغازي عن طريق الجامعة المقامة في هاته المدينة . فكان هذا اول اجتماع له بعد الاجتماع التأسيسي .

وكان جدول الاعمال يشتمل على عدة نقط منها ما يتعلق بتسيير الاتحاد مثل النظر في الحسابات المالية وتقرير الميزانية الجديدة ، والنظر في قبول الاعضاء الجدد الخ .... ومنها ما يتعلق بموضوعات جامعية

وعلمية بحثه ورغم أن الجو العام كان بعيدا عن السياسة ، أمكن لندوب المغرب ، نظرا للظروف التي انعقدت فيها دورة المكتب الدائم ، أن يلفت أنظار الاعضاء المشاركين الى قضية الصحراء المغربية المفتصة وأن يقنعهم أن المشكلة ليست سياسية ، بل هي وطنية ومصيرية بالنسبة للعرب جميعا ولذلك يجب أن نتخذ فيها موقفا كمؤرخين عرب . ووافق الجميع في الأخير على توجيه برقيتين :

**الاولى :** الى صاحب الجلالة الملك المعظم هذا نصها :

نساند ونبارك مسيرة الشعب المغربي تحت قيادتكم في سبيل استرجاع أراضيه المفتصة ، الساقية الحمراء ووادي الذهب واستكمال وحدته الترابية . كلل الله جهود المغرب بالنجاح .

الدكتور حسين أمين

الامين العام لاتحاد المؤرخين العرب

**الثانية :** الى الامانة العامة لجامعة الدول العربية هذا نصها :

نطالبكم بدعم وتأييد حق الشعب العربي المغربي في حقوقه التاريخية في وادي الذهب والساقية الحمراء .

الدكتور حسين أمين

الامين العام لاتحاد المؤرخين العرب



وفيمما يخص جدول الاعمال انتهى اجتماع المكتب الدائم الى القرارات التالية :

1 ( — الموافقة على قبول الجمعية التاريخية السودانية والجمعية المغربية للبحث التاريخي وجميع الباحثين والمؤرخين ممن تقدموا بطلبات الانتساب .

2 ( — الموافقة بالاجماع على الموازنة المالية المقدمة من الامانة العامة للاتحاد .

3 ( — الموافقة على عقد المؤتمر الدولي للتاريخ الذى سيعقد في دولة قطر في كانون الاول ( ديسمبر 1976 م ) .

4 ( — الموافقة على اقامة مؤتمر لاهياء ذكرى الشهيد عمر المختار في مدينة بنغازى وسيحدد موعد انعقاده بالاتفاق مع الحكومة الليبية .

5 ( — الموافقة على اقامة مؤتمر الحضارة العربية فى مدينة الموصل بالاتفاق مع رئاسة جامعة الموصل .

6 ( — الموافقة على انعقاد المكتب الدائم في مدينة الدوحة فى شهر ديسمبر ( كانون الاول 1976 م ) .

7 ( — الموافقة على كتابة تاريخ الامة العربية بروح موضوعية تهدف الى بيان معطياتها الحضارية والمقومات التى تربط بين ابنائها والدور الذى اسهم فيه العرب في بناء الحضارة الانسانية .

8 ( تحويل الامين العام لاتحاد المؤرخين العرب اجراء اتصالات مباشرة مع المسؤولين في الكويت لتنسيق كتابة تاريخ الامة العربية ، لتبنى الاتحاد تنفيذ المشروع او المشاركة فيه .

9 ( — تخويل الامانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب الاتصال بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم من اجل توحيد مناهج التاريخ في جميع مراحل التعليم المختلفة في الوطن العربى . وتكليف الامانة العامة باجراء اتصالات مع المسؤولين في الدول العربية في محاولة تدعيم فكرة توحيد المناهج . وعليها ان تقوم باجراء دراسة مستفيضة لمناهج التاريخ المطبقة في الوطن العربى .

10 ) - يطلب المكتب الدائم من جميع أعضائه الاتصال بحكوماتهم للحصول على دعم مادي سنوي يقدم للاتحاد ليتسنى له رسالته .

11 ) - عهد الى الدكتور عباس ابراهيم بتقديم بحث عن تاريخ الصومال في مدة ستة أشهر ، على أن تقدم الامانة العامة له مكافأة تقديرية مناسبة .

12 ) - تقرر أن تكون عضوية المكتب الدائم مدة خمس سنوات اسوة بمدة الامين العام والامناء المساعدين .

13 ) - وافق المكتب على توجيه برقيات الى المغرب والعراق ولبنان .

14 ) - وافق المكتب على توجيه تحية لحركات التحرير العربية وفي طليعتها المقاومة الفلسطينية ودعوة الدول العربية للوحدة والتضامن وتوحيد الجهود ضد العدو المشترك .

15 ) - الموافقة على توجيه برقية شكر الى الحكومة الليبية ورئاسة جامعة بنغازي تقديرا وتيمنا لما لقيناه من حفاوة وتشجيع وكرم عربي أصيل .

16 ) - وافق المكتب الدائم على توجيه برقية شكر الى العراق ودولة قطر على الدعم المعنوي والمادي للاتحاد .

## الندوة الرابعة لجغرافية المغرب العربي

لقد نظم الجغرافيون التونسيون الندوة الرابعة لجغرافية المغرب العربي ما بين الخامس عشر والعشرين من نونبر الماضى . وقد كانت هذه الندوة فرصة التقى بها جغرافيو البلدان الثلاثة للمغرب العربي وجغرافيون فرنسيون سبق لهم ان اشتغلوا فى بلداننا وتعرفوا على مشاكلها . ولقد تركزت التدخلات والمحادثات على موضوعين كانا قد حددنا منذ ثلاث سنوات فى الرباط عند نهاية الملتقى الثالث فى شتنبر 1973 . وهذان الموضوعان هما : الانسان والبيئة الجبلية من جهة ، والتصنيع فى المغرب العربي من جهة أخرى . ولقد تميزت كل التدخلات بمستواها العلمى الرفيع . لذا ظهر من الواجب نشر الافكار التى تداولها جغرافيو المغرب العربي حتى يطلع عليها الجميع وتعم الفائدة . وسوف يقوم الاخوان التونسيون قريبا بطبع وتوزيع كل المقالات التى توصلوا بها فى الموضوعين . ولهذا فاننا سنكتفى هنا باعطاء خلاصة عن النتائج التى توصلنا اليها اثناء الندوة ومن خلال المناقشات فيما يخص الموضوع الاول عن الانسان والبيئة الجبلية فى المغرب العربي .

(1) — لقد وقع الاتفاق منذ الاول على وجوب اعتبار المجال الجبلى المغربى الحالى ميدانا ناتجا عن العمل البشرى والمجهودات البشرية لا مجالا طبيعيا محضا . فرغم كل السلبيات التى تميز الوسط الجبلى

المغربى (سهولة التدهور بالنسبة للغطاء النباتى والتربة على الخصوص فان الانسان استطاع أن يقيم به أنشطة بشرية جد معقدة وأن يخلق مظاهر هي خير دليل على الحضارات المتقدمة التي توالت على شمال افريقيا . الا أن رداءة الظروف واكتظاظ السكان في المرتفعات ، كل هذا دى الى أزمة حالية خانقة .

## (2) — التطور التاريخي :

تعتبر الجبال أصلا مواطن تركيز ونداء للسكان وذلك لأنها محمية طبيعيا من المياه ( فيضانات السهول السفلى ) ، من الجفاف وعلى خصوص من الغزوات والحروب . كما أنها مناطق غنية بهوردهيتا المائية .

من جهة أخرى نلاحظ أن سكان الجبال كانوا من الأصل يستفيدون من امكانيات السهول المجاورة حيث كانوا يقيمون الفلاحة وحيث كانوا يقدون ماشيتهم في فصل من فصول السنة . هذا التكامل كان يمكن سكان الجبل من العيش رغم كثافات هائلة . كما أن الجبل كان منفثا على الخارج حيث كانت تتم الاتصالات والتبادلات التجارية رغم قللة الطرق ورداءة المواصلات .

الا أن التاريخ الحديث أى الاستعمار أدى بالجبال الى الاكتشاف والاتفلاق لها تسلط المعمرون على أراضي السهول الخصبة . وبانعزال الجبال ظهر أنها مناطق محافظة واتسع الفرق بينها وبين السهول ، كل هذا أدى الى أزمة جعلت سكان المدن والسهول يعتبرون الجبل كمورد لليد العاملة ، خاصة لها انطلقت الهجرة نحو السهول .

## (3) الحياة الراهنة في جبال المغرب العربى .

— تمتاز الجبال أولا بكثافتها البشرية العالية ( على العموم — فوق 50 ساكن في الكلم )

— طرق استغلال الأرض في الجبل، طرق خاصة تجمع بين الفلاحة المتقنة والرعى وتطف بعض الموارد الطبيعية . لكن يجب التنويع بين طرق تختلف حسب عدة مقاييس ( الوضع المناخى — الارتفاع — الارتفاع

النفسى — الحجم التضاريسى — الظروف التاريخية — أهمية العلاقات  
مع السهول المجاورة ) .

— و نتائج الاستغلال من نوعين متناقضين . فالطرق الفلاحية المتقنة  
التي تستعمل المدرجات على السفوح وتثبتها بأشجار الفواكه يمكن أن  
تعتبر من اسباب الحفاظ على البيئة الطبيعية وعلى التربة . وعلى  
العكس من ذلك فان اقتلاع الغابة وتجاوز أعداد الماشية لامكانيات تجدد  
النباتات المغذية يؤدي الى تدهور في الغطاء النباتى وبالتالي الى تدفق  
التربة وتعرية السفوح .

— يلاحظ أن صعوبة الحياة في الجبل ( قلة الموارد على الخصوص )  
تزيد الان حدة بفعل التضيق الذى يطرا يوميا على المجال الفلاحي  
والرعى اثر تنفيذ حماية الغابة وبداية عملية التشجير . كل هذا أدى  
بالفائض السكاني ( وفي هذا المجال لابد من دراسة البنيات العقارية  
بدقة ) الى مغادرة الجبل بحثا عن ظروف احسن وحياة افضل .

#### (4) — الاتفاق والامكانيات :

يمكن دراسة هذه الاتفاق من واجهتين . أولا من واجهة تطوّر  
الجبال نفسها . وهنا يتضح أن خلا قد طرا على التوازن اللازم بين  
الوسط الطبيعى والاستعمالات البشرية لهذا الوسط لما صار الانسان  
بسبب كثرتة في الجبال المغربية ملزوما بعدم احترام قوانين الطبيعة  
وقوانين الحفاظ عليها . صار اذن من الواجب خروج الفائض السكاني .  
وفعلا بدأت الهجرة لكن يجب طرح السؤال هل ستتوقف هذه الحركة لما  
يكون الفائض قد هاجر عن المرتفعات ؟ حتى الان ما زالت الجبال مناطق  
حية اذ نلاحظ بها دائما تقدما في المجال المحروث ومغروسات جديدة . وهنا  
يجب طرح سؤال ثان : هل يمكن للحلول التي تقترح لحل أزمة الجبال  
أن تكون تقنية محضة ؟ هل أهم شيء هو استقرار السموح وبالتالي  
حماية الغابات والزيادة في التشجير ، أم أهم شيء هو تحسين حالة  
عيش سكان الجبل ؟ يظهر أن الحلول بشرية قبل كل شيء ، وهى بالتالى  
لا يمكن أن تقتصر على الجبل وحده بل يجب أن تتعداه فتطرح كـ  
المشاكل على المستوى العام ، الوطنى .

وفعلا فمن واجهة التطور العام للبلاد وفي اطار التخطيطات العامة يجب اعتبار آجبل كجزء من كل . فالعلاقات وطيدة بين تطورات الجبل وما يطرأ في السهول . هذا يظهر جليا من الناحية الطبيعية أولا . فمشكل الفيضانات والارساب في خزانات السدود ، وبالتالي امخنيات السقي كل هذا مرتبط بحالة المرتفعات وبما أن التطور الفلاحي للسهول يستلزم السقي ، وبما أن تقنية السدود الكبرى أكثر ملائمة مع الظروف المناخية فإنه من الواجب استصلاح الاحواض العليا للأنهار في المرتفعات الجبلية حتى تتوقف التعرية التي سريعا ما تملأ موادها الخزانات المائية . لكن استصلاح السفوح لا يقتضى دائما أفراغ الجبال وتشجير كل السفوح بل هناك عدة امثلة لجبال حيث النشاط البشرى المتقن والمستمر هو خير وسيلة للحفاظ على التربة . ؟

يظهر الارتباط وتيقنا كذلك بين الجبال والسهول اذا ما لاحظنا بأن المهاجرين عن الجبل لرداءة ظروفه ، عندما يستقرون في السهول الفلاحية أو في المدن فانهم يساهمون في التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي تطرأ على البلاد ، وبالتالي فهم يخلقون دينامية جديدة للتعبير .

واخيرا يجب القول بأن حق التقرير ليس بين يدي سكان الجبل بل هو بين يدي سكان السهول والمدن . وهنا يطرح على هؤلاء التساؤل: هل يجب التدخل أم لا في تطور الجبال ؟ فالتدخل بالتشجير يزيد المشاكل حدة . اما عدم التدخل فإنه يزيد في حدة الاختلاف بين الجبلين والسهليين . هل يمكن التمدادى في فرز سكان الجبل عن باقى الاقتصاد الوطنى وبالعكس التمدادى في اقتطاع موارد وخيرات الجبل ؟ صارت الجبال اذن خاضعة للسهول وصارت هذه سائدة مهيمنة . والمشكل يطرح بحدة أكثر إذا ما لاحظنا التناقض الموجود بين النفقات الهائلة التي يتحملها القطاع العام لاستصلاح المناطق الجبلية بينما لا توظف الأموال الخاصة إلا في عمليات مريحة في السهول والمدن.

الجبل اذن والاقتصاد الجبلى في اضمحلال . فهل يمكن للدولة ان تتمدادى في محاولة انقاذ قطاع متأزم بينما يمكنها استثمار اموالها على احسن وجه في قطاعات أخرى امكانياتها واضحة ؟ هل سنحاول الحفاظ على الجبل أم سوف نحاول العثور على منافذ ومشاغل جديدة لسكان

الجبيل المهاجرين ؟ على كل حال الجبل ليس عالما منعزلا ، ولا يمكن  
ان يستصلح الا داخل اطار عام وتصاميم عامة وهنا يطرح مشكل الاطار  
السياسى والاقتصادى الذى توضع فيه هذه المشاكل .

عبد الله المويضة

## رسائل جامعية قدمها اساتذة مغاربة في الفترة الأخيرة

يسر مجلة « كلية الآداب والعلوم الانسانية » أن تتقدم بتهانيتها لعدد من الاساتذة المغاربة المنتمين اليها الذين قدموا اعمالا جامعية فnalوا بها دكتوراه الدولة او دبلوم الدراسات العليا وهي اذ تنشر اسمهم هاهنا، حسب المعلومات التي توصلت بها ، نرجو المعذرة ان وقع نسيان .  
ففيها يخص دكتوراة الدولة هنالك :

1 - الاستاذ عبد الله العروى الذى قدم رسالة عن اصول المغرب الحديث . ونأمل ان تقدم عنها تحليلا كافيا فى عدد قادم .

2 - الاستاذ محمد حجي الذى قدم رسالة فى موضوع « الحركة الفكرية بالمغرب فى عهد السعديين » وفى هذا العدد نظره موجزه عنها .

وفىها يخص رسائل السلك الثالث هنالك :

1 - الاستاذ احمد التوفيق الذى نال دبلوم الدراسات العليا على عمله : « بعض جوانب تاريخ المغرب الاجتماعى فى القرن 19 : اينولقان من 1850 الى 1912 » وفى هذا العدد تحليل عنها .

2 - الاستاذة خديجة المسدالى التى نالت دبلوم الدراسات العليا على رسالتها « ظاهرة البقاء بالمغرب فى الوقت الحاضر » . وفى هذا العدد تحليل عنها .

3 - الاستاذ محمد بوعلو الذى نال دبلوم الدراسات العليا على رسالته « الفن والطبقات الاجتماعية » . نرجو ان نقدم بيانا عنها فى عدد مقبل .

4 - الاستاذة عائشة بلعربى التى نالت دبلوم الدراسات العليا على رسالتها « البنيات والعلاقات التربوية فى حى شعبي بالرباط : مونوغرافية مدرسة التوحيد الابتدائية » نرجو تقديم بيان عنها فى عدد قادم .

5 - الاستاذ احمد اكواو الذى نال دكتوراة السلك الثالث بجامعة باريس على رسالته « التعبير عن الصفة فى البريرية : الفعل » . نرجو تقديم بيان عنها فى عدد قادم .



## الفهرس

ص

3- تقديم ..... محمد القبلي

### الابحاث الأساسية

7- من منافرات العدوتين ..... محمد ابن شريعة

51- ظروف عيش الأساتذة والطلبة في عهد

السعديين ..... محمد حجي

67- مرسى الوليدية ..... عبد اللطيف الشاذلي

91- نحو قراءة جديدة لنظرية النظم

عند الجرجاني ..... أحمد المتوكل

103- مفهوم الأمية في القرآن ..... أحمد شحان

127- تحليل المنطق للعبارات اللغوية

وصياغته الصورية ..... طه عبد الرحمن

165- دور اللغة العربية في تكوين

شخصية المراهق ..... مبارك ربيع

### دراسات وعروض بيليوغرافية

179- دوكامو ..... محمد عزيز الحبابي

185- بعض المراجع حول المرأة

في العالم العربي ..... فاطمة المريسي

225- مجلة هسبريس- تمودا في أعدادها الأخيرة ..... محمد زنيير

251- أمثال الاندلس ..... محمد زنيير

- 273- يوميات شاهد حرب افريقيا ..... برنار لوبياس
- 281- الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين ..... محمد حجي
- 285- ظاهرة البغاء بالمغرب في الوقت الحاضر ..... خديجة المسدالي
- 289- مظاهر يقظة المغرب الحديث ..... أحمد التوفيق
- 299- جوانب من تاريخ المغرب الاجتماعي في القرن التاسع من 1850 الى 1912.
- أنباء ثقافية وجامعية
- 307- النشاط الثقافي بكلية الآداب ..... عبد الحميد لطفي
- 313- لقاء اللغويين والسيمايين ..... أحمد المتوكل
- 315- لاجتماع اتحاد المؤرخين ببنغازي ..... محمد زنيبر
- 319- الندوة الرابعة لجغرافية المغرب العربي ..... عبد الله العونية
- 324- رسائل جامعية.



مطبعة النخيل الجديدة  
الطبعة الأولى

نقل مصور عن الطبعة الأولى  
لدار النشر المغربية